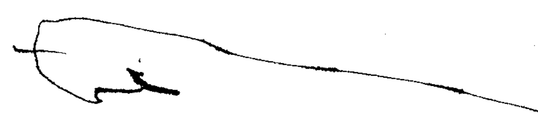
بسم الله الرحمن الرحيم



# بيادر



ملف ثقافي إبداعي يصدر عن نادي أبها الأدبي
العدد الرابع والعشرون . ربيع الثاني ١٤١٩هـ /١٩٩٨م



نادي أبها الأدبي - أبها - ص ٠ ب ٤٧٨ - تليفون : ٠٧٢٢٤٤٢١٠
فاكس : ٠٧٢٢٦٢١٦٥ - المملكة العربية السعودية
PUBLISHEDBY ABHAH LITERARY CLUB P.O Box :478 Tel :072244210
Fax: 072262165 ABHA . SAUDI ARABIA

رقم الإيداع : ١٤/٠٠٥٣
ISSN ردمك : ٣٥٠ - ١٣١٩

## محتويات العدد الرابع والعشرين من ملف النادي بيادر

# إشارات

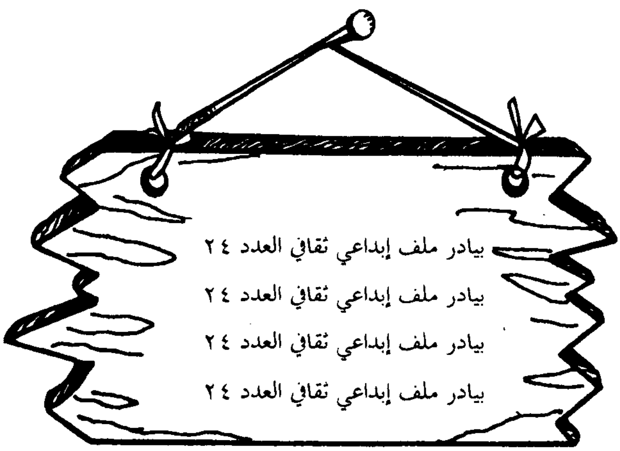
المشرف العام

* هذا العدد يتحدث عن نفسه بموضوعاته المتنوعة ، وكتابه المتعددين . ونتطلع إلى ما هو أفضل وأجمل دائماً .
* بعد صدور العدد تنتهي دورة من تجربة النادي في تجديد الدماء في مجلس إدارته واللجان المنبثقة منه .. وتبدأ دورة أخرى يحل فيها عضو جديد بمجلس الإدارة الأستاذ الشاعر (أحمد عبدا لله عسيري) وهو قديم بعطائه في النادي مشاركاً في نشاطاته المنبرية والطباعية وكان من هيئة تحرير هذه المطبوعة فترة من الزمن . وودعنا العضو السابق الشيخ المؤرخ ( هاشم بن سعيد النعمي ) الذي رافق مسيرة النادي منذ تأسيسه وترك أطيب الأثر في نفوس زملائه ومنسوبي النادي بكريم الخلق وحسن التعاون أمده ا لله بالصحة والعافية .
* وسيحل أعضاء جُدد في اللجان المساندة خلفاً لإخوان لهم أخذوا فرصتهم وأسهموا بجدية في نشاطات النادي المتنوعة ، فشكراً للسابقين ومرحباً بالقادمين .
* لا يعني هذا التغيير أو تبادل المواقع انقطاع صلة الأديب بناديه مطلقاً فالعلاقة مستمرة والمشاركة مطلوبة عطاءً وحضورا .. وإنما هو تطبيق مبدأ تكافؤ الفرص بكل ما تعنيه هذه العبارة .. وهو ما تميّز نادي أبها بالالتزام به منذ سنين وسنين .. لأن هذا سر نجاحه وبقائه في المقدمة بعون ا لله تعالى .
* وللقارئ العزيز الذي يتابع إصدارات ناديه بما فيه هذه الفصلية دور مهم لا بد من تفعيله بالإسهام بالإبداعات أو الآراء أو الملاحظات .. لأنه المستهدف بما ينهض به النادي في هذا الجانب من النشاط ..

* لا تزال الساحة المخصصة للعنصر النسائي شبه خالية والدعوة موصولة للفضليات من الكاتبات والشاعرات والمبدعات في كل الفنون الأدبية ألا يبخلن على هذه المطبوعة بما يمكن إثراؤها به ؛ فالمرأة نصف المجتمع ولا تستقيم الحياة إلا بتآزرها مع أخيها الرجل للوصول إلى الأهداف السامية في خدمة الدين والوطن .

والله ولي التوفيق .

# الافتتاحية


بيادر ملف إبداعي ثقافي العدد ٢٤
بيادر ملف إبداعي ثقافي العدد ٢٤
بيادر ملف إبداعي ثقافي العدد ٢٤
بيادر ملف إبداعي ثقافي العدد ٢٤

# الافتتاحية

رئيس التحرير
أ.د . غيثان بن علي بن جريس

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ... أما بعد :

فهذا العدد الرابع والعشرون من ملف " بيادر " نقدمه إلى إخواننا وأخواتنا القراء والقارئات ، ونحن ـ و لله الحمد ـ سعداء أن حقق هذا الملف بعض ما نصبو إليه في خدمة ديننا ، وبلادنا ، وتراثنا ، علماً أننا لم نحقق كل ما نتطلع إليه ، ولكن الطريق لا زالت أمامنا طويلة وشاقة ؛ وذلك لتحقيق ما يكون فيه نفع وصلاح لعقيدتنا وبلادنا .

أخي القارئ : لعلك تلحظ التنوع في المادة العلمية التي احتواها هذا العدد ؛ إذ لم تُقْصَرْ مادته على جانب دون آخر ، ولكن شمل العديد من الجوانب الأدبية ، والفكرية ، والحضارية ، والتاريخية . وقد سعينا إلى أن يشمل أكبر عدد ممكن من المواضيع المتنوعة في مادتها العلمية ، وفي منهج وأسلوب طرحها وتقديمها للقراء الكرام ، إلى جانب اختلافها من الناحية التخصصية . وإذا ألقينا نظرة سريعة على محتويات هذا العدد نجده قد اشتمل على عدة أبواب رئيسة هي :

١ ـ باب البحوث : الذي ضم ثلاثة أبحاث علمية ، أولها : بعنوان " تعليمنا والبعد الثقافي " للأستاذ الدكتور / حسن بن فهد الهويمل ، حيث قام بتقديم هذا البحث كمحاضرة في نادي أبها الأدبي، وقد تعرض للعديد من القضايا العلمية والفكرية المتعلقة بالتعليم والثقافة ، وخرج بنتيجة أنه لا بد من المؤاخاة بين هذين الجانبين ؛ إذ إن كلاً منهما يكمل الآخر . وفي البحث الثاني : كان الحديث عن أحد أعلام رجالات منطقة عسير ، وهو الأستاذ / الحسن بن علي

الحفظي الذي كان ذا مواهب ونشاطات فكرية وعلمية متعددة . وفي البحث الثالث : دراسة علمية أكاديمية عن " تاريخ مخلاف جرش (منطقة عسير حالياً) خلال القرون الإسلامية الأربعة الأولى " .

٢ - أما الباب الثاني : فقد دار الحديث فيه عن قضية أهمية التراث ودوره في عملية الإبداع ، وأن المبدع العربي لا يستطيع أن يصل إلى مصاف المبدعين في عصرنا الحالي ، إلا إذا استفاد من تراث المسلمين الأوائل وفكرهم وحضارتهم .

٣ - ٤ وفي البابين الثالث والرابع : قدمنا مجموعة من القصائد الشعرية الفائزة بمسابقة الملتقى الشعري الأول الذي نظمه النادي في الفترة الممتدة من (٢٦ - ١٤١٨/١٠/٢٧هـ ) ، وهذه القصائد الفائزة قد دونها وألقاها العديد من الشعراء المنتمين إلى الأجزاء الجنوبية من البلاد السعودية . وفي الباب الرابع تم دراسة ونقد هذه القصائد المنشورة في الباب الثالث والملقاة في الملتقى الآنف الذكر .

٥ - وفي الباب الخامس : اشتمل هذا الباب على عدد من المحاور في فنون الأدب من قصص ومختارات متنوعة في " استراحة بيادر في رياض الأدب " . ولم تخل الأبواب الأُخر في الملف من موضوعات مختلفة ، مثل : العديد من القصائد الشعرية لبعض الشعراء الصاعدين في باب (سنابل)، وفي باب (استطلاعات) : كان الحديث عن جزيرة فرسان التابعة لمحافظة جازان ، والتي نجد لها ذكراً في كتب التاريخ والأدب والحضارة ، وقد تم إبرازها في باب الاستطلاعات هنا لأجل التعريف بها من الناحيتين الإعلامية والتاريخية الحضارية ، مع أن هذا الطرح لا يدعي الاستيفاء والكمال ، ولكن معرفة بعض الشيء عن هذه

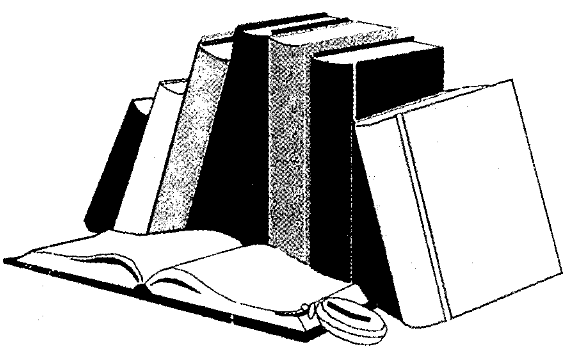
الجزيرة الهامة أفضل من الجهل بهـا . كذلـك بـاب " قـراءة في كتـاب " الـذي ركّز الحديث فيه عن كتاب هام من كتــب الـتراث ، ألا وهـو " كتـاب عيـون الأخبار " لابن قتيبة ، عبدا لله بن مسلم الدينوري .

وأخيراً فإن ملف " بيادر " لجميع القراء والمثقفين في بلادنا العربية ، ونسـتطيع القول إن أبواب الملف مفتوحة لكل الراغبين في المشاركة ومعيار القبول والرد إنمـا هـو الجدة ، وارتفا ع المستوى العلمي والفكري .

وا لله المستعان ، وصلى ا لله وسلم على صفوة خلقه ، وآخر دعوانـا أن الحمـد لله رب العالمين .

# البحوث

- تعليمنا والبعد الثقافي
- الحسن بن علي الحفظي
- تاريخ مخلاف جرش ( عسير)



# تعليمنا.. والبعد الثقافي.. ! *

أ. د. حسن بن فهد الهويمل

(١)

ما كانت لي الخيرةُ في تحديد موضوع المحاضرة وعنوانها ، ولا في مكان الإلقاءِ وزمانه . وذلك لون من التحدي المحبب الذي يعيدني إلى الحبيب الأول والأخير ، إذ لست بعيداً عن مفردتي العنوان : [ التعليم ] و [الثقافة] . فأنا منغمس فيهما إلى الأذقان عملاً وهواية وقراءة .

مارست التعليم منذ ثمانية وثلاثين عاماً في مختلف المراحل ، عشت بداياته ، وعايشت متغيراته ، واشتركت في مجالسه وفي بعض لجانه ، وما زلت أستاذاً للأدب الحديث ومناهجه ، والنقد الأدبي وأدواته . ذلك على مستوى التطبيق العملي . أما على مستوى التحصيل النظري ، فقد حصلت على دبلوم الدراسات العليا في التربية وعلم النفس ، وكنت قارئاً ومتابعاً للمستجدات ، أحسبني كذلك ولا أزكي نفسي . وكانت لي إسهاماتي العمليةُ والقوليةُ والتأليفيةُ ، عشت الخلطة مع التعليم ورجالاته عن قرب ، حتى خبرت حلوه ومره ، وعرفت مواطن الضعف فيه ومكامن القوة . ولن أكون مباهياً حين أدعي كوني في التعليم كبني لهب في الطيرة .

---

* محاضرة ألقيت ضمن الموسم الثقافي لنادي أبها الأدبي مساء يوم ١٤١٨/٨/٢٣هـ .

وحين نفارق التوطئة أو المدخل غير مباهين ، نواجه بمفردتين هامتين هما عنوان المحاضرة : " التعليم " و " التثقيف " وليس من السهل استقصاء مقتضيات كل منهما ، قد يكون من الممكن اقترابنا من مفهوميهما بقدر يُثير التساؤل ، ويحفز على التقصي ، إذ المعلومات الخالصة في هذين المصطلحين مطروحة في الطريق . والنخب الثقافية والتعليمية قادرة على استدعائها متى شاءت ، ولن نتشبع في جلب التمر إلى خيبر ، ولن أتعالم بحشد المعارف ، وتكثيف النقول والإحالات والمراجع ، وإنما سأقتصر على طرح تجربتي ، وإثارة تساؤلاتي ، ولعلي بهذا أقترب من المحزِّ ، فلا أفضي لأكثر من ذلك . وفي المستهل نسأل : ما التعليم ؟ وما الثقافة ؟

وحين نسائل عن مفهوميهما ، نسائل أيضاً عما إذا كنا قد حققنا التوازن في العملية التعليمية بين المطلبين المهمين . أملي الأكبر وأنا أهيل الأسئلة ألا يتصور المتلقون أن القضية بحاجة إلى مرافعة أو جدل يفضيان إلى التلاسن والتنازع ، إنها مجرد معاضدة مشروعة من أجل تحقيق الأفضل .

ومما نذكره ونشكره أننا في هذه البلاد كسائر البلاد المستقيمة مع ولاتها ، نجمع بين فضيلتي : [ المواطنة ] و [ المسؤولية ] ، إذ ليس لأحد حق الوصاية المطلقة ولا الدائمة على أي مرفق ، وبخاصة ما يتعلق منها بصناعة الإنسان وتأهيله لمواجهة الحياة . وحين نتساءل ، فليس معنى هذا أننا نبحث عن حفرة نواري فيها سوءاتنا ، ولا مخطىء نتخلص بذكره من معاناتنا . فـ [ التعليم ] و [ التثقيف ] بكونهما مصدرين لصناعة الذهن وتشكيل الفكر وتوفير الكفاءة مهمة النخب ، ومسؤولية المؤسسات الثقافية والتعليمية والإعلامية على حد سواء ، وليس مهماً إن كانت المؤسسات تعليمية تربوية وظيفية ، أم تثقيفية تطوعية ، المهم فيما نحققه وننجزه . ويحسن بنا جميعاً ونحن في جو عالمي مشحون بالمتناقضات ، مكتظ بالتحديات، فائض بالتماكر، مختلط

بالخطابات ، أن نحمل شعور الجماعية في ممارسة المسؤولية الثقافية بالذات ، وأن نتفادى التنازع حول قضايانا المصيرية مهما كانت وجهات أنظارنا وإحساساتنا إزاءها ، وألاّ نتخفف من المعاناة بتحديد المسؤول عن الإخفاق أو التقصير إن كان ثمة تقصير أو إخفاق . إن علينا التعاضد والتسامح والمؤاخاة بين الآراء المتباينة ، والتوفيقَ الرفيقَ بين المتضادات ، وتكثيف الاشتغال في المتفق عليه ، وعذر بعضنا فيما لم يبن لنا وجه الصواب القطعي فيه ، نكون كذلك متى كنا في إطار المقبول شرعاً وعقلاً ، وفي إطار الخلاف المعتبر . والتعليم في بلادنا من حيث هو بناء للإنسان عقدياً وفكرياً وسلوكياً وعملياً حقق تحولات نوعية ومنهجية وشكلية وكمية أكاد أجزم أنها اختصرت الزمن والجهد . وهذا لا يمنع من تحرفات أخرى تحقق لنا اللحاق بالسابق وتجاوزه ، وتحقق أقصى حد من الفعالية التعليمية التي نتطلع إليها في ظل المتغيرات التي اجتاحت على الناس بيوتهم وأسواقهم ومضاجعهم ومحافلهم وما زالت تضيف أعباءً على أعباء .

وإشكالية التعليم في العالم أجمع ، وفي عالمنا العربي على وجه الخصوص ، أنه يمر بفترات يفترق فيها بعض الافتراق مع خطط التنمية المطروحة من ذات المسؤول المخطط للتعليم في سياق الخطط العامة ، ومن ثم يقصر عن الوفاء بحاجة الأمة القائمة ، بحيث يقدم من خلال مناهجه ومراحله وتخصصاته كمّاً معرفياً قد لا يستجيب بجُملته للحاجة الملحة ، وتلك من أخطر المعضلات التي يجب أن تعالج بجرأة وبحزم وبسرعة . فالتعليم المنهجي القائم لا يعدو كونه صناعة تجهيزية لمواجهة الحياة ومتطلباتها ، وليس عبادة خالصة لا تبديل لها ، وإن كان كل أمر المسلم عجباً . فبالنية الصادقة يتحول كل شيءٍ إلى عبادة [ وفي بضع أحدكم صدقة ] ، وتلك منة يمن الله بها على من يشاء من عباده . والتعليم إذ يكون صناعة تؤهل الإنسان ليكون مناسباً في المكان المناسب ، يكون من أمور دنيانا المفوض أمرها إلينا في إطار من الوعي الديني ، ويبقى مع هذا استجابة

لمطالب الأمة المتعددة وحاجاتها الملحة ، ولو كثف المعنيون صناعة لا تقوم الحاجة إلى إنتاجها ، أو صناعة لسنا بحاجة إلى كل إنتاجها ، كان في ذلك شح مُضْعِف أو غزارة مكلفة ، يخلان بالتوازن ويهزان الاقتصاد ، ويؤديان إلى بطالة مقنعة ، أو عجز في مجالات أخرى يلجئنا إلى استقدام من يقوم بالأداء . والعملية التعليمية في إطار التحولات لا تعدو أن تكون تجهيزاً معرفياً ومهنياً للإنسان ، ليسد حاجة ، ويقوم بمهمة وتبعاً لذلك يجب أن نحفظ التوازن ، ونراعي الحاجة ، ونوفر ما تتطلبه خطط التنمية . وبمثل ما تحسب الحاجة إلى الآلة بمواصفاتها ومقاييسها الملائمة ، تحسب الحاجةُ نفسُها إلى الإنسان بتخصصه وقدراته ومهاراته ، فالآلة قوة عاملة ، والإنسان قوة فاعلة ، والآلة تُصنع والإنسان يعلّم ، ولا يحقق ذلك كله إلا التعليم المبرمج بكل دقة والمطور في كل لحظة . والتعليم الذي يخطط له المعنيون ويراعون فيه الحاجة يعني : تقديم المعرفة إلى الإنسان ليكون قادراً على مواجهة الحياة ، وتوفير الحاجات ، وتحقيق مستوى معاشي وثقافي ملائم للقائم من الضروريات ، وعلى ضوء ذلك تقوم الإشكالية ، في ذات المعرفة ، وفي طريقة توصيلها . إن أمامنا [ رسالة ] هي " المعلومة " ، وأمامنا [متلق ] هو " الطالب " للمعلومة ، وأمامنا " مرسل " هو " المعلم " ، وأمامنا "وسيلة " هي طريقة التوصيل . ولكل عنصر من هذه العناصر إشكاليات متعددة يعرفها التربويون ، وليس هذا مجال بحثها بالتفصيل ، وأحسب أن المختصين يعون مواصفات تلك العناصر وشروطها . والإشكالية ليست في المعرفة ، وإنما هي في قدرة التوفير للقدر المطلوب والنوع المطلوب ، وتمكين المتلقي من الإدراك المناسب لهذا القدر والنوع من المعرفة وقدرة التطبيق اللائق للمكتسب ، وما عدنا اليوم بحاجة إلى مزيد من تكرار تلك الشروط والمواصفات ، وقد يحسن التذكير بها أو ببعضها إجمالاً . و [التربية] و [ التعليم ] يلتقيان في أمور ، ويفترقان في أخرى ، والإنسان بحاجة إليهما ،

فلا تعليم بدون تربية ، ولا تربية بدون تعليم ، والإنسان بحاجة إلى تربية : عقلية ، وجسمية ، ومهنية ، وخلقية ، ودينية ، وهو بحاجة إلى تربية المهارة ، والإرادة ، والذوق الجمالي . وحاجات الأمة من كل ذلك تتبادل المواقع في سلم الأهمية ، وفي نوع الأداء وكمه وطريقة توصيله . ومعضلة التعليم القدرة على رصد هذا التبادل والتكيف معه . و [ الثقافة ] ذاتُ علاقة مثليةٍ مع [ التربية ] و [ التعليم ] ، ومتى قامت الحاجة إلى توفير قدر كاف من المعلومات التطبيقية ، فإن الإنسان بحاجة إلى توفير قدر كاف من المعارف السلوكية والتثقيفية ، ليكون عضواً عاملاً واعياً لواقعه ، ومحسنا التعامل معه . فإنسان اليوم مواطن عالمي ، وليس مواطناً إقليمياً ، وهذه الشمولية في المسؤولية ضاعفت مهمة [ التربية والتعليم والتثقيف ] ، وألقت على عاتق الإنسان مهمات تتنامى مع الزمن .

والتعليم بوصفه مصطلحاً يعني : توصيل المعلومة عبر منهج معين لطالب ذي مستوى استيعابي يتنامى ، وتتنامى معه المعلومة ، وبهذا أو ببعضه يختلف التعليم عن التثقيف وذلك حين يكون الأخيرُ جهداً لا منهجياً في أكثر حالاته ، وإضافة منهجية محسوبة في أقلها ، وهنا يبدو [ التثقيف ] متداخلاً مع التعليم ، ومفارقاً له ، والصعوبة في تحديد الأقدار المتداخلة والمتباينة . وعلى ضوء ذلك فلا بد للتعليم من أطراف تشترك في إنجازه كـ[كالمدرس ] ، و [ الطالب ] ، و [المقرر] ، و [المرحلة الدراسية] ، و [ الزمن الدراسي ] ، و[المدرسة] ، و [الوسائل التعليمية] . ومن قبل أولئك [ واضع المنهج] ، و [ مقدر المعلومة ] و [ محدد نوعها ] و [ مؤلف الكتاب المدرسي ] في مادته وتصميمه وأسلوب عرضه . وبهذه المواصفات فالتعليم : عملية منظمة مقصودة في كل حالاتها ومقدرة ومعقدة . أما التثقيف : فله مجالات وأحوال فهو جهد ذاتي أو جماعي تحكمه ظروفه الآنية وبيئته المعيشة . ولكننا في محاضرتنا تلك سنتناول علاقة

التعليم بالثقافة ، بوصف التعليم مؤدياً إلى الثقافة أو متعالقاً معها ، أو قل باحثاً عن القدر المطلوب من العملية التثقيفية الذي يجب أن ينهض به التعليم كي يوفر الثقافة العامة الكافية لمواجهة الحياة بكل ما تعج به من متغيرات ومستجدات ، والثقافة التي ننشدها الآن ليست هي الجهد الاختياري الفردي ، إنها المادة التعليمية التي يفترض النهوض بها . لقد تجاوزنا البدائية والإقليمية والمحدودية بوضعنا القائم ، وأصبحنا شريحة من هذا العالم نتقاسم معه الحقوق والواجبات ، فنحن أمة محاورة متداخلة مع الأمم الأخرى بكل ما لها من أهداف ومصالح و [ استراتيجيات ] ومهمات حضارية ، بل نحن أمة مغموسة في بحر لجي من الحضارة العالمية بكل مستجداتها ومتغيراتها ومغايرتها وأساليب التعامل معها ، حتى لقد أصبحت بيوتنا وأسواقنا ومكاتبنا مجالاً منتهكاً لكل المنجز الحضاري مادياً ومعنوياً . وهذا الانفتاح ضاعف مسؤوليات مؤسساتنا التعليمية ، والثقافية ، والإعلامية ، إذ لم نعد في معزل عن العالم . وأزمتنا أننا أمة مسلمة مضطرة إلى التداخل المشروع مع الأمم الأخرى لتبادل المصالح ، وللتقارض والتعالق والتناص حضارياً ومدنياً وفكرياً وأدبياً ، ومتى اصطحبنا شرطنا العقدي والقومي أصبح حوارنا مع الآخر حساساً دقيقاً ، فمع حتمية الانفتاح للآخر ، لا بد أن نحتفظ بشرطنا العقدي والشرعي والمنهجي . وتوفير التناغم مع مقتضى الانفتاح ومقتضى الشرط يضعنا أمام مسؤوليات معقدة متضاعفة التكاليف .

وإذ نكون مع كل ما سبق دولةً غنيةً متصالحةً مع العالم وهو أمر يقتضي تواصلنا مع المشهد الحضاري المتلاطم بكل المنجزات المادية ، والفكرية ، والمعنوية ، أصبحت خياراتنا متعددة ، ولم تكن واحدية ، وتلك إشكالية لا يعيها إلا المصطلون بنارها . وأمام هذا القدر المقدور لا بد من ضبط التناغم مع الآخر بطريقة لا تذيبنا وتنهي وجودنا ، ولا تعزلنا وتلغي حضورنا ، وإن لم نفعل ونتقن الفعل يصبح إيقاعنا نشزاً ،

وتفاعلنا سلبياً . وإتقان التوافق النغمي يتطلب منا استحضار خصوصيتنا وهويتنا ، فالمنسلخ من قيمه يملك القدرة على التناغم دون عناء .

وأمام هذا الانفتاح والتناغم ، مع مراعاة الخصوصية تصبح مؤسساتنا التعليمية والثقافية والإعلامية والتشريعية والتنفيذية والشوريةُ أمام تحد عصيب . والعمليات التعليمية والتثقيفية تجاوزت زمن الحشو المعرفي والتلقين النصوصي والتحفيظ اللفظي والتحذير والوعد والوعيد ، لقد ولّى كل ذلك ، وصار تقديم المعلومة المجردة وحشوها في الأذهان مؤدياً بالتالي إلى تراكم معرفي لا إلى امتثال تفاعلي . والتعليم الذي لا يعطينا آليات مرنة نواجه بها الطوارىء والنوازل لا يكون في مستوى العصر . ومن سلبيات التعليم لاعلى المستوى المحلي ولا على المستوى العربي بل على المستوى العالمي ما نراه من ضعف عامٍّ وضحالة في مستويات التحصيل والتأهيل ، وما من إصلاح منهجي إلا ويضع نصب عينيه ما تبديه المؤسسات التعليمية من شكاية وتذمر حول المستوى التحصيلي للخريجين ، وإذ يجمع التربويون على تدني المستويات ، يكون من أوجب الواجبات مواجهة تلك الظواهر بكل شجاعة وثقة ، فالحياة اليوم فرضت الخلطة ، ودفعت إلى التنافس ، وها نحن اليوم نرى بعض المحطات الفضائية قد أزاحت عن طريقها ما ليس بقادر على المنافسة ، ونرى بعض المطبوعات الصحفية قد أنهت ما عجز عن المنازلة ، وفي المقابل نرى حضارات مهيمنة وأخرى قاعدة تكتسي من غير نسيجها ، وتطعم من غير زراعتها وتستعمل غير صناعتها وذلك عين الانهزام . نحن لا نشك أن العالم من متقدم ومتأخر يبادل بعضه بعضا ، ويخدم بعضه بعضا ، وليس في مقدور أحد أن يستغني عن غيره ، والتساخر قائم ولكن لا بد من التوازن والتكافؤ والندية .

وإذ نكون متداخلين مع الآخر تداخلاً إجبارياً إلى مستوى الخلطة ، فإن خيارنا ليس بأيدينا ، إنه بيد المرحلة التي قدر لنا أن نعيشها ، وهي مرحلة تعج بكل المنجز البشري ، وتمارس فصائلها سياقات مشحونة بالتوتر ، ومضاميرها تمر بمنعرجات ومضايق ومهاوٍ سحيقة ، إنها لزز العوائق والحواجز والأوحال ، وليست ممهدةً مضاءة ، هذا الواقع ، وتلك السمات تشكل تحدياً سافراً لكفاءاتنا ، وهي بهذا محتاجة منا الصبر والأناة والتبصر وتدبر الأمور والتعامل العاقل لا الاندفاع العاطفي .

## (٢)

وبالعودة مرة أخرى إلى مفردتي العنـوان " التعليـم " و " الثقافـة " نجد أننـا بحاجـة إلى مزيد من التفصيل ، لاستجلاء مقتضيات كل منهما على المستوى : العلمي والتعليمي والتطبيقي ، وعلى مستوى القدر الكسبي الملائم لكل مرحلـة مرتبطـة بـذات المتلقـي ، وكل مرحلة مرتبطة بالبيئة المعيشة .

على أن مصطلح " التعليم " ضارعته ــ كمـا أشـرت ـ مصطلحـات أُخر ، حتـى لقـد نازعته الأهمية كمصطلح " التربية " و " المعارف " و " التدريب " . ومــن الـدول مـن سمى مؤسسته التعليمية باسم : " وزارة التربية والتعليـم " ومنهـا مـن سمّاهـا بــ " وزارة المعارف " ومنها من أنشأ معاهد ، ومراكز ومؤسسـات للتدريـب العملـي والتعليمـي ، ومن الدول من فَصَل وزارة الثقافة عن التعليم ، وربط بهـا علـم الآثـار ، والفلكلـور ، وأنواع الفنون الجميلة وما هو مرتبط بالمهارات وتربية الأذواق ، ومن الدول مـن وزع مهمات التثقيف على أكثر من مؤسسة كما هو عندنا ، وأحسبه وضعاً وقتيـاً . والمهـم ليس في تعدد الكيانات وتداخلها وتسمياتها ، وإنما هو في توفير القدر الكافي والمناسـب من العلم والثقافة . و [ التعليم ] و [ الثقافة ] مصطلحان خطيران ومصيريـان ، وليـس من السهل معالجة أحدهما أو كليهما بكـلام إنشـائي عـاطفي ، ولا بـالنظر إليهمـا مـن زاوية ذاتية ضيقة أو وقتية محدودة ، أو مذهبية منغلقة ، تدير كـل الأشياء في فلكهـا ، وتختصر الفضاءات الرحبة في فضائها الضيق ، ولا ترى شيئاً مستحقاً للوجـود الكريـم سواها ، وليس من الحكمـة الخنـوع لأحاديـة الـرأي ، ونقـد الخطـط أو المنـاهج بهـذه المستويات المتدنية من الخطورة بمكان والكف عن مساءلتها من الأكْفاء جناية لا تغتفر ، ومن ثم لا بد ـ والحالة تلـك ـ من التكافؤ بين أهمية القضية وكفاءة المتسائل ، كما أنه

لا بد ـ أيضاً ـ من التروي والأناة ، وتقليب الأمور قبل حسم المواقف . والمتداول الآن لتكريس أهمية العملية التعليمية مقولة : " كل أمة عظيمة وراءها تربية عظيمة " . وعظمة التربية لا تكون من الألقاب المرتجلة ، وليس مفيداً إذعان النخبويين لشائعات التفوق ، وإن تحقق الكثير منه ، وليس من شرط الإنفاق السخي تحقيق الأفضل ، ومع أنني راض عن حجم الإنفاق ، وعن كفاءة المسؤولين وتفانيهم ، فإنني متردد في القطع بنجاح العملية التعليمية بالشكل الذي نطمح إليه ، وبالقدر المستجيب لمتطلبات المرحلة وبالإنفاق السخي والكفاءة المتميزة وحدهما ، وإن كانا مطلبين رئيسين ، وفي ظل السخاء والكفاءة ها نحن نعايش وابلاً من المؤتمرات واللقاءات واللجان والتعديل والتبديل والتعليمات والوعود وشمولية التغيير في الأنظمة والأناسي ، وما ذلك إلا محاولة جادة وموفقة لإقالة أي عثرة ، واستكمال أي تقصير . ومع هذا الإلحاح في أهمية المساءلة وضرورة النقد فإنني لست متشائماً ولا متردداً في دخول الرهان عبر سياقنا العربي ، إذ نحن في هذا السياق من أفاضل القوم ، وذلك حين ننظر إلى مجاميع الأداء لا إلى مفرداته . فنحن من خلال سياقنا الزمني والعربي في مستوى مشرف ، ولكننا اليوم تجاوزنا سياقاتنا الإقليمية إلى سياقات عالمية ، تتطلب منا التوفر على كل الأنظمة ، والاطلاع على كل المناهج ، والوقوف على كل التحولات ، واستبطان كل الخيارات ، والهيمنة على كل الخطط ، والتخلص من أقل الإعجاب بالنفس والمباهاة بالمنجز ، فالتحدي اليوم ليس إقليمياً بحيث نقنع بالمثلية .

والأمة العربية والإسلامية اليوم على موعد مع القرن الجديد ، والعالم المتحضر الواعي لظاهر الحياة الدنيا يحاكم مشاريعه ، ويسائل مؤسساته ، ويحاسب نفسه، وينقد ذاته ، ويمتحن قدراته ، ويقوّم نتائجه ، ويوائم بين الخطط التنموية والتعليم ليوفر من القوى العاملة ما يكفل للخطط النجاح ، وهو جاد في إعداد نفسه لمواجهة التحديات ،

ومن الخطأ الفادح التردد في مساءلة الذات ومراجعة الحساب ، والنقد الذاتي الجريء الصادق . فنحن بحاجة إلى استيعاب الانفجار المعرفي ، والثبات أمام أعاصير التغيير ولا يتأتى ذلك إلا بالخلوص من العجب والثقة بالنفس ثقة تحمل على ممارسة الحساب العسير ، وما من أمة إلا خلا فيها أكثر من رائد لا يكذب أهله يرود لها المقدمة ، ويحمي الساقة ، ويتخير أعذب الموارد . فهل تعي الأمة الخطاب ، وتفك الشفرات ، وتواجه المستجدات بإمكانيات بشرية متكافئة مع المطالب ؟ إننا نملك الكثير من مقومات النجاح ، وتفاؤلنا يبعث على الاطمئنان ، ولا يفضي إلى التواكل ، وذلك بعض ما يحفزنا على المناشدة الملحة والنقد الصريح . لقد سقطت الحواجز بين الأمم ، واختلط الناس ، وتداخلت الأصوات ، وأصبحت أرضنا بحجم البيضة يقلبها الإنسان على كف الاتصالات والأقمار الصناعية ، وها نحن الآن قد دخلنا في تحديات "العولمة " ومترادفاتها " الكونية " و " الكوكبية " وتحديات " الإنترنت " وتحديات " القوة الواحدة " بدل " توازن القوى " ، ومن ثم فالمرحلة مضمار سباق ، وكل أمة تبحث عن حضور كريم مشرف ، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال تربية مستكملة لكل وجوه الحياة ، تنزع من بئر المعرفة بقوة وثبات ، تتداخل ولا تذوب ، وتنفتح ولا تتقوقع ، وتنتج ولا تستهلك ، وتأخذ بقدر ما تعطي ، وتحقق الندية معرفياً ومادياً .

والتردد في التغيير والهيبة من النقد يحولان دون الدخول المقتدر إلى حلبة السباق . والسكونية والجمود يهمشان الذات ، ويعطلان القُدُرات . والاندفاع غيرُ المحسوب يعرضُ الأمة إلى النكسات الموجعة ، وكل أمة تنطوي على إمكانيات ومواهب ، ومن فوت على نفسه استغلال هذه الإمكانيات ، وتفجير تلك المواهب ، فوت على أمته اللحاق بركب الحضارة ، والحماس وحده لا يكفي والاهتياج الأعزل يضاعف الفشل ، ويعقد الحلول ، والأخذ بضعف يؤدي إلى الهوان ، وفي التوجيه الحكيم :

"خذوا ما آتيناكم بقوة " وفيه " فخذها بقوة " . إننا في زمن الفعل المؤسساتي ، ومراكز المعلومات ، والتقنية الدقيقة ، والحاسبات الآلية ، والتقدير والتوقيت . ومن ثم فلا مكان للارتجال ، ولا مجال للإقدام غير المدروس وغير المدعوم بالإمكانيات ، ولا مجال للإذعان للدهماء والعاطفيين وأحاديي الخطاب . وكل أمة تحس بارتباك أو تباطؤ يجب أن تفتش في مناهجها التعليمية ، فهي مكمن المشاكل ، وطريق الحل . وأمريكا حين فوجئت بغزو الفضاء من قبل الاتحاد المنهار ، لم تُعِدْ نظرها إلا في مناهجها وموادها التعليمية وأساتذتها ومقرراتها ووسائلها التربوية .

وليس من شك في أن الدول النامية بحاجة إلى وقت طويل ، وعمل دؤوب ، وتحرف ذكي ، لاختصار الجهد والوقت ، وتغيير مفاهيم الآخر عنها . ومع إيماننا بتأثير السياق الحضاري على الأمة ، فإن التحرف الذكي يُحقق التميز ، ولعلنا نضرب مثلاً [ بجنوب أفريقيا ] وكيف حطمت النمطية وخرجت من سياقها المتخلف . إن هناك تجاربَ عالميةً وإقليميةً مثيرة ، ليس من مصلحتنا إهمالُها ، وليس من السهل الأخذ بها دون تطويع وتمحيص وتكييف ، لتكون ملائمةً لظروفنا وإمكانياتنا ومجمل سياقاتنا ، وكم من أمة نقلت بعض التجارب الناجحة عند الآخرين دون انتباه لمدى الملاءمة والمواءمة ، فأصيبت بنكسات محبطة . وكخطوة إيجابية لا بد من تأكيد أننا أحوج ما نكون إلى المساءلة والمحاسبة والتقويم ، وويل لأمة تتردد في مساءلة نفسها ، وتقويم منجزها ، ولا سيما إذا كانت في زمن لا يرحم ، زمن أخرج العالم من عزلته ، وخلط أوراقه ، وألقى بكل أعراقه وحضاراته وأممه على مدرجة الحياة ، وكم من ضعفاء داستهم أقدام الأقوياء وسحقتهم كبرياء المتعالين ، وعاشوا على نفاية الحضارة يمدون اليد السفلى ، ويرضون من اللحم بعظم الرقبة، ويقضى الأمر حين يغيبون ولا يستأمرون وهم شهود، ولو أنهم عاشوا الحياة وأخذوها بقوة ، وتكيفوا معها لكان خيراً لهم إذ لم يكن هناك

تمايز جنسي كما كان يتداول في مستهل القرن وإنما هناك تخلف اجتماعي ، تنشئه البيئة ، ويقضي عليه الوعي والتربية والتعليم والثقافة .

ومع وجوب التحرف تظل معضلته قائمة وحساسة ، ومن المهاوي السحيقة والإشكاليات العصية المخادعة الخطأ في توصيف الوضع ، فمثل هذا الخطأ يؤدي إلى الخطأ في وصف العلاج ، ومن ثم الخطأ الفادح في النتائج . ومن اللغط المخيف في هذا المجال في محيطنا الإسلامي والعربي ما يروجه الماكرون من علمانيين . وماسونيين وماديين وعنصريين ، من أن سلطة الماضي حائلة دون الانطلاق ، وأن الدين سلطة ماضوية صيغ ليكون مرحلة انتقالية ، بحيث لا يصلح لمواكبة الحياة المعاصرة ، ومن مكائد الأعداء وتماكرهم وضع خيار واحد أمام الشعوب المتدنية . فإما الدين والتخلف ، وإما العلمانية الكافرة والتقدم ، وما زالوا يرددون ذلك إلى أن صدقهم مرضى القلوب ، وشايعهم الأغبياء ، حتى لقد نبذوا الدين وراء ظهورهم ، وعلمنوا تعليمهم وسياستهم وإعلامهم ، فخسروا عقيدتهم ، ولم يجدوا في أيديهم بعد انجلاء الغبار إلا سراب القيعان . فالأمة أي أمة حين تتخلى عن عقيدتها ، تتخلى عن تراثها وعن تاريخها ، وتلك أعماق ليس من السهل توفير الحياة الكريمة بفقدها ، وحين تقع تلك الكارثة تكون الأمة ريشة في مهب الريح . ومن نعم الله على هذه البلاد تأسيس مناهجها على العقيدة الصافية ، وهي تجربة علمية برهنت على إمكان المؤاخاة بين الدين وسائر وجوه الحضارة .

والعقيدة السماوية غيرُ المحرفة لا يمكن أن تكون عامل تخلف وانحطاط . التخلف والانحطاط يأتيان من التذبذب ، والتنقل من فكر إلى آخر ، ومن ممارسة التجريب دون وعي ، ومسايرة الآخر في السر والتدثر برداء الدين كذباً ونفاقاً في العلن . إن النفاق ريبة في النفس لا يُوفر لذويه أدنى حد من العيش الكريم ، المرتاب يفقد شرف الموقف،

والإنسان مجموعة قيم دينية وأخلاقية وحضارية ، وبدونها لا تبقى إلا صورةُ العظم واللحم ، وهي قاسم مشترك مع البهائم .

لقد أحس [ الغرب ] بوعيه المادي وبعلمه بظواهر الحياة الدنيا ، أنه أمام دين محرف ، يخدم أدعياءه ، ويمتعهم ، فقرر إزاحته عن المشهد العملي ، وحصره في الكنيسة ، ليكون علاقة ذاتية بين ممارس الشعائر والطقوس وإلهه الذي تصوره ثالث ثلاثة ، وفرغ لحياته الدنيا ، ومحضها صدقه وإخلاصه ، فحقق تقدماً مادياً مذهلاً وخسر في مقابل ذلك أموراً كثيرة ، ما زال فقدُها يهدد وجوده ، كما أن فقد ما عنده من علم يهدد وجودنا إذ لم يحفظ التوازن بين مطالب الروح والجسد ، وما عرف الماديون أن التدين نزوع فطري لا يمكن الاستغناء عنه ، وخطؤهم في ذلك مثلُ خطأ الشيوعية التي حسبت حبَّ التملك طبيعةً مكتسبة ، وليست غريزة ثابتة ، وبتخليه الطوعي عن الدين اضطربت حياته ، وأصيب بالإحباط والخوف ، وارتفعت نسب الانتحار والإدمان والعبث والقلق ، واربدت الحياة في وجه من يملك أدق الآلات وأخطر الأسلحة وأضخم الإمكانيات وأقوى المؤسسات وأصدق الديموقراطيات وأوسع الحريات ، إنها حضارة مادية خاوية لا روح فيها ، على الرغم من استكمالها ظواهر الحياة الدنيا التي هي في بعض وجوهها من مطالب الدين الإسلامي ، إذ الإسلام يدعو إلى العمل والقوة الاقتصادية والعسكرية والحرية والعدل والمساواة ، وتكافؤ الفرص والشورى ، وإلى كل ما تتطلبه الحياة الكريمة السوية .

لقد نسوا ما ذكروا به ، فأنساهم الله أنفسهم ونسيهم ، وما عادت الحياة المادية نابضة بالحياة السوية ، إنها ركام من المادة يراها الإنسان بائسة متخشبة مخيفة . والأمة الإسلامية التي أورثها الله كتابه ، وحفظ لها سنة رسوله بحاجة إلى أن تحفظ التوازن بين مطالب الروح والجسد ، فلا تتحولُ إلى الرهبانية والغلو فتفقد المعادل المادي ، ولا

تشتغلُ بالحياة في معزل عن الدين فتفقد المعادل الإيماني ، ولا تفهم الحياة على غير المقتضى الإسلامي ، ولا تفهم الإسلام على غير ما أراده ا لله ورسوله ، ولا تؤمن ببعض الكتاب وتكفر ببعض ، ولا تدعيه قولاً وتخالفه فعلاً ، وكم أنب ا لله أولئك [ لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند ا لله أن تقولوا ما لا تفعلون ] إن الحياة نظام ، والنظام توازن ، والمنبت لا يقطع أرضاً ولا يبقي ظهراً ، والدين متين والإيغال فيه يجب أن يكون برفق ، والحياة الدنيا أنصبة فلا يجوز أن ننسى نصيبنا منها ، تلك معادلة صعبة لا يتقنها إلا العالمون ، وضعف المسلمين وهوانُهم منشؤه الابتعاد عن منهج ا لله ، أو هو من فهم الإسلام على غير مراد ا لله ، ووضع العالم الإسلامي لا يمثل مقتضاه النصي ، ومن ثم لا يجوز الدفاع عن وضع العالم الإسلامي ولا تقديم هذا الوضع على أنه وضع سليم ، ورفض الوضع القائم يحمل على العودة إلى الكتاب وصحيح السنة ، والغرب الذي نشمت به ينطوي على قيم حضارية نحن أحوج ما نكون إليها ، وحياته التي أنتجت هذه القيم ، وأعدت هذه المؤسسات ، وخضعت لتلك الأنظمة ، لا يمكن أن نصرف النظر عنها ، ولا أن نطيلَ الإحداق في سلبياته ، إن من مقتضيات الثقافة التي نطالب بتوفرها أن نلم بآليات الحضارة الغربية : الحسيةِ والمعنويةِ وبمناهجه وبأسلوب ممارساته التي أنتجت تلك الصناعة وحققت تلك الأوضاع ، وفي المقابل نعي سلبياته التي خلفت له البؤس الأخلاقي ، والتفكك الأسري ، والإدمان والإيدز واللقطاء والانتحار والقلق والغثيان . إن الثقافة التي نتطلع إلى وعيها وتمثلها يجب أن توفر لنا إمكانيات التعامل الصحيح مع كل مفردات الحياة ، مع أنفسنا ، مع عقيدتنا ، مع خصومنا ، ومع الحضارات والثقافات المنافسة . إننا أحوج ما نكون إلى فقه الواقع ، وأحوج ما نكون إلى فهم الفقه الشرعي على ما تقتضيه مقاصد الشريعة ، وفقه الواقع جزء من الثقافة التي يجب أن نضع لها كل الأهمية ، ومن لم يتوفر على فقه الواقع فليس

من حقه أن يناقش في القضايا المصيرية للأمة ، ومن فقه الواقع أن يفقه الإنسان قدراته ومدى علمه وأهليته في معالجة الأشياء ، ولا سيما في زمن التخصصات السياسية ، والاقتصادية ، والدينية ، والعلمية ، ورحم ا لله امرءاً عرف قدر نفسه ، وخلص الناس من أخطاء فهمه ، إن وراء نجاحات الأمم المتحضرة كماً هائلاً من الخبراء والمستشارين والمتخصصين وفرقِ العمل ومراكز المعلومات والمؤسسات العريقة العميقة الواعية الراصدة المخططة لعشرات السنين القادمة ، ووراءها فوق كل ذلك تربية متفوقة مستجيبة لمطالب الحياة الدنيا ، فلا مجال اليوم للارتجال ولا للعواطف ولا للفردية ولا للفورية . و [التربية] و[ التعليم] بمواصفاتهما الإيجابية سبيلان من سبل تحقيق التوازن الذي فقده البعض ، وما لم تكن التربية متوازنة فإن ضررها أكبر من نفعها . وإذا حفظنا التوازن في ثنائية [الدين والدنيا] يجب أن نحفظه في ثنائيات متعددة [ العلمي والنظري ] [ التطبيقي والتنظيري ] ، [ الجد والترفيه ]، [ التراث والمعاصرة ] ، [ الواقعي والشرعي ] [ العلم والتقانة ] . والمؤكد أن أصحاب القرار ورجال المؤسسات كالصيادلة في معامل التركيب يقتلون مرضاهم لو غلبوا عنصراً على آخر ، فلا بد ـ والحالة تلك ـ من أن يقبع في غرف العمليات والمعامل من يملك أدق تفاصيل الحياة ومطالبها الدنيوية والأخروية، وعلى الذين ينظرون من طرف خفي ألا يضعوا العصي في عجلات العربة . إن علينا أن نمنح الثقة ونجودَ بالدعم ، وما من رائد يكذب أهله ، قد يخطيء المرء ولكنه مع النقد الهادف والجدل الحسن والحوار الحكيم والتفريق بين النصيحة والتعيير رجَّاع إلى الحق أوَّاب إلى الصواب ، فما علينا والحالة تلك إلا أن نتقن آداب النقد وشروط النصيحة ومن ثم نتبادل الخبرات والتجارب لنكون كما أراد لنا ا لله [ خير أمة أخرجت للناس ] .

(٣)

وحين نقف ملياً إزاء مفهوم [ الثقافة ] في سياق التعليم ، ومفهومها في ذاتها خارج العملية التعليمية نواجه بزخم من المقولات ، فالمعنيون لم يتفقوا على مفهوم مصطلحي يجمع شتات الكلمة ، ويحقق مقتضاها . والثقافة مستقلة أو متداخلة مع غيرها تبدو عصية الإدراك الشمولي ، إنها أشبه ما تكون بالهلاميات التي لم تتجسد في مفهوم مجمع عليه ، ومن ثم فإن تناولها في إطار العائد التربوي يضاعف غموضها ، والمعنيون ما فتئوا جراها في سهرٍ وخصام ، وهي في معزل عن إطارها التعليمي ، فكيف بهم إذا تناولوها بوصفها جزءاً من التربية والتعليم ؟ وحين نسأل عن حدود الثقافة المستقلة ، وعن حدودها حين تتداخل مع غيرها ، وعن حدودها حين تقوم الحاجة إلى تحديد القدر الكافي منها مرحلياً أو كلياً وعن النوع المطلوب منها ، يمتد بنا التحري إلى السؤال عن " المثقف " ، فمتى نكون محقين في إطلاق هذه السمة على إنسان " ما " ؟ ومن ثم نسأل " من المثقف " ؟ لقد اختلطت الأمور ، وأصبح كل إنسان يتطلع إلى هذا الاسم وذلك المسمى الباذخ ويدعيه ، ولا سيما بعد التخصص الذي نيل منه ، حتى لقد تحدث المفكرون عن أمية التخصص ، مما أدى إلى اختلاط المفاهيم حول مشروعية ادعاء الثقافة . فهل نطلق هذه السمة على [ المهندس ] و [الطبيب] ، و [القاضي] إذا كان كل واحد منهم لا يتقن إلا فنه ، ولا يعرف من الأشياء إلا ما يتعلق بتخصصه ؟ ومع تأبي الإجابة الدقيقة الواثقة نسأل : ما علاقة التعليم بالثقافة ونحن الآن نتحدث عن تماس المصطلحين ؟ وهل كل عالم متخصص مثقف ؟ بل يجب أن نسأل : هل يلزم لكل متخصص أن يكون مثقفاً ؟ وهل التخصص العلمي مقتضٍ لسمة الثقافة أو قل : هل التخصص ثقافة ؟ ومتى يجمع المتخصص بين سمة الثقافة وميزة التخصص ؟ لقد

قيل إن المثقف : [ من يعرف كل شيء عن شيء ، ويعرف شيئاً عن كل شيء ] . ولو قيدنا أنفسنا بهذا المصطلح لأصبح المثقفون قلة قليلة ، فمعرفة كل شيء عن شيء هو [ التخصص العلمي ] ، ومعرفة شيء عن كل شيء هو [الثقافة ] . فحين لا يعرف المتخصص شيئاً عن كل شيء لا يكون مثقفاً على ضوء هذا المصطلح ، وحين لا يعرف مدعي الثقافة كل شيء عن شيء لا يكون مثقفاً أيضاً على مقتضى هذا المصطلح ، وذلك مكمن الإشكالية في هذا التعريف المغري بصياغته . هذه المحاذير تجرنا إلى الموهوبين ، فـ[الشاعر ] ، و[القاص] ، و[الروائي] و[الرسام] و[الفنان] وسائر أصحاب المهارات المثيرة كل أولئك امتلكوا تلك السمات الإبداعية بالموهبة لا بالاقتدار ولا بالكسب ، والثقافة كسب واقتدار ، وليست موهبة تولد مع الإنسان . فهل نتحفظ على تسمية أحد منهم بالمثقف ؟ وحين لا نطلق على العالم والمبدع صفة المثقف ، فمن يستحقها من بعدهم ؟ يبدو لي أن هذا بعض إشكاليات المصطلح الذي أربك المتابعين ، على أن هناك شعراء جمعوا بين موهبة الإبداع وعمق الثقافة ، فحق لنا تسميتهم بالمثقفين كالمتنبي وكسائر الشعراء النقاد المعاصرين الذين كان لهم حضورهم الفاعل كصلاح عبدالصبور مثلاً ، وفي المقابل هناك شعراء مبدعون ، ولكنهم لم يُعْرفوا كمثقفين ، ولم تكن نصوصهم ذات بعد ثقافي ، وإنما هي ذات بعد جمالي ، ومن ثم أشيع في النقد الحديث مصطلح " ثقافة النص " وجاء من يتقصى الجذور الفكرية للنص ، وتحول الإبداع من رومانسيته وذاتيته إلى الدلجة ونهض بمهمات موضوعية .

ولا تقف الإشكالية في التعريف السابق عند هذا الحد ، بل تتبدى لنا معه أسئلة كثيرة . ما القدر المعرفي الذي يستحق معه الإنسان صفة الثقافة ؟ أيكون الكاتب الصحفي مثقفاً ، والجامعي الذي يمارس التدريس في التعليم العام مثقفاً والمنشىء الذي يحسن صياغة المقال لا غير مثقفاً ؟ وهل يكون المسؤول وظيفياً في مؤسسة ثقافية مثقفاً ؟ أم

أن هناك قدراً معرفياً متى استوفاه الإنسان حق لـه أن يكـون مثقفـاً ؟ ومـن يملـك حـق تقدير الكم المعرفي ؟ وما نوع هذا الكم ؟ . المشهد الثقافي يعج بخطابات متباينـة ، وقـد تكون متناقضة . خطابات [دينية] و[أدبية] و[فكرية] ، و[سياسية] كما تختلط فيه أنماط سلوكية ، ولا يستطيع التفاعل معها بوعـي إلا المثقـف الملـم بأبجديات هـذه الخطابات وتفاصيلها ، إننا نسمع بـ "الوجودية" و " البنيوية " و " الوضعية " و " ولايـة الفقيـه " و " الحداثة " و " الماسونية " و " السلفية " و " العلمانية " و " العولمة " و " الأنترنت " و " سائر المنظمات " و " المؤسسات العالمية " و " التكتـلات الاقتصاديـة " و " فلسـفة الأخـلاق " و " المصـالح " و " الاسـتراتيجيات " و " الخصخصـة " كـل هـذه الأشـياء ومعها أمثالها من مصطلحات ومسميات وطرق وأسـاليب يتداولها المشـهد السياسـي ، والثقافي ، والديني ، والاقتصادي ، ولا تحفل المناهج التعليمية بشـيء مـن ذلـك ، ولـو على مستوى الإشـارة أو الإثـارة . والبعـد الثقـافي الـذي نتطلـع إليـه في إطـار العمليـة التعليمية ، ليس هو ما تتصوره الأكثرية مقتصراً على تربية ذوقيـة أو أدبيـة وحسـب ، ومع الأسف فإن هذا التصور امتدت جذوره بحيـث طوقـت مفهـوم الثقافـة ، لتقـوم في مشاهدنا الفكرية والأدبية مفاهيم ناقصة " للثقافة " كالمفهوم " الأدبي " مثلاً ، إذ يـرى بعـض الأدبـاء والنقـاد أن الثقافـة تعـني [أدبيـة المـرء ] ، بمعنـى معرفتـه لفنـــون الأدب وشروطها ، والأدباء واتجاهـاتهم ، والمذاهـب النقديـة وآلياتهـا ، حتـى لقـد يتبـادر إلى الذهن أن " الثقافة " و " الأدب " صنوان ، لا تكـون الثقافـة بغـير المعرفـة الأدبيـة مـن حيث الأبعاد التاريخية ، والفنيـة ، والمضمونيـة ، والشـخصية ، والتأليفيـة ، ولا تكـون الثقافة في شيء خارج عن الأدب ، وكأني ـ على ضوء ذلك التحديد ـ أجـد المؤرخـين يـرون مـن حقهـم ادعـاء الثقافـة لمجـرد التـاريخ وقضايـاه وأحداثـه ، وأجـد الفقهـاء ، والبلاغيـين ، وعلمـاء الأصول ، يدعون ذلك أسوة بغيرهم ، والحق أنه ما من أحد من

هؤلاء وأولئك يملك مشروعية الاستئثار بصفة الثقافة ، ما لم يكن المرء مثقفاً متعدد المدركات متنوع الاهتمامات ، فالثقافة أشمل من أدبية الأديب وفقه الفقيه وتاريخية المؤرخ ، ومع هذا فالمشهد الأدبي أكثر إلحاحاً في احتوائها وادعائها ، وما من أديب أو شاعر أو قاص إلا ويعد نفسه مثقفاً حيزت له الثقافة بحذافيرها ، وعلى افتراض أن الأديب : ناقداً ، أو مبدعاً ، أو منظراً ، أو مؤرخاً يملك حق هذا الادعاء العريض ، فأي الحزبين أحق بها ؟ أهو الذي جاس خلال المعارف العامة من تراث ومعاصرة وأدب ، وفكر ، وعلوم شرعية ، وأطروحات سياسية واقتصادية ، واجتماعية ونفسية ؟ أم هو من عرف الأدب وجمالياتهِ والنقد وآلاته ، من نحو وصرف وبلاغة ؟ أهو ذلك الذوّاق المبهور الذي يلتقط كلمة من هنا وأخرى من هناك ثم يؤلف بينهما ويحسب نفسه بهذه الإنشائية وذلك التلفيق مثقفاً عميق الثقافة ، قارئاً شمولي القراءة ؟

لقد منيت المشاهد الثقافية والأدبية بطوائف خاوية بائسة تتلقى ركبان الحضارات كمسترقي السمع ، حتى إذا التقطت كلمة أو مصطلحاً أو مذهباً طارت به ، وأراقت ماءها لعارض غير ممطر أو لسراب بقيعة ، هذه الطوائف تدعي " الثقافة " وترى نفسها في صف النخبويين ، وهي خالية من التراث ، مقوية من المعاصرة . وهذا الفهم الخاطىء يزيد في أزمة المصطلح ، فلا الأدباء ولا المجتثون من فوق الأرض أحق بها من غيرهم ، وهذه التصورات محسوبة على أزمة المصطلح ، وهي أزمة غير عارضة وغير محلية ، وعلى افتراض أن المشهد الأدبي أقرب إلى مقتضى المصطلح الثقافي ، فإن إشكاليات أخرى تقوم معترضة سبيل هذا الافتراض ، مردها إلى نوع المشارب المعرفية ومدى التضلع منها ، أحسب أن طائفة ممن نعدهم من المثقفين لا يتوفرون على أقل مقتضياتها ، لقد أوغل البعض في الاستغراب ، وحسب أن هز الثوابت ، وأنسنة

الإلهي ، وتدنيس المقدس ، ونفي السائد ، والانقطاع المعرفي ، وإسقاط الشرط الفني ، وتداخل الفنون كل ذلك شرط أساسيّ لحيازة الثقافة ، قد يكون من بين أولئك من يملك ناصية الثقافة شئنا أم أبينا ، من مثل [ أركون ] و [أدونيس] وغيرهما كثير ، فهؤلاء المنكوسون على وجوههم مثقفون بلا ريب ، لانغمطهم حقهم ، ولكنها ثقافة نشنؤها ، ولا يجرمنا شنآنها على ألا نعدل ، غير أن طائفة منكوسة منحوسة ممن يمارسون الضدية لا يحق لهم ادعاؤها ، ولا يجوز لنا إطلاقها عليهم ، وليس ذلك من غمط الحق ، إذ هم أذيال وأصداء ، يعكسون الضوء ولا ينشئونه ويردون الصدى ولا يبدعون الصوت ، ويمثلون ثقافة السماع بكل ضحالتها وتسطحها . لقد انتهكت حرمة هذا المصطلح إلى حد لم تعد معه القدرة ممكنة على الفرز الصحيح وإحقاق الحق .

ومع كل هذه الإشكاليات والأزمات المصطلحية ، فإن المشهد الأدبي بوصفه جزءاً من الثقافة أو بوصفه كل الثقافة ، لم تنتجه المناهج التعليمية ، إذ هو عالم آخر من المصطلحات ، والمذاهب ، والمفاهيم والاتجاهات والمضامين والقيم والمضامير والفعل الإجرائي ، والإبداعي ، ليس للتعليم عليه فضل ولا منة ، وكدليل على الانقطاع بين المشهد الأدبي والمنهج التعليمي ما نعايشه من مناهج أدبية وظواهر فنية سواء منها ما يتعلق بعلم الآلة كالنحو والصرف ، والبلاغة ، وعلم اللغة ، ومهارة الخط ، أو ما يتعلق بذات الأدب تاريخاً ، ونصاً ، وتراجمَ ، وتحليلاً . فهل ما نقرؤه في الملاحق الأدبية ، والمجلات الأدبية وكتب الأدب المعاصر دراسة وإبداعاً وتنظيراً تسهم في إنتاجه مناهجنا التعليمية ذات الطابع الأدبي أو تسهم في إعداد الطالب لمواجهته ؟ .

أحيب أننا نجازف لو قلنا نعم ـ وإذاً وعلى افتراض أن الأدب هو كل الثقافة لا بعضها ـ نجد أن مناهجنا لم تنهض بمهمة المؤاخاة بين المشهد الأدبي ، والحقل التعليمي . وذلك مأخذ يضاف إلى ما سلف وإلى ما هو آت من الملاحظات التي يجب تداركها ، وقد

فصلت القول حول هذه الإشكالية في كتابي [ النص الإبداعي التربوي إشكالية الاختيار والدرس ] وهو ما تفضلت وزارة المعارف بطباعته ، لقد ألمحت إلى ما ينقص الدرس الأدبي في المنهج التعليمي ، وأنا متيقن من أن الوزارة تملك مرونة مقبولة في سبيل التحرف إلى الأفضل . وحين نلملم أنفسنا من هذا التشتت وتلك الهواجس والخواطر المتبعثرة ونتجه صوب ثنائية العنوان مرة أخرى : [التعليم] و [الثقافة] تقوم رغبات متواضعة أو مرحلية باتجاه الأفضل ، حتى لقد نرى أنفسنا لا نقول إلا معاداً ومن ثم نعيد التساؤل نفسه : هل يوفر المنهج التعليمي القائم من الثقافة ما يمكن الإنسان المتعلم من التعايش السلمي أو المعرفي مع تلك الخطابات ؟ ذلك فضلاً عن شروط التعامل اليقظ مع الأوضاع القائمة والمتداولة وضوابط هذه الأوضاع وأنظمتها ومواصفاتها . إننا أمام خلافات تتلاطم وتصورات تتنامى حول [مفهوم الثقافة] ، وتلافياً لذلك دعونا نَعُدْ إلى جذر المصطلح ودلالاته الوضعية والمجازية والسياقية والمصطلحية ، أملاً في الاقتراب من الحل ، فكلمة " ثَقِفَ " بمعنى وجد ، وحذق ، وفطن ، وأدرك ، وظفر .

وثاقفه مثقافة : خاصمه ، وجالده ، ولاعبه .

وثَقَّف : أقام المعوج ، وسواه ، وأدَّب ، وعلم ، وهذَّب .

ثلاث كلمات ذوات أصول دلالية متقاربة يهمنا منها أصلان : [الحذق] و [ التهذيب] فمنهما - حسبما أرى - نسل مصطلح [الثقافة] وهما في نظري بعض العلاقة بين الدلالة الوضعية والمصطلحية . ذلك بعض المدلول الوضعي كما هو في بعض المعاجم . فهل يسعفنا ذلك المدلول الوضعي على فهم المصطلح ، وتحديد المقتضى واستيعاب الشرط والمقدار والمدى ؟ .

و " الثقافة " بوصفها مصطلحاً ، اضطربت حولها الأقوال كما اضطربت المفاهيم ،

حتى لم يستطع أحد أن يقطع بتعريف شامل دقيق ، وقد سقنا بعض التعريفات ، وأثرنا حولها كثيراً من التساؤلات والتحفظات ، ونجد أنفسنا مضطرين إلى معاودة الحديث عن تعاريف أخرى عسى أن يبين معها وجه الصواب لنحدد علاقة التعليم بالبعد الثقافي . فقد جاء في المعجم الوسيط تعريف الثقافة على أنها جماع : [ العلوم ، والمعارف ، والفنون التي يطلب الحذق فيها ] [1] . وهو تعريف أقره المجمع ، وتبدو بساطته وعدم دقته ، لتداخله مع العلم . على أن هناك تعريفات في المعاجم والموسوعات وكتب الفلسفة تخلط في التعريف ، بحيث تتناول الثقافة من جانب علاقتها بالمعلومات التي يختص بها المؤلف ، وقد تجنح التعاريف إلى تاريخية المصطلح . ومن معضلات المصطلح تناميه من جهة ، ومؤاخاته لكل علم وفن من جهة أخرى . لقد شهدت في كتب المعاجم والموسوعات خلطاً غريباً وتبايناً واضحاً وتعدداً مأهولاً في الصياغات ، مما يوحي بارتباك واختلاف .

وإشكالية المصطلح ـ أيضاً ـ مرتبطة بمراوغته ، إذ الثقافة تكون مادية ، ومعنوية ، تكون ممارسة ، وكسباً معرفياً . فالممارسة والتعامل والتكيف تحمل على الوصف بالثقافة ، والثقافة في أوسع تعاريفها حسبما أرى من خلال تقصي مقولات متعددة : كل ما وسعته اللغة ، وشاهدته العين ، ووعته الذاكرة ، وحذقته الممارسة ، وأحسه الإنسان ، فشكل عنه خبرة أو انطباعاً ، واستعان به في مواجهة الأشياء وسد الحاجات ومعالجة النوازل . ذلك ما أتوقعه ، ولست على يقين من بلوغ الغاية وحسم الإشكالية ، ولكنه إدلاء برأي شأني في ذلك شأن غيري فكل متابع يعرفها حسبما يرى ، وما عليه من بأس حين يختلف معه الآخرون . وما شاهدته العين أو وعته الذاكرة أو حذقته المهارة حين يتجمع تحت مسمى واحد ثم لا يخالطه غيره ، يخرج من إطار الثقافة إلى محدودية التخصص .

والثقافة ، والحضارة ، والمدنية ، مصطلحات كالدوائر المتداخلة المتباينة ، قيل : إن الحضارة تقوم في الجماعة ، والثقافة تقوم في الفرد ، أو أن الثقافة داخل الإنسان ، والحضارة خارجه ، وقيل : المدنية ممارسة مادية ، والحضارة معارف ، والثقافة مكتسبات ذاتية ، ويوسف عليه السلام ربط بين خروجه من السجن ومجيء أهله من البدو ليوضح أهمية التحضر ، وأيا ما كان الأمر ، فالثقافة قادرة على أن تتداخل مع المعرفة ، والمدنية ، والعلم ، والحضارة ، ولا شيء من هذه يحمل المرونة التي يحملها مصطلح [الثقافة] .

ويبدو لي وأنا أمام خضم التعريفات أن تعريف عالم الأجناس [إدوارد تايلور] للثقافة هو الأقرب ، وإن كانت الثقافة عصية الإذعان لتعريف جامع مانع. يقول تايلور: [الثقافة : هي ذلك الكل المركب الذي يتضمن المعرفة ، والعقيدة ، والفن، والأخلاق ، والعادة ، وأية قدرات اكتسبها الإنسان كعضو في مجتمع ] (٢) .

وهذا التعريف لم يقف عند عناصر محددة ، كالعقيدة ، والفن ، وإنما انفتح على الاحتمال بقوله : [ وأية قدرات اكتسبها الإنسان ] . و [أية] هنا عامة شاملة تتسع لكل مكتسب ، ومن ثم لم تكن مقولة [تايلور] تعريفاً جامعاً مانعاً محدداً . ولعلنا نعود إلى ملحظ عميق في تعريف [تايلور] وهو قوله : [الكل المركب] إذ يرمي بهذه العبارة إلى نظام معرفي ، أو معرفة منظمة ، ومن ثم فليست الثقافة مجرد المعرفة ، [فالطفل] يعرف أمه وأباه والأشياء من حوله ، و[الأمي] يعرف أشياء كثيرة . وكل إنسان بدائي له مكتسباته وخبراته ، ولكنها معرفة مفردات ، قد لا ترقى إلى مستوى [الكل المركب] الذي عناه [تايلور] . فهذه المعرفة البسيطة لا تسمى ثقافة ، الثقافة هي المكتسب المستهدف بوعي ، والموظف لهدف . لقد دُرس تعريف [تايلور] وانتقيت منه ثلاثة عناصر : [الكل المركب] و[الاكتساب] و[الأخلاق] بحيث يشير " التركيب " إلى

النظام ، ويشير " الاكتساب " إلى الإجراءات الواعية ، ويشير [ الاختلاف ] إلى الأهداف [٣] .

والمعنيون بوسائل التعليم والتربية والتثقيف وآلياتها ، يعرفون كم هو الفرق بين آلية وأخرى ، ويعرفون قدر الحاجة إلى كل حقل من تلك الحقول المعرفية ، ويدركون جيداً كيف يصوغون مناهجهم ، وكيف يغيرون فيها ، ومتى يستبدلون ، وماذا يستبدلون ، ومتى تقوم الحاجة إلى التغيير أو الاستبدال ، ومع هذه الإمكانيات ، فإن القدرة والمعرفة وحدهما غير كافيتين للرهان على نجاح المشاريع في ظل الحاجة إلى التغيير أو الاستبدال ، إن هناك بيئةً اجتماعية ، ونوعيةً من الكفاءة البشرية ، ومستوى من الوعي والمرونةِ والقابليةِ ، وهناك مع هذا جغرافيا فكرية ودينية وأعراف اجتماعية ومستوى حضاري وقدرة ذهنية ، قد لا يكون شيء من ذلك متوفراً بالقدر الكافي لطرح مثل تلك المشاريع الطموحة أو التعديلات الجذرية . وتلك الإشكالية واحدة من أخطر المعضلات ، فليس كل مثالية يمكن تمثلها ، ألم يقل الرسول ﷺ لعائشة : [ لولا أن قومَك حدثاءُ عهدٍ بكفر لأعدتُ بناء الكعبة على قواعد إبراهيم ] وما منعه من الفاصل إلا تلك الجغرافيا الدينية التي حملته على مراعاة الواقع . وأمام تلك الأوضاع يكون المسؤول أمام خيارات أحلاها مر .

فهل يغامر المسؤولُ بمثالياته ويدخلُ في رهانات خاسرة ؟ أو يعطى جرعات مناسبة وحلولاً مرحلية ، قد يفوت معها على نفسه وعلى أمته اللحاق بالآخر ، أو يستدبر التغيير الناجز والمرحلي ويحفظ ولا يصلح أحسب أننا بحاجة إلى قراءة الواقع والإمكانيات والظروف والملابسات وجغرافيا الأمة الفكرية والدينية والاجتماعية ومدى إمكانياتها على استيعاب التغيير قبل أن نطالبَ بما لا نقدرُ عليه .

ومع هذه الهواجس تظل المحاولةُ مشروعةً ، والتجريبُ مباحاً . وما على الصادقين في صدقهم المخلصين في عملهم من بأس حين يخذلهم الواقع ، أو حين تعوقهم الإمكانيات ، فمن أدلج بلغ الغاية وعند الصباح يحمدُ القومُ السرى . إن مرونةَ التغيير حاجة ملحة ، واليقظةُ من خطورة الخطأ في التغيير سمة مطلوبة .

## (٤)

وحين نقطع بأن التعليم ، والتربية ، والتثقيف ، أصناء ، نجد أن مترادفات أُخر تتداخل مع تلك المصطلحات وتفترق ، وهذا لون من الترادف والمفارقة في آن ، ومن ثم نجد أن بين [العلم] و[المعرفة] خصوصاً وعموماً ، وبين [العلم] و [الثقافة] ، وبينها وبين [الحضارة] و [المدنية] مثل ذلك . فالعلم إدراك الشيء على حقيقته ، وهي حقيقة نسبية ، وليست مطلقة ، إذ لا حقيقة مطلقة في الحياة الدنيا ، والمعرفة إدراك الجزئي من الكلي أو اللازم له كما في الكناية ، ولهذا يُقال : عرفت ا لله ولا يقال : علمتُ ا لله . فا لله جلّ وعلا يعرف بآياته ، ولا يحاط به . فكأن العلم إحاطة نسبية بذات الشيء ، والمعرفة إدراك لعوارض الشيء من خلال علاماته ، وآياته . و[نظرية المعرفة] هي الطريقة التي يتوصل بها الفلاسفة وأصحاب المذاهب والنحل والملل إلى معرفة الأشياء أو تصورها ، فلكل فلسفة أو عقيدة نظرياتها وآلياتها ومناهجها المعرفية ، ومن ثم يقال : " نظرية المعرفة " عند طائفة أو عالم أو فكر أو عقيدة ، ولسنا نشك أن العملية التعليمية لن توفر الإحاطة النوعية ولا الكمية بكل الأشياء المهمة ، ولكننا نتوق ـ ومن حقنا ذلك ـ إلى توفر أكبر قدر من الإحاطة ، وما لم نضع كل الحساب لأهمية الثقافة التي توفر قدراً أكبر من الإحاطة والمعرفة ، فإننا سنكون مقصرين في استكمال متطلبات التعليم . هذا إذا عرفنا واقع الحياة وما فيها من إمكانيات أدت إلى تحويل الكماليات إلى ضروريات ، والثانويات إلى أوليات ، ولكي ندرك قصور الثقافة لدى الخاصة والعامة من حملة الشهادات ومن الدهماء ، دعونا نتساءل : ما مبلغهم من العلم في فهم كل مستعملاتهم الآلية وأسلوب تعاملهم مع المؤسسات المنتشرة في البلاد في قطاعات التجارة ، والزراعة ، والصناعة ، والطب ، والخدمات العامة ، وإمكانياتهم

في فهم ما يتدفق من معارف وأخبار ومصطلحات عبر وسائل الإعلام المقروء والمسموع والمرئي ، وحين ننحي باللائمة على هؤلاء وأولئك نستثني المتميزين ونقيم حكمنا على التغليب ، وتلك سنة شرعية ، ومعضلة العصر أنه عصر الانفجار المعرفي والتقنية المعقدة حتى لقد أضيف هذا العصر إلى أبرز منجزاته فقيل عصر العلم أو الفضائيات أو الحاسبات ، وقيل : أن من لم يستطع التعامل مع الكمبيوتر بحذق يعد أمياً . وإذا كنا نؤكد على ربط المضمون الثقافي بالمشاهد ، والمعايش إضافة إلى قدر من التأصيل المعرفي ، فإننا في الوقت ذاته نؤكد على استيفاء المنهج التعليمي لما هو قائم ، ولما هو مستعمل ، وسأضرب مثلاً على تقصير المنهج عن ملامسة الواقع واستيعاب النوازل ، سألت أحد طلبة الشريعة عما إذا كانوا يتلقون فقه النوازل كالمستجدات الاقتصادية فيما يتعلق بالبنوك ، وأنظمتها وسجلاتها ، وفواتيرها وأساليب مضارباتها ، وفيما يتعلق بالجنايات كأحداث المرور ، وهل لأنظمة البنوك وتعليمات المرور وأنظمته التي تأخذ حكم الشرط مجال في متن الدرس الفقهي ؟ وهل لسائر الأنظمة الملزمة شرعاً لاعتمادها من ولي الأمر الذي تجب طاعته فيما لا معصية فيه مجال في صلب الدرس الفقهي ؟ فما زاد على أننا لا نتجاوز [الزاد] ، وما ذكرت قد نراه كغيرنا في كتب الفتاوي أو في الدراسات الحديثة ، ولكنه لم يدرج ضمن متن الدرس ليكون [كمن وقصته ناقته] وكبنت اللبون والجذعة في الزكاة ، وكالمكاييل والمسافات وابضاع الرقيق وسائر مسائل البيوع وأمثلتها التي ليس لها أدنى وجود ، وأحسب أن طائفة من علمائنا ينتابهم ألم من تغييب النوازل من أمثال العلامة بكر أبو زيد ، وعبدالوهاب أبو سليمان ، وعبدالعزيز قاري ، ومن حقهم ذلك إذ في النص التشريعي ما يستوعب كل النوازل التي لم تدرج بعد في متن الفقه الذي يدرس لطلبة التخصص ، ومثلما يقال عن طالب " الزاد " يقال عن طالب " البلاغة " التي لم تتجاوز إلى المستجد من المناهج

الأسلوبية الحديثة ، ويقال أشياء كثيرة عن مواد ومناهج لم تتجاوز محدوديتها وتراثيتها وكأننا خلق نسل من القرن الرابع أو الثامن . ولا شك أن نصيب الثقافة لا يختلف عما سلف من الأنصبة ، إننا بحاجة إلى التفكير الجاد في التغيير الجذري . وإن لم نفعل ظلمنا أنفسنا ، وظلمنا تراثنا الديني ، والفكري والأدبي ، والثقافي وصرنا أبناء تاريخ لا أبناء حاضر .

وأهمية التعليم في ظل هذا الانفجار المعرفي تتنامى مع تنامي الحياة وتعقيداتها والنوازل وتعددها والأنظمة وتشعبها والمتغيرات وأوصافها ، والتعليم الإجرائي ميسور ، ومكمن الخطورة والأهمية في تحديد مادته وفي عملية توصيله .

إن بناء الإنسان في عصر العلم والتواصل والتحدي وتعارض المصالح وصدام الحضارات أهم وأصعب من بناء الحياة ، بل هو بناء الحياة ، والإنسان البدائي تيسر له تكييف نفسه مع الطبيعة حيث لم يتناقض مع نفسه ولم يختلف مع غيره ، وحين حقق التآخي مع الطبيعة والقبول بفطريتها ، بدأت محاولة تشكيل الحياة لا تشكيل الذات لتكون مستجيبة لحاجاته المتنامية . في البدء كان الهم مقتصراً على " الأمن " و " الغذاء " و " السكن " . وحين نمت الحاجات ، وتعقدت مطالب الحياة ، وتفرق الأناسي في فجاج الأرض وتغيرت أشكالهم ، وألوانهم ، ولغاتهم ، وتفرقت رؤاهم ، وعقائدهم ، وأنماط حياتهم ، فكر الإنسان في التواصل أولاً ، ثم في التصالح أو السيطرة ثانياً ، وكان أن فكر ابتداءً في اختصار المسافات وحمل الأثقال فاتخذ الجياد ، والأنعام والبغال والحمير ، وظل وعد الله : [ ويخلق مالا تعلمون ] كامنا حتى تبدى في تلك الصناعات المذهلة . وتنامى الصراع مع الطبيعة حتى أذعنت وتحولت إلى حضارة ومدنية ، ولم تعد فطرية بسيطة . ومع تنامي الصراع مع المستجدات ، وتعقد الحياة ، وتعدد وجوهها بشكل مخيف ، تحول الإنسان معها إلى جهاز تحكمه ، وتتحكم به آليات مادية ، واقترب من

التهميش باستفحال الإنسان الآلي ، وها نحن الآن نكاد نشهد إلغاء المسافات بحيث تحولت الأرض إلى مدرك فردي ، يتمكن معه الفرد من رؤية كل شيء ، وسماع كل صوت ، والوقوف على كل حدث ، والتفاعل مع كل جديد عبر قنوات فضائية منتشرة في كل بقعة من الأرض ، يعيش الإنسان الحدث حياً على الهواء ، وتبثه بكل تفاصيله إلى جميع أنحاء العالم تلك المحطات لحظة بلحظة ، ومع ما وفرته تلك الإمكانيات من راحة واختصار للجهد والوقت ، جلبت معها تحديات عصبية ، ألقت بالإنسان في أتون المشاكل ، وجعلته أمام خيارين : الحياة الكريمة ، أو الضعة المهمشة .

وتنامي الحاجات ، والسباقُ المعرفي من أجل الهيمنة وضع التربويين في الحرج ، فهم مطالبون بتغيير مناهجهم ، وترتيب الأولويات المعرفية ، وحجم التناول المعرفي ، والزمن الكافي لتوفير القدر المناسب من المعارف والمهارات والثقافات وأساليب التعامل بين فترة وأخرى ، وليس من السهل التعديل والتبديل المرتجل ، كما أنه ليس من السهل السكون وعدم التغيير .

إن رجال التربية والتعليم أمام خيارات صعبة ، على حد قول الشاعر في نظرات محبوبته :

أواه إن نظرت وإن هي أعرضت
وقع السهام ونزعهـــــن أليم

فالسكون والتغيير قضيتان عصيبتان ، والذين يطالبون بنمطية التعليم وثباته ، والذين يطالبون بالتغيير المشروط وغير المشروط الجزئي أو الكلي ، كلاهما يحتاج إلى تفكير جاد وبصر حاد وبصيرة واعية ، فالأمر ليس من السهولة بحيث يتم بجرة قلم . وأمريكا التي تمتلك أقصى حد من المرونة والحرية يجتاحها الاستياء من تلاحق التجريب والتغيير ، ويبدي البعض تذمره من استفحال التجريب في الحقل التربوي ، وقد سمعت

أو قرأت ـ إن لم تخني الذاكرة ـ أن مظاهرات خرجت ذات يوم تندد بالعالم التربوي [جون ديوي ] بسبب تتابع تحولاته ، وتعدد خياراته واستمرار تجاربه ، ولعلنا قد سمعنا ـ أيضاً ـ بعض التذمرات ، ونحن نشاهد في قطاعاتنا التعليمية بعض المرونة في التغيير ، حتى لقد سخر البعض من ذلك ، وهو تغيير محسوب وهادىء ، ولكن عقدة "الأبوية " تكاد تقع منا موقع التمثل [ إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ] وفي آية [ مهتدون] واعتراضي ليس على اختلاف الرأي ، وإنما هو على رفض التغيير والوقوع تحت طائلة [ ليس في الإمكان أحسن مما كان ] أو [ ما ترك الأول للآخر شيئاً ] . إن من حقنا أن نختلف حول الأفضليات والأولويات ، ولكن ليس من حقنا أن نختلف حول مشروعية التغيير .

ولعلنا في حديثنا ـ كما أشرت سلفاً ـ نتفادى العلمية في تناول المفردات إلا بقدر ما يوفر لنا الإمكانية القادرة على بلورة الرؤية . ولما كانت المناهج التعليمية تقوم على ثلاثة مرتكزات معرفية : " الإنسانيات " و " العلوم " و " التطبيقات " كان لزاماً علينا أن نعرف مضمار الثقافة ومدرجة العلم في هذه المرتكزات لنحقق التوازن المطلوب .

" فالإنسانيات " سبيلها المعرفة و [التطبيقات ] سبيلها الممارسة و " العلوم " سبيلها التعليم ، وحيث تقوم الثقافة في المرتكز الأول " الإنسانيات " فإن الإشكالية في نوع "الإنسانيات " الملائمة للمرحلة المعيشة ، فـ"التاريخ" مثلاً من العلوم " الإنسانية " ، وكذلك " علم الآلة " من : نحو ، وصرف ، وبلاغة ، وعلم لغة . و " الجغرافيا " هي الأخرى من الإنسانيات ، ونحن إزاء هذا الكم المعرفي المنبثق من العلوم الإنسانية بحاجة إلى ترتيبها في جدول الأهميات ، " فالتاريخ " مثلاً أحقاب من الأزمنة ، وأرتال من الأحداث ، وطبقات من الأبطال ، وهو منذ النشأة الأولى يشكل عمقاً لنا ، فتاريخنا الديني ، والسياسي ، والفكري ، والأدبي ، واللغوي قائم ، وليس هناك انقطاع معرفي

كما يروج الحداثيون ، وحين نستدعيه مادة مدروسة نتساءل : ما القدر الكافي منه ؟ وما المرحلة المناسبة ؟ وما المنهج الجدير لتطبيقه بحيث يوفر لنا ثقافة كافية لمواجهة الحياة ؟ إذاً نحن مطالبون بتحديد القدر ، والنوعية : القدر الكافي لإعداد الإنسان ثقافياً لمواجهة المستجدات ، والنوعية الملائمة للحياة المعاصرة ، وكلا القدر والنوعية بحاجة إلى أسلوب ملائم للتوصيل ، بحيث لا يؤثر على ثوابت المنهج الدراسي وأولوياته ، وشيء آخر يتعلق بثقافات الشعوب ، وأولوياتها ، فلكل شعب الحق في ترتيب أولوياته بشكل لا يضخم فيه الأنا ويلغي فيه الآخر ، ولا يضخم الآخر ويلغي الأنا ، وهذان الداءان واقعان عند كثير من الأمم ، وهما ماثلان عندنا في طائفة من التراثيين وفي كل الحداثيين .

لقد سمعنا في إطار المناهج نغمة المواد التخصصية ، والمواد التكميلية ، والمواد الدينية ، وضقنا من تزاحم تلك الرغبات ، حتى لقد أوشكت أن تكون من تزاحم الأضداد ، وما زلنا نتساءل عن طبيعة تلك المواد وأحقيتها في الحضور ، والمعضلة الأكثر حساسية تداخل الديني في الثقافي ، والعربي في الإنساني ، ومع هذا التداخل والتزاحم ، هل نعد مادة الدين من باب الثقافة أم أنها مادة تأصيلية ؟ إن هناك محاذير تقوم في مشروعية التصنيف ، وحين تقوم تربيتنا على أساس الدين ، وتلك قضية لا مجال لبحثها ، فأي لون من ألوان الدين ومواده يمكن الأخذ منه ؟ التفسير ، الحديث ، الفقه ، التوحيد ، مصطلحات تلك المعارف وأصولها ، وحتى التفسير هل ندرسه بآليات اللغويين أم بآليات المؤرخين ، أم بآليات الفقهاء ؟ وكيف تكون دراسته في تخصص التفسير ودراسته في تخصص الفقه أو اللغة أو التاريخ ، إنه من السهل القول في ذلك ، ولكن من الصعب تطبيق ذلك منهجياً ، طالب الشريعة يدرسه في [فتح القدير] ، وطالب اللغة يدرسه في [فتح القدير] ، وأستاذ التخصصين واحد ، وما أعرفه ، أو ما يجب أن

يكون ، أن يدرسه اللغوي لغوياً وأسلوبياً ونحوياً وصرفياً ويدرسه الشرعي أحكاماً ، ولا بأس أن يتعاضد المنهجان بما لا يلغي طبيعة كل منهج ، ويقال مثل هذا في مادة الحديث في التخصص الشرعي واللغوي .

نقول هذا والمناهج مطالبة بتوفير مادة التخصص ، ومادة الخصوصية : التخصص العلمي ، والخصوصية الذاتية والسمة الشعبوية ، إذ هناك خصوصية دينية ، وأخص شعبية ، وكل أمة تقع ضمن دوائر متداخلة ، دائرة الإقليمية ، ودائرة العروبة ، ودائرة الإسلام ، والدائرة الإنسانية أو العالمية ، وللأمة قسط في كل دائرة لا بد أن يقدر بقدره ، فالعلم المجرد لا يؤكد خصوصية الأمة ، وتحقيق الهوية وحدها لا يحقق المنافسة والتفوق . والمناهج إن لم تتمكن من ملاحقة المتغيرات تظل واقفة في مستوى دونيّ مسبوق ، في حين تتقدم الحياة ، وتتبدل ، ويتغير سلم الأهميات ، ومن هنا تبدو الثغرات في المنهج الثابت أو البطيء التحرك ، ويسهم هذا من حيث لا يريد المنهج ، ولا يريد صانعوه في عزل الدارسين عن فهم الحياة وحسن التعامل مع مستجداتها .

وحين نؤكد على أهمية البعد الثقافي في العملية التعليمية ، تقوم تساؤلات مشروعة عن نوعية المضمون الثقافي ، وعن حجم هذا المضمون ، إذ ليس كل ثقافة نحن بحاجة إليها ، إننا مطالبون بالانتقاء لا على شرط الجودة والأفضلية وحسب ، ولكن على شرط الحاجة والمطلب أيضاً ، فكل دولة وكل مجتمع تقوم حاجته إلى لون ثقافي مغاير ، وهذا يجرنا إلى مراعاة البيئة ومتطلبات المرحلة ، وتزداد الخيارات تعقيداً بضرورة التبدل والتغير المتواصلين في وجوه الحاجة على المستويين التعليمي والتثقيفي ، والذين يضيقون ذرعاً بالتغيير والتبديل لا يدركون سنة الحياة وطبيعتها القائمتين على التبدل المستمر ولا يدركون أننا أبناء حاضرنا ولسنا أبناء تاريخنا ، وحتى ضابط الثبات والتغيير قد لا يكون ملائماً للحركة القائمة ، فإما أن يكون أسرع منها أو أبطأ ، وفي

كلا الحالين يقع المسؤول في خطأ المغايرة . لقد كان حذيفة بن اليمان يسأل عن الشر ، وكان الصحابة يسألون عن الخير ، وهذا لون من المغايرة المعرفية والثقافية ، فحذيفة يخاف الوقوع في المجهول ، والصحابة يخافون التقصير في المطلوب ، والدين الإسلامي استوعب الرغبتين تاركاً للمسلم السوي الفصل عند تعارض الخيارات .

وواجب الراصدين للمناهج المسؤولين عن التشريع والتغيير أن يعرفوا حجم التفاعل مع مفردات الثقافة القائمة وأهمية ذلك . إن هناك ثقافة عامة يفرضها التعامل مع الآخر ، وثقافة خاصة تنشئها الحاجة للتعامل مع كيان الأمة وأنماط ممارساتها ولنضرب مثلاً بالأنظمة المطبقة في المجال العملي ، كأنظمة المرور ، وأنظمة الخدمات العامة ، ونظام الموظفين ، ونظام القوى العاملة وأساليب التعامل مع المنشآت والمؤسسات الخدمية والترفيهية والرياضية ، وغيرها مما يمس حياة العامة والخاصة ، وأمام هذا الكم من الأنظمة نتساءل : أيُّ القنوات التثقيفية تحمل مسؤولية توصيل هذه الأنظمة بوصفها جزءاً هاماً من الثقافة العامة ؟ أهي قنوات التعليم ، أم قنوات الإعلام ، أم المؤسسات الثقافية كالأندية والمراكز والجمعيات ؟ والطالب الذي يتخرج في الجامعة ويخرج إلى المجتمع ثم لا يعرف أنظمة الدولة التي تنظم سائر شؤون الحياة المغموس فيها ، ولا شيئاً من ثقافة المجتمع وبنيته الدينية والسياسية والاجتماعية والتاريخية ولا يعرف مثمنات أمته ولا أسلوب التعامل الإيجابي معها ولا طريقة تكوين هذا الكيان السياسي ، ولا يعرف رجالاته الذين قضوا نحبهم ولا المنتظرين ، هل تكون التربية والتعليم قد أعدَّتاه الإعداد السليم ؟

وإذا صرفنا النظر عن تعليم المهارات وسائر المهن بوصفها خارج المجال الثقافي ، فكيف نوجه تقصير التعليم في تثقيف الطالب بمثل هذه الأشياء وهي كثيرة متنوعة ، وخروج المؤهل إلى المجتمع دون وعي تام بما يدور فيه من أنظمة وتعليمات ، وما يستعمل فيه

من آلات ووسائل وما يستخدم من منشآت يعد تقصيراً لا مبرر له . وتلافياً لهذا التقصير يبدو أننا بحاجة إلى مادتين هامتين : إحداهما طرحت وهي مادة " التربية الوطنية " والثانية لم يفكر أحدٌ بعد في طرحها بالصيغة التي أريد ، وهي "الثقافة العامة " وأحسب أننا سنحقق الشيء الكثير متى أحسنا إعداد الموضوعات لهاتين المادتين .

وأذكر أنني حاضرت في هذا الموضوع ، وتطلعت إلى منهج إيجابي يحقق [التربية الوطنية] بمفهومها الحضاري ومقتضاها الإقليمي وبخصوصيتها الوطنية والدينية ونظام حكمها وطرائق تكوينه وتحولاته ومؤسساته ، بحيث يصرف معد المنهج ومؤلف المادة ومختارها نظره عن الممارسة الوصفية للمنجزات والمباهاة بالمنجز المادي والمدني والحضاري . وملت إلى ممارسة تثقيفية تحاول إعداد الطالب لمواجهة الحياة المحلية والعالمية بوعي تام ، يحقق وطنيته بشكل حضاري . فكل مثمنات الوطن ومنجزاته جزء منه ، وحسن التعامل مع الحسيات والمعنويات جزء من المواطنة السليمة ، وقراءة التاريخ الحديث لهذا الوطن لون من الثقافة والمواطنة والعلم في آن واحد . ومن ثم فنحن أحوج ما نكون إلى إدخال مادتي [التربية الوطنية] و[الثقافة العامة] بشكل بعيد عن السرديات والتوصيف وبعيد عن الاشتغال بالمباهاة ، والتلهي باستعراض المنجز دون التفكير بأسلوب التعامل معه تعاملاً إيجابياً وفهم نظامه .

" التربية الوطنية " و " الثقافة العامة " صنوان وليس من السهل تخطف الموضوعات أو ابتسارها لتكون مفردات لتلك المادتين . لقد اتخذت مادة [الثقافة الإسلامية] القائمة أسلوب الدفاع عن الإسلام والتصدي للمستشرقين ، فركزت على قضايا "الرق" و"الطلاق" و"الجهاد" و"الخلافة" ، وسائر [حقوق المرأة] وكان يحسن بها أن تمارس المساءلة عما قدمته الحضارات الأخرى من إيجابيات ليست من مقتضيات الإسلام ، إنني أتطلع إلى فريق عمل يجس نبض العملية التعليمية ، ويعرف مناطق النقص فيها .

ومن ثم يعمل على استيفاء ذلك من خلال تلك المادتين .

إن التربية الوطنية تتطلب التركيز على محورين :

المحور الأول : التعريف بالوطن من خلال تاريخه ، ومنجزه ، ومنهج حياته وتميزه الديني والجغرافي والاقتصادي والقومي والتراثي .

المحور الثاني : التعريف بأسلوب التعامل مع مفرداته الحسية والمعنوية بما يكفل تفعيل هذه المفردات .

أما " الثقافة العامة " فذات شقين :

الشق الأول : ما يتعلق بالعقيدة وهي الجانب الإسلامي من الثقافة .

الشق الثاني : ما يتعلق بسائر وجوه الحياة ومستجداتها وهو الجانب الحضاري من الثقافة .

أحسب أننا بهذا نستطيع أن نحقق للناشئة ثقافة ملائمة لحياتهم المعقدة والمتنامية والمتغيرة .

وحين يمتلىء المنهج الرديف بما هو عقدي وحضاري ووطني ، تشرئب أعناقنا إلى ما هو محيط بنا ، فنحن أمة نعيش في أتون الأحداث ، ولنا حساباتنا وأثرنا ومصالحنا ، ولا يمكن أن نرقب المشهد السياسي والاقتصادي من بعيد دون تأثر أو تأثير ، بحيث نسلّم لمنجز الآخرين ، ونتلون كالحرباء للاندماج فيه .

إن قدرنا بوصفنا أمة إسلامية ذات مقدسات ، وبوصفنا أمة غنية ذات مخزون اقتصادي ، وبوصفنا أمة عربية ذات عمق تاريخي وجغرافي يحتم على أفرادنا وجماعاتنا أن نكون بمستوى مقدراتنا ومثمناتنا ، والدخول المقتدر إلى حلبة الصراع لا يمكن ترتيب أوراقه من خلال رغبات فردية أو رؤى معزولة عن المشهد العالمي .

إننا في عصر المؤسسات والمطابخ السياسية والفكرية ، ولم يعد لقرار الفرد مجال ، لقد وعت دولتنا هذا الواقع فعمدت إلى تتابع التغيير ، والتحول المؤسساتي ، وبوادر الشورى ونظام الحكم ونظام المناطق والمجالس بداية إيجابية ، ولم يبق إلا أن تعي النخب هذا الهم وأهدافه ، وأن تمارس تفعيل تلك المؤسسات لتؤدي الدور المطلوب منها . ولا يمكن تحقيق الوعي الجماهيري إلا من خلال جرعات تثقيفية محسوبة ومنتقاة ، ولكي يتم ذلك على الوجه الأكمل لا بد من المؤاخاة بين التعليم والثقافة . إننا في زمن مُواتٍ ، وظروفنا تشكل فرصة ثمينة ، والفرص لا تطرق الباب أكثر من مرة ، فهل نحن قادرون على اغتنام الفرص ؟

أحسب أن رجال التربية والتعليم والثقافة في بلادنا قادرون على بعض ذلك .

أقول قولي هذا ولا أزكي على الله أحداً والله المستعان والمستخار وصلى الله على صفوة خلقه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

## الهوامش

(١) المعجم الوسيط الجزء الأول ص ٩٨ .

(٢) التربية والتقدم د. سعد موسى أحمد ص ٣٢ .

(٣) المصدر السابق ص ٣٥ .

# الحسن بن علي الحفظي
# ( الخطيب ، المؤرخ ، الأديب )
## حياته ، وآثاره *

**إعداد : علي بن الحسن الحفظي**

حديث الإنسان عن أقرب الناس إليه أمر ليس سهلاً فربما تسبقه العاطفة ليسوغ خطأً أو يدَّعي باطلاً . وهنا لا بد لي من تناول الحديث عن والدي رحمه الله في جانب واحد أضع فيه بين أيديكم صوراً من أدبه وشعره ووعظه وشيئاً من آثاره المكتوبة التي أرجو أن ترى النور قريباً طباعة ونشراً ، أما العاطفة فسأتركها في إطار العلاقة الأسرية الحميمة التي كانت تربطنا به وتربطه بنا حيث كان ربَّ أسرة يحوطها بشفقته ورعايته في نسيج رائع يجمع بين كدحه من أجلها وحبه لها وشعوره بواجباته نحوها وتحمل ما يعتري هذه الأسرة من متاعب وصبره حينما يفجأ بموت أو يحل ما يحلّ من أمراض وأسقام .

ولا بأس من أن تسمعوا أنموذجين لبيان هذه العلاقة التي عاشها قريباً من أربعين سنة تمتد من تاريخ زيجته الأولى حتى وفاته غفر الله له .

١ - قال بعد أن أرَّخ لوفاة زوجته الأولى / والدتي رحمها الله ـ بعد أن تحدَّث كثيراً عنها ـ : ( رحمها الله وأسكنها جنته ودار كرامته مع الذين أنعم الله عليهم وألهمني وأهلها الصبر وأعظم للجميع الأجر . وعفا الله عنها وغفر لها مغفرة واسعة وإنا لله وإنا إليه راجعون ) .

٢ - قال بعد أن أرَّخ لولادة بعض أبنائه :

[ جعله الله مهديا ، مباركاً تقيا ، قارئاً سنيا ، باراً وفيا ] .

---

* محاضرة ألقيت بالنادي الأدبي بمناسبة تكريم الحسن الحفظي يرحمه الله في ١٤١٨/١٠/٢٦هـ .

ولكم رأيته متألما لألم أحد أفراد أسرته ، ولكم رأيته مسروراً مبتهجاً لسرور أحدهم وابتهاجه . وكم رأيته منفقاً في غير إسراف وموجهاً ومرشداً من غير ضعف أو إجحاف .

**هو الحسن بن علي بن محمد الحفظي**

ولد بقرية " رُجال " من بلاد رجال ألمع في يوم الخميس السابع عشر من شهر جمادى الآخرة عام خمسة وأربعين وثلاثمائة وألف للهجرة ، هكذا وجدته مكتوباً بخط والده رحمه الله . وهو مسجل كذلك في كثير من أوراقه الرسمية .

ونشأ وترعرع في بيت علم وفقه وأدب . حيث تلقى علوم الشريعة على يد الشيخ العالم القاضي إبراهيم بن زين العابدين الحفظي وعلى يد عمه الشيخ أحمد بن محمد بن حسن الحفظي .. وتلقى علوم العربية على الشيخ مصطفى صبري الأماسي أحد علماء الحرم النبوي الشريف وعلى الشيخ عيسى فهيم الذي كان معتمداً للتعليم في المنطقة . وكان هذا الشيخان قد قدما من خارج عسير للتدريس بقرية رجال . وأخذ علوم الفرائض وبعض علوم الشريعة عن الشيخ هاشم بن سعيد النعمي حفظه الله . هذا إلى جانب تعليمه في المدرسة النظامية التي افتتحت في بلدته عام ١٣٥٩هـ حيث نال منها شهادة الخامسة الابتدائية إذ لم يكن هناك صف سادس .

وقد بدأ عمله الوظيفي مدرساً بمحائل عام ١٣٦٦هـ ومنذ ذلك التاريخ وهو يعمل في هذا الميدان التربوي الهام مدرساً ومديراً ومرشدا طلابيا . واضعاً نُصب عينيه الأمانة السامية والهدف السامي وهو تربية أجيال مؤمنة بربها مخلصة لدينها ولقيادتها ولوطنها ، مسخراً جهده ووقته وعلمه وقلمه لصالح هذه الأجيال ، كتب البحوث التربوية وحفز همم طلابه إلى المعالي ، وأشاد بعطاءاتهم وأثنى على نجاحهم وتفوقهم ونشاطاتهم وسجل كل ذلك شعراً ونثراً فلم يدع مناسبة تربوية يدعى إليها أو يخطط

لها أو يشرف على تنفيذها إلا شارك فيها بجهده وقلمه .

وها هو يقول في مناسبة الاحتفال بعام الطفولة العالمي في مدرسته عام ١٣٩٨هـ :

[ أيها الإخوة . أبناؤنا هم الأمل الوضيء الذي يملأ حياتنا نوراً وبهجة . وهم الرجاء الذي تتطلع إليه نفوسنا في شوق إلى المستقبل القريب .

إن أبناءنا أمانة يجب علينا الوفاء بها كي نكون من الذين عناهم الله بقوله : ﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ﴾ وهم رعية نحن مسؤولون عنهم فلا يجوز بحال أن نفرط في أطفالنا ] ... إلخ .

ويقول في مناسبة المهرجان الرياضي الذي أُقيم في أبها عام ١٣٩٦هـ برعاية سمو أمير المنطقة رعاه الله :

| | |
|---|---|
| جئت ألقاك في حماك وإنـــي | أفخر اليوم باللقاء ســرورا |
| بين هذي الحشود في مهرجان | يملأ الأفق للأنام عبـــيرا |
| بين أبنائنا نراهم أبـــــاةً | في عسير العلا حماةً جسُورا |
| يرفعون الأعلام رمز فـــداء | ويرون الفداء حقا كبــيرا |

إلخ .....

إن الجانب التربوي في حياته مليء بالعطاء الموصول بالإخلاص والتفاني . وثّقه رحمه الله في بحوثه وآرائه وتوجيهاته المدرسية وسجل مناسباته شعراً ونثراً على مدى أربعين عاماً . ما كلَّ وما ملَّ ولا استكان ولا هان .

فكان غفر الله له جديراً بالتكريم مع زملائه في حفل أُقيم بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاماً على كوكبة من المعلمين قضوا هذه المدة في التعليم . ثم استمر عطاؤهم بعد ذلك سنوات أخرى وكان قد أُقيم هذا الحفل عام ١٤٠٠هـ في مدينة أبها بمعهد المعلمين آنذاك .

وإذا نظرنا إلى آثاره فإننا سنجد سيلاً عارماً من عطائه ، الأدبي والوعظي حيث كان إماماً وخطيباً قرابة اثنين وأربعين عاماً سجل خلالها خطباً ذات أسلوب عال وعبارة جزلة يعالج فيها قضايا وطنه وينبه على الأخطار المحدقة المتربصة بالدين والوطن . ويحذر من شدة شديد العقاب عند ارتكاب المعاصي . ويرغب فيما عند الله من الأجر والثواب عند اتباع أوامره واجتناب نواهيه .

وكان خطيباً بارعا مجوِّداً للقرآن الكريم ، يتلوه بصوت حسن وخشوع كبير ، وإنه لينتهز فرص الوعظ والتذكير كلما حدث حادث أو جد جديد يقول رحمه الله وقد أودى حادث سيارة بشخصين من أهل بلده : [ ليس هذا الحدث الأليم أيها الإخوة إلا قدر من الله محتوم وقضاء منه عز وجل بالموت الذي لا بد منه ولا مفر عنه ، كل نفس ذائقة الموت . والموت بأي حادث ليس إلا سبباً لانتهاء الأجل وختام الحياة ، وليعرف كل منا أن منيته بإرادة الله على كفه أو كتفه فمتى أراد الله انتهاء الأجل وانقطاع الأمل حصل ذلك بحوله وقوته على من أراد وكيفما شاء بدون مدافع أو منازع قال تعالى : ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت ﴾ .

يا عباد الله، لنأخذ من هذه الحادثة التي كلمت قلوبنا العبرة النافعة من أن مقدمات السفر إلى الآخرة أشياء وأشياء وإن تنوعات الأسفار للدنيا كما تشاهدون غدو ورواح وذهاب وإياب على مختلف الوسائل ، وأسفار الآخرة بمشيئة الله وقدره لها أسباب من الحوادث والبلاء والأمراض إلى أن يصل إلى المرء أجله . الكل ذاهب إلى الآخرة ، ولكل أجل كتاب ] .

ويقول في موضوع آخر : [ أوصيكم ونفسي بتقوى العزيز الجبار؛ فإنها نجاة في الدنيا من المهالك وفي الآخرة أمن من النار ، وبتقوى الله يرقى العبد الصالح إلى

عليين ويصعد درجات الصديقين ، وإن من علامات التقوى أن يكون الإنسان من أهل الفضائل ، إن تكلم تكلم صواباً، وإذا لبس لبس نظيفاً وساترا، وإذا مشى مشى هونا . يغض بصره عما حرّم ا لله ويرهف سمعه للعلم النافع ، يجالس العلماء ويستفيد منهم ما يقربه إلى ا لله يتشوق إلى ثوابه ويخاف من عقابه ، يعظّم الخالق في نفسه ويستحضر عظمته ومراقبته فيعمل لله ويترك لله . يدع ظلم الناس والاشتغال بعيوبهم . يعفو عمن ظلمه ، ويصل من قطعه ، لا يخون الأمانة ولا يضر الجار ].

هذان أيها الإخوة أنموذجان لخطبه التي بلغت ثمانئة وثلاثين خطبة في مناسبات متعددة وقضايا متنوعة . وهي ما وصل إلى يدي منها .

ومما اهتم به ـ عفا ا لله عنه ـ رصد عادات وتقاليد أهل بلده في مناسباتهم واحتفالاتهم وألعاب أطفالهم وأناشيد فرحهم وعبارات أحزانهم . إذ ركز بشكل خاص على حصر الألعاب الشعبية التي يمارسها مجتمعه ، وترجم لها وعرَّف بالكيفية التي تمارس بها هذه الألعاب ، والفئة التي تلعبها والأوقات التي تؤدى فيها ، وقد حصر مائة وثلاث عشرة لعبة .

أما كتابة التاريخ فعشقه وهمه وسعادته وتعبه وراحته ، فقد كان يجمع وثائق كتابة التاريخ من مظانها ، يسافر ويذهب ويجيء محملاً بالكتب والوثائق ثم يعكف عليها دراسة وتدقيقا وتمحيصا ومقارنة وملاحقة لما يتصل بالموضوع ، ثم يكتب بعد ذلك بأمانة وإخلاص ، وإذا احتاج الأمر إلى معاينة لموقع الحدث التاريخي لا يهدأ له بال حتى يراه عن قرب . خاصة وأنه كان مهتماً بتاريخ منطقة عسير كما كان مهتماً بكتابة تاريخ آدابها وفنونها ، ومداخلاته مع مؤرخي المملكة في هذا المجال على صفحات الجرائد السعودية كانت إحدى ملامحه فقد كتب بحوثاً تاريخية عن هذه المنطقة في جريدة عكاظ أيام كانت ( صفحة عسير ) تصدر من خلالها في الثمانينيات وهذا

أنموذج لبعض مداخلاته التاريخية التي نشرت في الصفحة المذكورة : (( اطلعت على مقال حافل ضُمِّن فوائد علمية وبحوثاً تاريخية لأستاذنا الكبير والنابغة المعروف الشيخ عبدالقدوس الأنصاري . ومن ذلك تعليقه على هامش تاريخ الطبري في مقاله المنشور في جريدة عكاظ بعددها (١٥٨) في ١٣٨٣/٢/٥هـ حول وادي " رُمَع " الذي ذكره الطبري بقوله ( استعمل الرسول صلى ا لله عليه وسلم عمرو بن حزم على نجد وخالد ابن سعيد بن العاص على ما بين نجران وزبيد وعامر بن شَهر على همدان ) ثم قال الأنصاري : ( لعل رمع هي المعروفة الآن برجال ألمع . فإذا كانت كذلك وهو ما لا أؤكده الآن فقد ذكر الأستاذ فؤاد حمزة في كتابه " قلب جزيرة العرب " أن ديارهم تمتد بين أبها وصبيا وهذا مطابق لولاية خالد بن سعيد عليهم وهي الرواية المذكورة هنا - انتهى .

وبعد حديث طويل عن العلاقة التي تربط بين الشيخ عبدالقدوس الأنصاري وبين والدي رحمه ا لله يقول : ذُكرت رمع في سبعة مواضع في كتاب " صفة جزيرة العرب " للهمداني :

١ - في صفحة ٦٨ تتصل بسراة الكلاع سراة جبلان وأعلاها لآنس والجبجب وجُمَع وأسفلها شجبان ووادي الشجبة وصيحان ورمع وباب كحلان . ثم ذكر المواضع الستة الباقية وقال : فالمعروف أن رُمَع التي علّق عليها الأستاذ الأنصاري ظاناً أنها رجال ألمع ليست إلا بلدة بين نجران وزبيد المطابقة لولاية خالد بن سعيد كما قاله الطبري . أما رجال ألمع فهي قبائل تسكن منطقة واسعة تمتد من البحر الأحمر غرباً حتى عسير السراة شرقا وشمالاً ومن عسير السراة حتى درب بني شعبة جنوباً ويطلق عليها رجال ألمع كذلك ] ... إلخ .

وله مؤلفات مخطوطة عن تاريخ المنطقة وجغرافيتها :

١ - تاريخ عسير من عهد صدر الإسلام يقع في خمسة دفاتر ذات المائة ورقة . في حدود (٩٤٠) صفحة من الجانبين .
٢ - أشهر المعارك العسيرية تحدث عن إحدى وأربعين معركة - زماناً ومكانا من عام ١٢١٩هـ إلى عام ١٣٧٣هـ .
٣ - جبال عسير ( سراة وتهامة ) .
٤ - معجم القبائل العسيرية .
٥ - بحث اجتماعي عن عادات وتقاليد العسيريين .

أما إذا أردنا الوقوف على أدبه شعراً ونثراً ، فإننا سنجد كمّاً هائلاً من الشعر الفصيح والنثر البليغ ، إذ طرق رحمه الله أغراض الشعر من وصف ومدح ورثاء وسخر لغته الشاعرية في أصدق عاطفة وأنبل شعور في وطنياته وإخوانياته وكان تقديره لولاة الأمر من آل سعود حفظهم الله يشغل حيزاً هاماً من شعره ، فمجد بطولاتهم وسجل مناقبهم في جزالة لفظ وأجمل عبارة . اسمعه يقول في قصيدة قالها في سباق الخيل بأبها أمام صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز في ١٣٩٣/٦/٢٦هـ . قال بعد أن وصف الخيل :

لله راكبُها في الحرب صاحبُها ... عبدالعزيز الذي ذكراه تأتلق
كم قادها سيد في إثر سيدنا ... آل السعود لها حلف ومنطلق
كم جاء يلجمها شبل ويلهبها ... حتى تلهَّب منها الجسم والحدق

وقد حاكى في شعره كثيراً من الشعراء أسلوبا ورويًّا وقافية حيث تناول شعرَه الدكتور عبدالقدوس أبو صالح في كتابه ( الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ) فقال :
(( بل إن روح القدماء تقمصت عدداً من الشعراء المعاصرين مثل الغزاوي وابن عثيمين

والحسن بن علي الحفظي العسيري وعدد من شعراء هَجَر ، بحيث بات من العسير على ناقد أن يرى فارقاً يذكر بين أشعار الخلف وأشعار السلف . فإذا ما قرأنا أبيات الحفظي في الفخر :

حدِّث ولا حرج يا دهرنا فينـــا		هات الأحاديث من أمجاد ماضينا
وأسمع الكون ما نلناه من شرف		ومن فخار وعز في معالينـــــــا
إنا بنو المجد والتاريخُ يعرفنـــــا		فليس في الناس أقوام تدانينـــــا

تبدو وكأنها قطعة من قصيدة الحِلّي :

سلي الرماح العوالي عن معالينا		واستشهدي البيض هل خاب الرجا فينا

إن الشاعر الحسن الحفظي شاعر ذو إحساس مرهف يقوده إحساسه إلى دفع همم الشباب إلى الطموح ، فتراه هنا وهناك في كل محفل يناقش قضايا أمته الإسلامية والعربية . ويحث شباب وطنه إلى العلم والأخلاق ويدعوهم إلى تسنم ذرا المجد ، وها هو يقول مخاطباً شباب الأمة :

أنتم بناةُ المجد والأمل الذي		نرجوه في قمع العدو المفلـــس
بل أنتم الجيل المقدم للعـــلا		تحذون حذو النابه المتحمـــس
ولأنتمو أبناء فخر للألــــى		في سعيهم جادوا بُحرِّ الأنفس

ولكنه كذلك ذو روح شاعرية شفافة نشتمها من إخوانياته ومراسلاته الأدبية مع كثير من أصدقائه ومعارفه ومحبيه . وها هو يقول لأحد أصدقائه :

ذكرتني رسالة من أديـــــب		صاغ دراً ففاق كل أديـــــب
يا لذكرى قد أحرقتني لهيباً		بل جحيماً من حر ذاك اللهيب
من فراق ولوعة واشتيــاق		حكم الله بالفراق الصعيـــب

واسمعه يقول لأحد أصدقائه يصف الحمى التي ألّمت به :

لقد أشعلت بين الحنايا وقودَها    فصبراً لحكـم ا لله أعدل عادل
فإن الرزايا إن أحاطت بمؤمـن    يعود بأجر ثم يحظى بطائـــل
وكم نعـمٍ جُلّي يفوز بنيلهـــا    صبور ومن يضجر فليس بنائل

إنه شاعر مكثر وقصائده تزيد على المائتي قصيدة ، سوف ترى النور قريباً بـإذن ا لله في دواوين مطبوعة ومنشورة .

وله غير ذلك مداخلة شعرية مع أحد أجداده السابقين هو الشـيخ أحمد بـن عبدالقـادر الحفظي بقصيدة في الترغيب في قيام الليل .

كما أن له قصيدة معارضة لقصيدة " الطلاسم " للشاعر إيلياء أبي ماضي .

لقد ترك رحمه ا لله آثـاراً أدبيـة كثـيرة وهـي جديـرة بالدراسـة والبحـث ، وإن مكتبـتي الخاصة تسعد بكل من أراد دراسة أعمال والدي الأدبية نثراً وشعراً .

ولقد رحل الخطيب والمؤرخ والشاعر الحسن بن علي الحفظي عـن هـذه الدنيـا في ليلـة الثلاثاء الثامن من شهر رجب من عام ستة وأربعمائـة وألـف ، فبكـاه أصحابـه وأولاده وطلابه ، ورثاه زملاؤه ومعارفه ومحبوه .

كتب الأستاذ محمد بن عبدا لله الحميِّد رئيس نادي أبها الأدبي في جريدة "البلاد " مقالاً بعنوان " أديب فقدناه " قال فيه : (( وقد كان بيننا قبل الحادث ملء السمع والبصر . يجسد أنموذجا حيا للأديب العريق في أصالته رواية وشعرا . ويعمر أمسيات النادي الـتي يحضرها بجيد أشعاره ، وإذا دعي للمشاركة في إحدى المناسبات الوطنيـة كـان الفـارس المجلي والشاعر المحلّق ، وهو بالإضافة إلى ذلك أحد رموز التعليم الكبرى بالمنطقة .

وهو من قبل ومن بعد عميد أسرة آل الحفظي التي كـانت ولا زالـت إحـدى البيوتـات العلمية البارزة في منطقة عسير ولها ثراؤها الضخم من المؤلفات والدواوين )) .

وكتب الدكتور زاهر بن عواض الألمعي عضو مجلس الشورى سابقاً في جريدة "الجزيرة" مقالاً بعنوان [ رحمك ا لله أبا علي ] قال فيه : [ والشيخ الحسن رحمه ا لله من أسرة علم وفضل ، إنه من آل الحفظي الذين قاموا بالدعوة والعلم والتعليم في منطقة رجال ألمع ردحاً من الزمن والتقت دعوتهم مع دعوة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه ا لله ، فانتشر الوعي واستقامت الأمور في كثير من الاتجاهات الفكرية والثقافية . والحسن الحفظي رحمه ا لله من أبناء هذا الوطن الأبرار سخّر وقته وطاقته في العلم والتعليم وتخرج على يده من المدرسة التي يشرف عليها ويديرها عدد كبير من الطلاب يتصدرون الآن مراتب عالية في الدولة ومنهم المهندس والطبيب والمتخصص في العلوم العسكرية . ومما يُحمد لهذه الدولة ـ وفقها ا لله ـ أنها تكرم المخلصين من رجالها وخاصة من أمضى فترة طويلة في خدمة العلم والتعليم ، وقد كان فقيدنا الحسن الحفظي من أبرز الشخصيات التي كرمتها الدولة بمكافآت مالية وميداليات ذهبية ونال عدداً من شهادات التقدير .

وقد أسهم في إثراء الحركة الفكرية والأدبية في المنطقة الجنوبية بل تعدى نشاطه الأدبي إلى خارج المملكة العربية السعودية مثل مساجلاته الشعرية مع أحد شعراء جمهورية مصر العربية الذي أُعجب بجمال منطقة عسير وأثنى على جهود الدولة في خدماتها ورعايتها للحركة الثقافية والفكرية وأشاد بنشاط نادي أبها الأدبي فكان الصوت الذي ارتفع من هذه البلاد إلى شاعر أرض الكنانة هو صوت الحسن الحفظي ] .

ورثاه الشاعر الأستاذ علي آل عمر عسيري فقال :

بيني وبينك ساحل وضفافُ ... وأرومة بكرية ولحافُ

ووشيجة فكرية موصولة ... من ثديها يتحدر الإنصاف

لما أتى خبر احتسابك أحجمت ... علل الوقار وصدر الإرجــــاف
وتزاحمت صور الرثاء فبعضهـــا ... مسخ وبعض ماله أطــــــراف
لم تبق عين إذ رأتك مكفنــــــا ... إلا بكت لم تثنها الأعــــــراف
ولقد بكيتك صامتا متجمـــــلا ... بالصبر حين استجمد التوكـاف
يا شيخنا الحسن الذي أجللتــه ... وجهدت كي أوفيك ممن حافـوا
لم تلهك الدنيا بحلو رضابهـــا ... والناس منها علة وزحـــــاف
لك في الفؤاد شرارة لا تنطفـي ... مهما تلظت منهما الأطيـــاف
الراحلون على المحجة والتقـــى ... هم للخلود خبيئة وشغـــــاف

كما رثاه الشاعر السوري الأستاذ إسماعيل الصوفي فقال :

الشاعر الحسن الحفظي في كبـدي ... وفي حشاي وفي قلبي وفي خلـدي
وكل جارحة مني تعانقـــــــه ... كما تعانق أم مهجة الولـــــــد
كم كنت أجلس في أفياء روضتـه ... وتطرب النفس من إنشاده الغـرد
الشعر موهبة غذته عاطفـــــــة ... والروح صافية أصفى من الــبرد
لله كم شنـف الآذان واحتفلــت ... به المحافل واعتزت إلى الأبـــــد
وما يزال يدوِّي وهو في صُعُـــدِ ... من الحماسة لا يلوي على أحــد
إني لأسمعه يلقي قصائـــــــده ... حتى وأبصره في صولة الأســـد
صداه يملأ نفسي في مساربهــــا ... وطيفه ماثل وضاء بين يـــــدي
أبو عليّ هو الذكرى مخلـــــدةٌ ... في كل قلب وحفل زاخر المــدد
ما إن سمعت بصوت النعي يخبرنـي ... حتىاعتراني ذهول زاد في كمدي
وكان أدهى مصاب قد فجعت بـه ... لما علمت الردى في الحادث النكد
هذي المنابر ترثيه بمهجتهـــــا ... تقول : واحسني وا خير مفتقـدي

إن أجهشت للبكا ملتاعة فلهـــا　　إذ أنه سيد من أرفع العمـــــد
عزاؤنا فيه أنَّ الله كرَّمـــــه　　فمات مستشهداً لله حـــين ردي
أبا علي فقد جاورت ذا كـــرم　　فَقَرّ عينا وطب بالسعد والرغـــد

وعزَّانا فيه كثير من أصدقائه وزملائه وطلابه وواسانا فيه ولاة الأمر حفظهم الله وقد كان لمواساتهم أطيب الأثر في نفوسنا فجزى الله الجميع خير الجزاء ووفقنا للعمل الصالح كما نسأله تعالى أن يتغمد الفقيد وجميع أموات المسلمين برحمته ورضوانه .

**وبعـــد :**

فهذا مبحث مختصر اختصرته من دراسة شاملة عن المحتفى به تعرضت فيها لإلقاء الضوء على حياته ونشأته ورحلاته وأعماله ، وتطرقت إلى نقد شعره وأدبه ، وخرجت بعد ذلك بدراسة نقدية مستفيضة بنيتها على أساس من الأمانة العلمية متجرداً من العاطفة ، آخذا في اعتباري أنني سأقدم إلى المكتبة السعودية شاعراً وخطيباً أسهم مع أدباء عصره في بناء صرح ثقافي متميز قائم على الفضيلة والأخلاق الحميدة دون مجانبة الأخذ بالفنون الحديثة والآداب الحاضرة بما يتساوى مع بيئتنا وأخلاقنا ويتفق مع التربية الإسلامية التي تربت عليها أجيالنا في ظل هذه الدولة السعودية الزاهرة التي تمد يدها لكل من يسهم في بناء حضارة أو يربي جيلاً على الأخلاق الفاضلة أو يسهم مع أبناء وطنه في بناء الوطن .

# تاريخ مخلاف جرش
# ( عسير )
# خلال القرون الإسلامية الأولى

أ.د . غيثان بن علي بن جريس

المخلاف ( ويجمع على مخاليف ) ويقصد به الناحية أو الإقليم ، وقد أورد ابن منظور كلمة مخلاف على أنها ناحية من نواحي الأرض ، أو منطقة من المناطق ، وقد يكون المخلاف صغيراً أو كبيراً حسب عدد المدن أو القرى أو العشائر والقبائل التي تسكنه (١) . والمخلاف ، أو الإقليم ، أو الناحية ، أو الكورة، أو الرستاق ، جميع هذه المسميات تعني منطقة معينة تشتمل على عدة مدن وقرى لها مميزات وخصائص اشتهرت بها . وتسمية مخلاف جرش في هذه الدراسة ، ليست من ابتكار الباحث ، وإنما ورد ذكرها بهذا الاسم في كتب الجغرافيين الأوائل ، ككتاب ابن خرداذبه ، واليعقوبي ، وقدامة ، وغيرهم من الذين ذكروا جرش بهذه التسمية ، وجلهم عدها من المخاليف التابعة لولاية مكة المكرمة ، خلال القرون الإسلامية الأولى (٢) . وفي هذا البحث سوف نركز على سبب التسمية ، وعلى الموقع الجغرافي ، وعلى المجال التاريخي السياسي منه والحضاري خلال القرون الإسلامية المبكرة .

أما عن التسمية باسم جرش ، فقد ورد ذكرها في بعض المصادر التاريخية الأولى ، على أن تبعاً أسعد أبا كرب ، خرج غازياً من اليمن غزوته الأولى ، وعندما وصل إلى بلاد جرش بأرض السراة ، رأى موضعاً قليل الأهل كثير الخيرات ، فخلف فيه نفراً من قومه ، فقالوا : ـ بم نعيش ؟ فقال : اجترشوا من هذه الأرض ،

وأثيروها ، واعمروها فسميت جرش [٣] . وقد أورد ياقوت الحموي هذه القصة إلا أنه لم يتفق قوله مع الرواية السالفة الذكر على أن تبعا أسعد ترك بعض قومه عندما رأى كثرة الرخاء وقلة السكان ، وإنما بعض من قومه تجيروا وضعفوا عن اللحاق بالجيش ، فقال لهم : اجرشوا هاهنا ، أي البثوا ، فسميت جرش بذلك [٤] . ويذكر البكري أنها سميت بجرش بن أسلم ، لأنه أول من سكنها [٥] ، ويتفق ياقوت الحموي مع البكري ، نقلاً عن أبي المنذر هشام ، فيذكر أن جرش بن أسلم هو منبه بن أسلم بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس ابن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ ، وهو أول من سكن جرش فسميت باسمه [٦] . ويعضد هذا القول بعض علماء النسب ، كابن حزم الأندلسي ، والوزير المغربي اللذين يؤكدان أن جرش أحد أبناء أسلم بن زيد الحميري [٧] . ويورد ياقوت الحموي رأياً آخر نقلاً عن أبي المنذر هشام ابن الكلبي قوله : " جرش قبائل من أفناء الناس تجرشوا ، وكان الذي جرشهم رجل من حمير يُقال له زيد بن أسلم ، خرج بثور له ، عليه حمل شعير في يوم شديد الحر فشرد الثور ، فطلبه فاشتد تعبه فحلف لئن ظفر به ليذبحنه ثم يجرش الشعير وليدعون على لحمه ، فأدركه بذات القصص عند قلعة جراش ، وكل من أجابه وأكل معه يومئذ كان جرشيا [٨] . ولم يذهب ياقوت بعيداً عن الرأي الذي قاله البكري ، نقلاً عن كتب النسب المبكرة ، ولكن في هذه الرواية لم يرد ذكر جرش ، وإنما ورد باسم زيد بن أسلم ، بينما ورد في الرواية السابقة باسم منبه بن أسلم ، وبهذا لا يكون ثمة فرق بيِّن بينهما لأنه من المحتمل أن زيدا وأسلم هما اسم لشخص واحد ، ثم بعد تمكنه من القبض على ثوره ووعدهم بجرش الشعير على لحم الثور ، صار يطلق عليه اسم جرش [٩] ، ثم نسبت البلاد التي حصل بها جرش الشعير وأكل لحم الثور إلى اسم

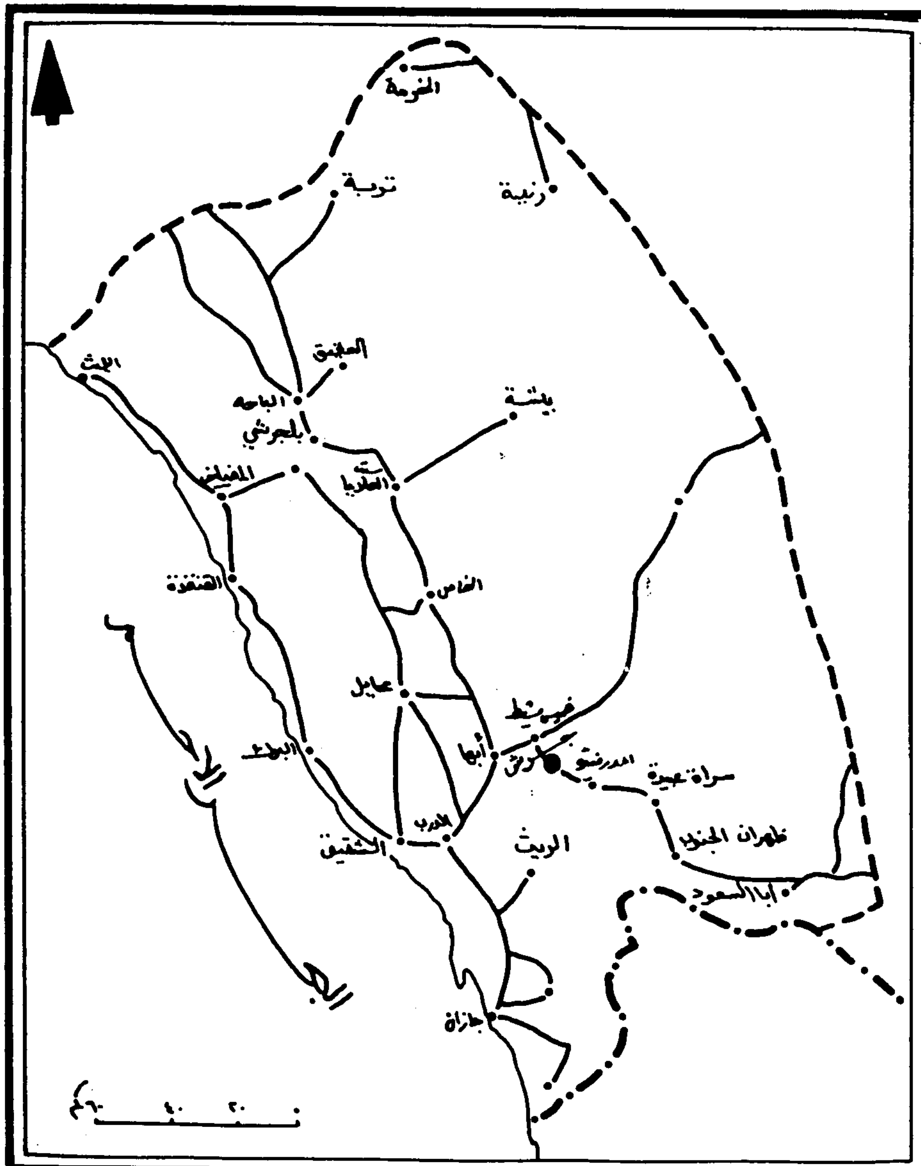
جرش . ومما يؤكد هذا الرأي ، أن معاجم اللغة تؤكد على كلمة ( الجرش ) التي تشير إلى جرش الشيء ، بدقّة فلا ينعم الدق ، وبالتالي يسمى جريشاً ، ويقال : جرش الملح والحب جرشاً ، أي لم ينعم طحنه ودقّة ، وبهذا القول نرى أن زيداً أو منبه بن أسلم ، جرش الشعير على لحم ثوره في منطقة جرش [١٠] ، ولهذا السبب سميت المنطقة بهذا الاسم ، وربما كانت هذه الرواية أقرب إلى الصحة من رواية تبع أسعد ، عن أولئك الذين تخلفوا عن مسايرة الجيش ، فقال لهم : اجرشوا ههنا ، أي البثوا ، حيث لم نجد عند اللغويين من قال إن الجرش هو المقام أو المكوث في مكان فيه ماء ، ولكنهم قالوا : إن الجرش هو الصوت ، ويسمى الملح والحب بـ (الجرش ) لأنّه حكّ بعضه ببعض فصوّت حتى سحق ، غير أنه لا يكون ناعما [١١] .

أما عن موقع مخلاف جرش ، فهناك العديد من المصادر الإسلامية المبكرة التي أشارت إلى موقع المخلاف ، غير أنها لم تكن تتوخى الدقة في رسم هذا الإقليم ، فبعض الجغرافيين المسلمين الأوائل كانوا يذكرون جرش عند ذكرهم للمحطات التجارية الواقعة على الطريق الموصل ما بين صنعاء ومكة المكرمة عبر الأجزاء الشرقية من بلاد السراة ، ومعظم المصادر التي أشارت إلى تلك الطريق ، ذكرت المحطات الواقعة إلى الشرق من جرش ، فابن خرداذبة والإدريسي أشارا إلى المحطات التي تربط مكة المكرمة بصنعاء ، وبعد ذكرهما لمحطة مدينة بيشة ، استمرا في تعداد المحطات صوب الجنوب حتى ذكرا محطة سروم راح الواقعة إلى الشرق من جرش على بعد ثمانية أميال [١٢] . أما أبو الفرج قدامة فلم يتفق مع ابن خرداذبة والإدريسي على أن سروم راح تبعد عن جرش المسافة المذكورة آنفاً ، علما بأنه لم يذكر المسافة بين البلدتين ، لكنه أورد اسم محطة ( كتنة ) الواقعة إلى الشمال من محطتي سروم راح ، والثجه ، وأكد أن كتنة هي التي تبعد عن جرش بثمانية أميال [١٣] . وحسب الدراسات الحديثة

التي حددت مركز جرش إلى الجنوب من مدينة خميس مشيط بحوالي خمسة عشر كيلو مترا ، على الطريق البري الواصل بين مدينتي خميس مشيط ونجران [١٤] ( انظر الخارطة رقم "١" ) . فهذا أمر يجعلنا نتوقف مُمعني النظر في أقوال الإدريسي ، وابن خرداذبة ، لأن الطريق التجاري القادم من الأجزاء الشرقية لبلاد السراة ، تبعد محطاته بعشرات الأميال عن مركز جرش ، ثم إن المسافة بين محطة بيشة ، ومحطة سروم راح ، تبلغ حوالي مائة وتسعة عشر ميلا حسب ما جاء في كتاب (صفة جزيرة العرب) للهمداني ، وبين كتنة وبيشة حوالي ثلاثة وثمانين ميلا [١٥] ، فليس من المعقول أن يكون البعد بين جرش وبيشة حوالي مائة وخمسة وثمانين ميلا [١٦] ، ولهذا فمن المحتمل ، أن يكون الجغرافيون الأوائل قد ذكروا المسافة بين أطراف مخلاف جرش من جهة الشرق ، وبين تلك المحطات السالفة الذكر . والباحث يميل إلى هذا الرأي ، لأن مخلاف جرش بجميع مدنه وقراه لا يشمل منطقة خميس مشيط وما حولها في وقتنا الحالي فحسب ، بل يشمل أغلب أقاليم عسير ، وبخاصة الأجزاء السروية ، وبالتالي فاسم جرش لم يكن يشمل المدينة ، وإنما كان يطلق على أغلب بلاد عشائر قحطان وشهران وعسير [١٧] . وبهذا الامتداد ، فإن القسم الشرقي من المخلاف ، ربما كان يبعد قليلاً ، وأحياناً يشمل بعض محطات الطريق التجاري الواصل من صنعاء إلى مكة المكرمة ، وإذا كان الأمر كذلك فإن أقوال الجغرافيين الأوائل ، ربما تكون قريبة من الصواب .

ومما يؤكد شمول التسمية على اتساع مخلاف جرش ، ما جاء في كتاب ( صفة جزيرة العرب ) للهمداني تحت عنوان ( جرش وأحوازها ) قوله : " ... جرش هي كورة نجد العليا ، وهي من ديار عنز بن وائل ، ويسكنها ويترأس فيها العواسج من أشراف حمير ، وهم ولد يريم ذي مقار القيل، ولهم سؤدد، وإجابة اليمانية في أرض نجد إليهم .. وجرش في قاع ، ولها أشراف غربية بعيدة منها ، تنحدر مياهها في مسيل يمر

خريطة رقم (١)




موقع مدينة جرش

في شرقيها ، بينها وبين حمومة ناصية تسمى الأكمة السوداء ، ويلتقي بهذا المسيل أودية ديار عنز حتى تصب في بيشة بعطان ، فجرش رأس وادي بيشة ، وتندحة من أودية جرش وفيها أعناب وآبار ، وكتنة أول حد الحجاز وعرضها وعرض جرش واحد لأنها منها على خط الطول من المشرق إلى المغرب على مسافة أقل من يوم ... "[١٨] وبهذا فالهمداني يذكر بعض أجزاء مخلاف جرش ، فذكر أنها كورة نجد العليا ، أي تقع في الأجزاء الغربية من أطراف بلاد نجد ، ولهذا المخلاف أطراف ونواحٍ تجاه الغرب ، ويقصد بذلك أطراف بلاد عسير العليا من جهة الغرب ، كأبها وما حولها من النواحي [١٩] ، ثم يذكر حمومة ، ويقصد به جبل حمومة أو جبل شكر الذي ما زال ماثلاً للعيان حول المدينة العسكرية بخميس مشيط من الناحية الشرقية ، وقد أوردت حولية الآثار العربية السعودية ما نصه : وعلى بعد ٤/٣ كم تقريباً إلى الشرق من جرش ، هناك مرتفع جبل حمومة ... "[٢٠] .

أما تندحة اليوم فهي عبارة عن واد فيه عدة قرى تقع على الطريق بين بيشة وخميس مشيط ، وتبعد عن الخميس بحوالي ثمانية عشر كيلو متراً إلى الشرق منها ، ويصب وادي تندحة في بيشة [٢١] .

وتسمي بعض المصادر الجغرافية والتاريخية جرش باسم مخلاف ، فقدامة ذكر في باب مستقل ، سماه ( مملكة الإسلام وأعمالها وارتفاعها ) ، وعند الحديث عن شبه الجزيرة العربية ، خصوصاً الأجزاء الجنوبية من مكة المكرمة ، والممتدة إلى مدن اليمن الكبرى ، قال : " ولها أعمال تنسب إلى المخاليف والأعراض " وذكر جرش على أنها من المخاليف الواقعة في تلك الأجزاء [٢٢] . أما اليعقوبي في كتابه ( البلدان ) وتحت عنوان ( من مكة إلى اليمن ) فقد ذكر العديد من الأعمال والمخاليف ومن ضمنها جرش [٢٣] ، وفي فصل مستقل لابن رسته سماه ( الأقاليم السبعة ، وأسماء مدنها

المشهورة ) ، أورد في الإقليم الأول العديد من المدن في جنوب شبه الجزيرة العربية ، وكانت جرش من ضمن المدن المذكورة [٢٤] ، وأشار ابن خرداذبة إلى مخاليف مكة المكرمة ، فذكر جرش على أنها من المخاليف التابعة لولاية مكة [٢٥] ، وأشار الإدريسي إلى كل من نجران وجرش فقال : " هما مدينتان متقاربتان في الكبر وبهما نخل وبهما مدابغ للجلود ... " [٢٦] . وأشار البكري ، وياقوت الحموي ، وابن منظور إلى جرش فقالوا : " هو موضع باليمن " [٢٧] ، ولكن ابن منظور زاد في حديثه قائلاً : " ... هو من مخاليف اليمن من جهة مكة ، ويوجد في الإقليم الأول ، وهو مدينة عظيمة وولاية واسعة " [٢٨] . وبهذا تعتبر جرش ، وهي قاعدة المخلاف ، من أهم المراكز الحضارية الواقعة شمال نجران وجنوب مكة المكرمة . وكان مركز هذا المخلاف هو المنطقة التي تشغلها المدينة العسكرية الآن في خميس مشيط ، وما يحيط بها ، ولكن إذا كان المركز في المنطقة المذكورة باعتبارها المقر السياسي والإداري لولاة الرسول (ﷺ) ولولاة الخلفاء من بعده ، ففي ظننا أن امتداد ذلك المركز كان يشمل أجزاء مختلفة من الجهات المحيطة به ، بل ربما امتد نفوذ واليه ـ والي جرش ـ إلى نجران جنوباً وبيشة شمالا وشمال شرق وإلى تثليث وما حوله شرقاً وإلى قمم جبال السراة المطلة على الأجزاء التهامية غرباً ، ولو لم يكن مركز جرش قويا وذا نفوذ واسع لما حظي بواسع الذكر في المصادر الأساسية ، وبالتالي طغى الجزء على الكل من منطلق إداري سياسي .

**الحياة السياسية في مخلاف جرش :**

كانت الأوضاع السياسية في مخلاف جرش مثل غيره من الأماكن في الجزيرة العربية ، تتحكم فيه الأعراف القبلية والتقاليد والعادات ، وكانت بعض القبائل والعشائر تمتهن الغارات وتحترف الغزو . فلما أظهر ا لله الإسلام ، وفد على الرسول (ﷺ) في السنة العاشرة من الهجرة ، وفد صرد بن عبدا لله الأزدي في بضعة عشر رجلاً ، فأسلم وأسلم رجال الوفد ، وأمّره الرسول (ﷺ ) بعد إسلامه على قومه ، وأمره بالجهاد بمن معه من المسلمين ضد من جاورهم في جرش من المشركين (٢٩) .

وتشير كتب التاريخ والسير إلى أن جرش كانت مدينة مسورة حصينة ، فعندما سمع أهل جرش بإسلام صرد ، وبما تم بينه وبين الرسول الكريم سعوا إلى زيادة تحصين مدينتهم ، وانضمت إليهم بعض قبائل خثعم المجاورين لهم ، لمقاومة صرد بن عبدا لله الأزدي الذي عاد مسرعاً من المدينة المنورة مصطحباً معه من انضم إلى الإسلام من قومه ، وهاجم بهم مدينة جرش ، فوجدها في غاية المنعة والتحصين ، فحاصرها شهراً كاملاً ، ولما أعياه فتحها رأى أن اللجوء إلى الحيلة أجدى من الحصار ، فقوض خيامه كأنه راحل عنها وهو عازم على الخدعة ، وما أن شاهده المحاصرون راحلاً حتى فتحوا باب مدينتهم وخرجوا في أثره ليستأصلوا شأفته فتظاهر أمامهم بالفرار ، وعندما أخذوا في مطاردته عطف عليهم في التفافة بارعة ففتك بهم فتكاً ذريعاً (٣٠) ، وتم له فتحها وبعد الفتح توجه وفد أهلها إلى الرسول (ﷺ) لإعلان إسلامهم أمامه ، فرحب بهم ، وقال عليه السلام : " مرحباً بكم أحسن الناس وجوهاً ، وأصدقه لقاء ، وأطيبه كلاماً ، وأعظمه أمانة ، أنتم مني وأنا منكم " ثم جعل شعارهم مبروراً (٣١) ، وأمرهم بالعودة إلى ديارهم ، بعد أن حمى لهم حمى حول بلدتهم ، ويورد محمد حميد ا لله ذلك

الكتاب الذي كتبه الرسول (ﷺ) في حمى جرش وينص على : " بسم ا لله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد النبي (ﷺ ) لأهل جرش : أن لهم حماهم الذي أسلموا عليه ، فمن رعاه بغير بساط أهله فماله سحت ، وأنّ زهير بن الحماطة فإن ابنه الذي كان في خثعم ، فأمسكوه فإنه عليهم ضامن ، وشهد عمر بن الخطاب ومعاوية ابن أبي سفيان " [٣٢] .

وأهمية هذا الكتاب أن الرسول (ﷺ ) أقرّ حمى أهل جرش الذي يحيط بمدينتهم ، وذلك بمنحهم حق الرعي والتملك في بلادهم ، ووضع القوانين الشرعية التي تنظم العلاقات بين الأفراد في شؤون حياتهم المختلفة في ظل أحكام الشريعة الإسلامية [٣٣] .

وفي رواية للبلاذري ، نقلاً عن الزهري ، تذكر أن أهل جرش أسلموا من غير قتال ، فأمّرهم رسول ا لله (ﷺ ) على ما أسلموا عليه ، وجعل على كل حالم من أهل الكتاب ديناراً ، واشترط عليهم ضيافة المسلمين ، وأرسل أبا سفيان بن حرب والياً عليهم [٣٤] .

وهذه الرواية التي ذكرها البلاذري لا تتفق مع الرواية التي ذكرتها كتب التاريخ والسير الأخرى ، فرواية البلاذري تنفي أن أهل جرش اعتنقوا الإسلام بالسيف ، في حين أن رواية ابن هشام ، وابن سعد ، والطبري ، وابن قيّم الجوزية ، وغيرهم تؤكد على حرب صرد بن عبدا لله الأزدي لهم حتى دخلوا في الإسلام [٣٥] . ويمكننا القول إن ما رواه البلاذري يتفق إلى حد ما مع ما جاء عند أصحاب المصادر الأخرى ، وخاصة أن الرسول (ﷺ) لم يرسل جيشاً معيناً من المدينة المنورة لمحاربة أهل جرش ، وإنما تلك الحرب التي دار رحاها في بلاد جرش وما حولها ، هي حرب جهاد قادها صرد بن عبدا لله لكسر شوكة أعداء الدين الإسلامي في المنطقة .

أما ارسال أبـي سـفيان بـن حـرب إلى إمـارة جـرش ، فقـد جـاءت بعـد توليـة الرسول (ﷺ) لصرد بن عبدا لله على أهل جرش ، مع العلـم أن إمـارة سـفيان كـانت مقصورة على جبي الصدقات ، بدليل ما ذكر الطبري ، أن أبا سـفيان كـان واليـاً علـى الصدقات في تلك الأنحاء الممتدة من مخلاف جرش إلى نجران جنوبـاً ، وإلى زبيـد ورمـع غرباً . أما الإمارة العامة على تلك الأجزاء فكانت لخـالد بـن سـعيد بـن العـاص الـذي كُلف بإمارة تلك النواحي في نهاية الحج للسنة العاشرة من الهجرة (٣٦) .

وتذكر بعض كتب السنة نقلاً عن ابن عباس أن الرسول (ﷺ) كتب إلى أهـل جرش ينهاهم أن يخلطوا الزبيب بالتمر (٣٧) ، وهذا الخبر مفاده أن الرسول (ﷺ) كـان على صلة تامة بأهل جرش ، وبمعرفة أخبارهم ، الأمر الذي أدى إلى نهيهم عمّا لا يتفق مع الشريعة ودعوتهم إلى الامتناع عن القيام بما يُخالفها .

والملاحظ أن بعد موت الرسول (ﷺ ) ومجيء الخليفة أبي بكر الصديـق ، ومـا حدث في عهده من أحداث عرفت في مصادر التاريخ بحروب الردة كان لأهل اليمن بما فيهم نجران ومخـلاف جـرش ومـا حولهـا دور في تلـك الحـروب ، لا سـيما بعـد ظهـور الأسود العنسي ، الذي ظهر في أواخر عهد الرسول (ﷺ ) ، والذي ارتد عن الإسـلام وادعى النبوة ، وبسـط سـلطانه علـى الكثـير مـن المنـاطق ، كصنعـاء ونجـران وجـرش وغيرها ، وطرد عمال الرسول (ﷺ ) من تلك النواحي ، وولى بدلهم ولاة من عنـده ، فكان من ولاته عمرو بن معدي كرب (٣٨) ، أحد نوابـه علـى المنطقـة الواقعـة مـا بـين نجران وبيشة ، التي تعد ضمن مخلاف جرش (٣٩) .

لقد منيت الأمة العربية عقب وفاة الرسـول (ﷺ ) وتوليـة أبـي بكـر الصديـق الخلافة ، باضطرابات خطيرة ، ذلـك أن بعـض القبـائل العربيـة التفـت حـول زعمائهـا الذيـن ادعـوا النبـوة ، مثـل الأسـود العنسي المشـار إليه وغيره ، وبدأ هؤلاء بدعوتهم

للتخلص من نفوذ المدينة المنورة ، ومن ثم اندلع لهيب العصيان في كل مكان ، فأخذ الخليفة أبو بكر على عاتقه أن يحارب أهل الردة ، فطلب من ولاة مكة المكرمة والطائف مجابهة المرتدين في بلاد تهامة والسراة الواقعة إلى الجنوب من مكة والطائف والممتدة إلى الحواضر الكبرى في اليمن . فأعد عتاب بن أسيد عامل مكة المكرمة ، وعثمان بن أبي العاص عامل أبي بكر الصديق في الطائف عدة حملات لمحاربة أولئك المرتدين . وقد وصل بعض تلك الحملات إلى مخلاف جرش ، وانضمت إلى المسلمين هناك ، ثم اشتبكت مع المرتدين في تلك الديار ، وتمكن المسلمون من هزيمة جيش المرتدين وكسر شوكتهم [٤٠] ، وفرار أحد قادتهم ، حميضة بن النعمان البارقي [٤١] فارتجل عثمان بن أبي ربيعة شعراً في هزيمتهم قائلاً : -

فضضنا جمعهم والنقع كاب
وقد تعدي على الغدر الفتوق
وأبرق بارق لما التقينا
فعادت خلّبا تلك البروق [٤٢]

وفي رواية للطبري ، أن جرير بن عبدا لله البجلي [٤٣] ، كان قد أرسل إلى بلاد السراة واليمن في عهد الرسول (ﷺ) فذهب مع بعض قومه ، ثم عاد إلى المدينة المنورة بعد موت الرسول (ﷺ) فأمره الخليفة أبو بكر الصديق بالرجوع إلى بلاد السراة ومحاربة المرتدين بها ، وعندما جهز الخليفة أبو بكر الجيوش لمحاربة المرتدين أمر المهاجر ابن أمية بالتوجه صوب مكة المكرمة والطائف ، ثم التحرك جنوباً إلى بلاد السراة حتى اليمن . وفي أرض السراة التقى المهاجر بن أمية بجرير بن عبدا لله ، ومن هناك واصل الرجلان سيرهما إلى بلاد مخلاف جرش ، وعند منتصف الطريق التقى المهاجر ، الذي كانت له قيادة الجيوش ، بعبدالرحمن بن أبي العاص ، قائد الجيش بإمرة والي

الطائف عثمان بن أبي العاص . وانضم لهذه الجيوش أيضاً عبدا لله بن ثور من تهامة فواصل الجميع سيرهم عبر مخلاف جرش حتى قدموا على بلاد نجران وما والاها من بلاد اليمن (٤٤) . وبعد معارك كثيرة وصراع طويل تمكن القادة المسلمون من إحراز النصر ، وتلا ذلك هزيمة المرتدين واستسلامهم في النهاية الأمر الذي أدى إلى أن صار مخلاف جرش كغيره من بلاد تهامة والسراة جزءاً من أجزاء الخلافة الإسلامية في عهد الخليفة أبي بكر الصديق (٤٥) .

والملاحظ أن المصادر الإسلامية المبكرة لا تفصح عن الأحداث التي وقعت في المخلاف ، وإنما تشير إلى بعض الوقائع التي حدثت في بعض أجزائه ، ولكن إشارتها غير دقيقة إلى حد ما ، لا في تسمية الأماكن ، ولا في دور الحواضر بشكل مفصل ، الأمر الذي لا يروي ظمأ القارئ إلى معرفة الأوضاع السياسية والحضارية لهذه الأجزاء من المخلاف ، وهو بدوره لا يشكل إلا جزءاً محدودا من المنطقة الجغرافية الواسعة والتي أطلق عليها بلاد السراة . وفي اعتقادي أن مخلاف جرش لم يتغير في وضعه السياسي خلال القرنين الأولين لا سيما بعد الانتهاء من حروب الردة ، ثم صار من الأجزاء التابعة للخلافة الإسلامية في المدينة المنورة ، إذ عيّن الخليفة أبو بكر عليه والياً ينظم شؤون الناس (٤٦) ، ولكن بعد انتقال الخلافة الإسلامية إلى دمشق أيام الأمويين ، ثم انتقالها إلى بغداد أيام العباسيين ، صار اهتمام الخليفة سواء في دمشق أو بغداد ، أن يولي أمراء من قبله على المدن الكبرى في شبه الجزيرة العربية ، كمكة المكرمة ، أو المدينة ، وربما جُمعت المدينتان تحت إمرة والٍ واحد ، وأحيانا تجمع اليمامة والحجاز واليمن تحت إمرة وال من ولاة الخليفة تكون إقامته في مكة المكرمة أو المدينة المنورة ، يشرف على الجباة ومراقبة الأسواق ، وحماية البضائع من السرقة ، وما عدا ذلك من الأعمال المتعلقة بشؤون جرش ومخلافها تترك لزعماء القبائل الذين يعدون المسؤولين ـ عرفيا ـ عن إدارة البلاد وتنظيم أمورها (٤٧) .

ومنذ بداية القرن الثالث الهجري ، بدأ الضعف يدب في جسم الخلافة العباسية ، وبخاصة بعد الحرب الأهلية التي وقعت بين الأخوين الأمين والمأمون منذ عام (١٩٣ - ١٩٨هـ ) الأمر الذي أدى إلى ظهور الخارجين والثائرين على الخلافة في أجزاء عديدة من البلاد ، فقام أهل جرش وأعلنوا انفصالهم عن ولاية الحجاز ، وقام أمير من الحراميين في حلي بن يعقوب بتهامة (٤٨) ، واستقل ابن طرف بمخلاف حكم (٤٩) ، وقامت فتنة في بلاد عك والأشاعرة في بعض الأجزاء من تهامة (٥٠) . وما أن انتهى الخليفة المأمون من أمر أخيه ، إلاّ والكثير من أجزاء مخاليف جرش ، ونجران ، واليمن ، وبعض الأجزاء التهامية قد أعلنت ثورتها واستقلالها عن الخلافة ، وعندئذ التفت في جدية لتلك المناطق الجنوبية ، فبعث محمد بن زياد إلى حرب الأشاعرة ، والعكيين في تهامة ، وكانوا أكثر الأطراف خطورة تجاه الخلافة في تلك البلاد ، وقال له : أسمعني صوتهم ، أي يقاتلهم بقوة لا هوادة فيها ، فوصل ابن زياد مزودا بالمال والرجال وأهل الرأي ، وتمكن من إخماد الأشاعرة وغيرهم ، بل التنكيل بهم (٥١) .

وتفرغ لسكان الجبال والمناطق التي أعلنت انفصالها عن الولايات التابعة لها ، كبلاد جرش ، ونجران ، وبيشة وما حولها ، فاستعمل الترغيب والترهيب ودعوة المنشقين إلى الوحدة ، وعدم الخروج عن الجماعة ، والرجوع إلى طاعة الخليفة وتعهد بإرجاع كل منهم إلى إمارته ، فوافقوا وعادوا إلى الولاء ثانية ، وقاموا بإرسال الخراج ، ولكن هذا الأمر لم يستمر ، فبعد موت محمد بن زياد ، جاء من بعده أمراء ضعاف فلم يستطيعوا إحكام القبضة على البلاد التي كانت في حوزة الدولة الزيادية ، فقام كل أمير يستقل بناحيته ، أما مخلاف جرش وبلاد السراة الممتدة من شمال نجران حتى الطائف فقد بقيت شكليا أو اسميا مرتبطة بعامل الحجاز كما كانت سابقا (٥٢) .

وبعد القرن الثالث الهجري لا نجد ما يوضح لنا تاريخ جرش ومخلافها ، وإنما بعض المصادر أشارت إلى أحداث سياسية حدثت في بلاد اليمن أو بلاد تهامة أو السراة ، الواقعة إلى الجنوب من مدينتي الطائف ومكة المكرمة ، والتي اكتسبت صبغة العمومية ، وأحياناً نجد فيها شذرات تشير إلى تاريخ المدن الكبرى مثل : زبيد ، وصعدة ، وصنعاء ، وهذه المسميات لا تعطينا ما نريده من تاريخ جرش ، ولا تبين لنا مدى مشاركة أهلها في المضمار الحضاري للحواضر السابقة الذكر . والذي يبدو أن كتب الجغرافيا والرحلات تذكر جرش عندما تذكر الطريق المار بشرقها والواصل بين حواضر اليمن والحجاز .

ومن الجغرافيين الذين ربطوا ذكر جرش بذكر الطريق : ابن خرداذبة ، وقدامة ، والحربي ، والهمداني ، خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة ، ثم الإدريسي وابن المجاور ، وياقوت الحموي ، في القرنين السادس والسابع الهجريين ، وبعد القرن السابع لم نعد نستطيع العثور على ذكر لها في ما توفر لدينا من مصادر ، ولا ندري ، هل يعود عدم ذكرها إلى اندثارها ، وبالتالي لم يصبح لها دور في التجارة مثلما كان لها من قبل ، ومنذ ذلك الوقت للآن ، لم يعد لها الازدهار الذي كانت عليه ، ولم تعد تعرف بمسماها السابق ، وإنما تحولت إلى مسميات أخرى ، فصارت جزءاً من إقليم عسير الممتد من ظهران الجنوب جنوباً إلى بلاد خثعم وشمران شمالاً ، وحل محل مركزها القديم مسميات حديثة تأتي ضمن مدينتي خميس مشيط وأحد رفيدة وما حولهما .

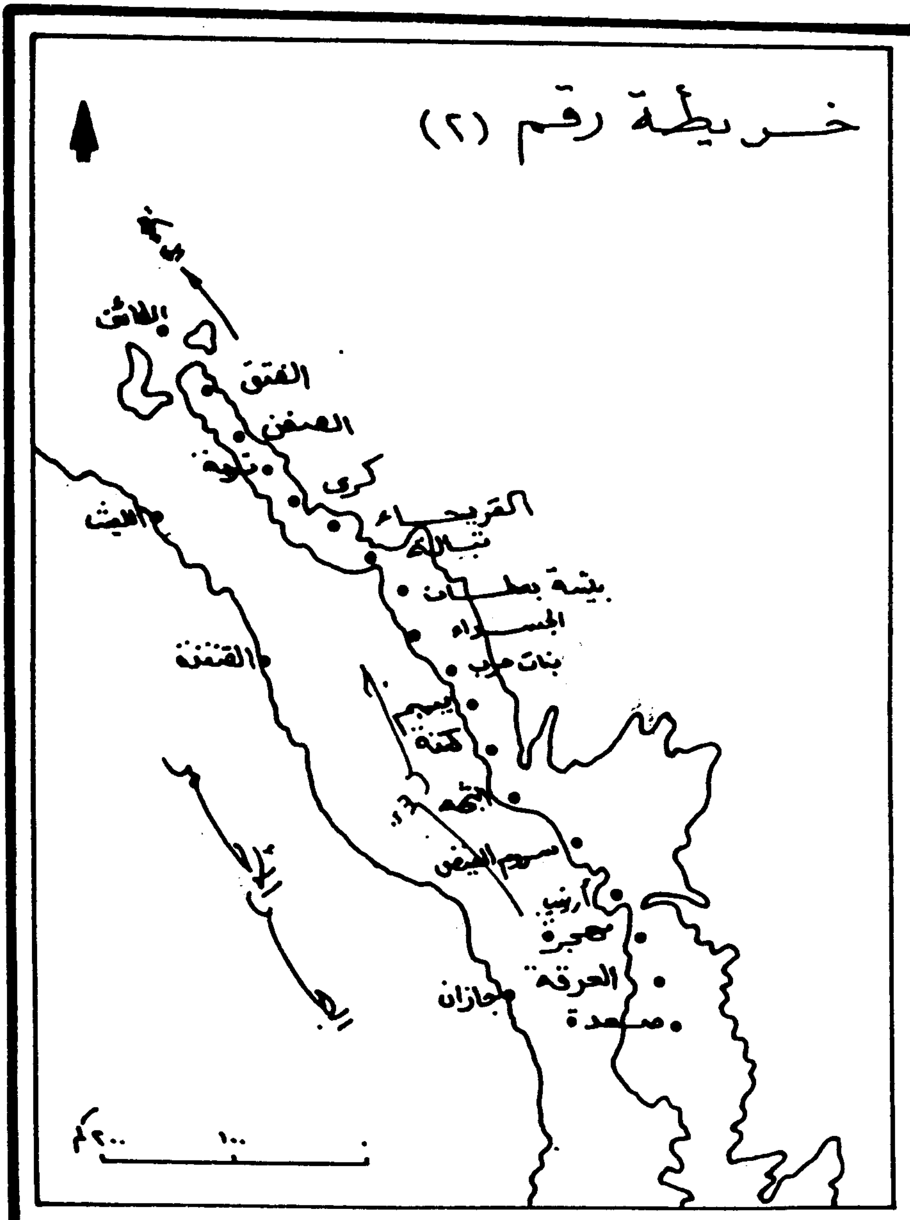
## الجوانب الحضارية في جرش ومخلافها :

من الطبيعي أن تحظى جرش ومخلافها بنشاطات مهنية متعددة ، كالرعي والزراعة ، والصناعات ، والحرف اليدوية ، والتجارية ، والازدهار العمراني ، وذلك يعود إلى خصوبة تربتها وحسن موقعها . فمخلاف جرش يتمتع بطبيعته الجغرافية التي تتكون من الجبال والوهاد والوديان ، والهضاب والسهول إلى جانب طبيعته الاجتماعية التي تضم العديد من العشائر والأفخاذ الأزدية التي يحترف بعضها مهنة الرعي التي كانت من الملامح المميزة لأهل جرش مما جعلها المهنة الرئيسة بجانب الزراعة وبعض الحرف اليدوية الأخرى . وأقرب دليل على بروز هذه المهن في حياتهم ما ذكره الرسول (ﷺ) في كتابه الموجه إليهم ، والذي حمى لهم حماهم الذي أسلموا عليه ، والحمى لا يوجد إلاّ إذا وجدت المواشي والبهائم التي ترعى فيه (٥٣) . ويؤكد بعض الجغرافيين على كثرة الأدم ودباغة الجلود في مخلاف جرش (٥٤) ، وهذا دليل على كثرة المواشي والبهائم في ربوعها ، فإلى جانب ما يُستفاد منها في قضاء حاجات الإنسان وتوفير غذائه ، تستخدم جلودها كألبسة وفراش بعد دباغتها ، وقد يصدّر منها ما يفيض عن الحاجة إلى المناطق المجاورة لها .

أما الحياة الزراعية ، فمخلاف جرش نال نصيباً من الزراعة ، ومما يؤكد ذلك قول بعض المؤلفين الأوائل الذين أشاروا إلى استخدام النوق الجرشية في رفع المياه من الآبار لسقي المزارع بواسطة السواني ، وفي هذا يقول ابن أبي خازم :

تحدر ماء البئر عن جرشية

على جربة تعلو الدبار غروبها (٥٥)




موقع مخلاف جرش من الطريق الجبلي
ما بين الحجاز واليمن

ولم تكن الجمال فقط التي تستخدم في ري المزارع عن طريق السواني بل استخدمت الأبقار للغرض نفسه ، كما استخدمت القنوات التي تعد خصيصاً لماء المطر لري بعض المزارع العثرية [٥٦] .

ومن المنتوجات الزراعية التي كان يشتهر بها مخلاف جرش ، هي الحبوب كالقمح والشعير والذرة ، وقد يفيض الإنتاج عن الحاجة فيصدّر إلى حواضر الحجاز واليمن [٥٧] . أما منتوجات المخلاف من الثمار ، فتتمثل في الزبيب والتمر والدليل على ذلك أن الرسول (ﷺ) نهى أهل جرش عن خلط الزبيب بالتمر [٥٨] . ويعد العنب الجرشي من أجود أصناف العنب ، وقد أثنى على جودته المؤلفون الأوائل ، أمثال : الأصمعي في كتابه ( النخل والكرم ) في أثناء حديثه عن أصناف العنب فقال : " فأما الجرشي فأبيض صغار الحب أول العنب إدراكا " [٥٩] ، ويشير صاحب كتاب لسان العرب ، إلى العنب الجرشي فيقول : " ضرب من العنب أبيض إلى الخضرة ، رقيق صغير الحبة " [٦٠] ، ويتفق البكري والإدريسي مع ابن منظور والأصمعي على جودة عنب جرش [٦١] ، ويشير الدينوري ، في كتاب ( النبات ) إلى جودة عنب مخلاف جرش ، وإلى طول عناقيده [٦٢] ، وفي أجزاء عديدة من مخلاف جرش يوجد القرظ ، الذي يساعد كثيراً في عملية دباغة الجلود ، ويذكر عماد الدين أبو الفداء ، ما نصه : " وجرش بلدة صالحة وحولها من شجر القرظ ما لا يحصى " [٦٣] ، ويشير الإدريسي إلى كثرة زراعة النخيل في بلاد جرش [٦٤] .

أما المهن والحرف الصناعية بمخلاف جرش ، فهي بدون شك متعددة ، ولكن ما حفظته لنا المصادر المبكرة لا يتجاوز إلا عدداً محدوداً من الصناعات ، وكتاب الرسول (ﷺ) إليهم في عدم خلط الزبيب مع التمر يدل على أنهم كانوا يجمعون

هذين النوعين ثم يعصرونهما فيخرج لهم شراب النبيذ ، أو نوع من أنواع الخمور ، ولهذا فالرسول (ﷺ) نهاهم عن تلك المهنة (٦٥) .

والثابت أيضاً أن دباغة الجلود وخرازتها في جرش ، ازدهرت ازدهاراً عظيماً ، فأشار أبو الفداء وابن المجاور إلى ذلك (٦٦) . وساعدت عوامل كثيرة في ازدهار هذه الصناعة في تلك البلاد وما حولها ، وذلك من حيث توفر المواد الخام المتمثلة في جلود المواشي ، ومواد التصنيع ، بالإضافة إلى وفرة أشجار القرظ الذي يعتبر من أفضل المواد التي تستخدم في الدباغة . هذا وتتمتع المنطقة بعوامل أخرى تساعد على جودة هذه الصناعة ، فالشمس الساطعة ، وطيب الهواء ، وأشجار القرظ كما سبق القول ، تساعد على ممارسة مهنة الدباغة ثم التجفيف والتسويق إلى الحواضر المجاورة (٦٧) .

وهذه الجودة التي تمتعت بها هذه الصناعة ، ساعدت على شهرتها التي تجاوزت حدود شبه الجزيرة العربية ، حتى صار هذا النوع الجيد ، والمعروف باسم ( أدم جرش ) مشتهراً في الأسواق الخارجية مثل أسواق العراق وفارس وبلاد الشام وغيرها (٦٨) .

ومن الصناعات الحربية التي اشتهر بها المخلاف صناعة الدبابات والمجانيق ، والعرادات . والدبابات التي كانوا يصنعونها وهي عبارة عن آلة من مادة الخشب مغطاة بجلود البقر يدخل فيها الرجال ، ويقربونها من الحصن المحاصر لينقبوه ، وهي تقيهم مما يرمى عليهم من حجارة (٦٩) . أما المجانيق والعرادات فهي من آلات الحصار ، التي ترمى بواسطتها الحجارة الثقيلة على الأسوار (٧٠) .

ويذكر أن الأغنياء من أهل مكة المكرمة والطائف وغيرهم من حواضر شبه الجزيرة العربية كانوا يذهبون إلى بلاد جرش ليتعلموا بعض الصناعات الحربية ، قصد حماية أنفسهم وأموالهم ، وممن ذهب إلى هناك أيام الرسول (ﷺ) عروة بن مسعود

الثقفي ، وغيلان بن سلمة اللذان سارا إلى جرش وأقاما فيها يتعلمان صناعة العرادات والدبابات في أثناء محاصرة الرسول (ﷺ) لمدينة الطائف (٧١) . وهذه الرواية وغيرها من الروايات تؤكد ما كانت تحتله جرش من مكانة مهنية ، خاصة في المهن الحربية .

أما الحياة التجارية فلم تكن أقل من غيرها من الأعمال الأخرى ، ولولا نشاطها التجاري لما راجت فيها الصناعات ذات الإنتاج الحيواني ، والمنتوجات والمحاصيل الزراعية التي كانت تفيض عن الحاجة ، وتصدر إلى أسواق الحواضر الكبرى في الحجاز واليمن ، ومما زاد في النشاط التجاري لمخلاف جرش قربه من الطريق التجاري الذي كان يأتي من صنعاء ماراً بشرق مخلاف جرش ، حتى بيشة ثم الطائف ثم مكة المكرمة (٧٢) ، ( انظر الخارطة رقم " ٢ " ) ، ومن المؤكد أن القوافل التجارية كانت تعرج على مخلاف جرش طلباً للراحة والتزود من سلعها ، كالمحاصيل والعنب ، وبعض الصناعات الجلدية ، وبعض المواشي كالإبل وغيرها ، وهذه السلع جميعها متوفرة في أسواق جرش ومخلافها .

وغالبية سكان جرش من القبائل اليمانية ، إلى جانب وجود بعض العشائر والبطون الشامية ، وفي إشارة للهمداني ما يوضح ذلك ، فيقول : " ... وفي شق قرية جرش فرق من النزارية يدعون الجزارين من موالي قريش " (٧٣) ، وهذا القول يشير إلى أن بعض العشائر الشامية ، أو من يواليها ، كان يعيش مع السواد الأعظم من القبائل اليمانية في تلك البلاد . بل وإن بعضهم كان من موالي قريش ، وليس ببعيد أن تكون من بينهم طبقة من العبيد تمتهن الحرف والصناعات ، كعمل الدبابات والعرادات وغيرها ، لأنه من المألوف في المهن والحرف الصناعية أن يتداولها مثل هؤلاء (٧٤) . وكان في بلاد جرش بعض اليهود والنصارى ، بدليل ما ذكره البلاذري عن الرسول

(ﷺ) أنه أمّر أهل جرش على ديارهم ، وفرض على كل فرد من أهل الكتاب ممن بها دينارا [٧٥] ، وهذا الخبر يبين أن بعضاً من اليهود والنصارى كان يعيش مع العرب في مخلاف جرش .

أما عن العادات والتقاليد والأعراف عند أهل جرش ، فلم نستطع الحصول على ما يصور لنا هذه الحياة ، ولكن أغلب الظن ، بعد دخولهم في الإسلام ، وإرسال الولاة إليهم من قبل الرسول الكريم ، ثم الخلفاء الراشدين من بعده ، أن عاداتهم ، وأعيادهم ، وولائمهم ، وأعراسهم ، وبقية حفلاتهم وموائدهم صارت تمارس طبقاً لمنهج الدين الإسلامي [٧٦] .

أما العمارة عندهم فأصبحت تتماشى مع تعاليم الإسلام ، وكانت مادة البناء هي الحجارة ، والطين وبعضهم كان يعمل على تسوير البيوت ، وتسوير المدن والقرى بأسوار تنتهي ببوابات واسعة ، ومثال ذلك أسوار مدينة جرش ، التي وقفت أمام هجمات عبدا لله بن صرد الأزدي وصحبه عند قدومه لفتحها ، أما عن البيوت هل تبنى من طابق أو أكثر ، وعن مدى ما يتمتع به البناؤون من المهارة في البناء ، فلم نعثر على شيء من هذا في المصادر التي بين أيدينا ، ولكن يمكننا القول أنهم طالما برعوا في الصناعات الحربية ، وبعض المهن الحرفية الأخرى ، فليس بمستبعد أن يكون لديهم بعض الخبرات في البناء بما يتناسب ومعارف الحال آنذاك .

وخلاصة القول ، أن مخلاف جرش قد عرف منذ الفترة السابقة للإسلام ، وبعد أن أسلم أهله ، تحول من أرض مشركة إلى أرض إسلامية ، يشع منها نور الإسلام ، ويعمل سكانها على تطبيق الشريعة ، وبعد موت الرسول (ﷺ) حدثت بعض الأمور في شبه الجزيرة العربية ، أهمها حروب الردة ، التي عمت أصقاع شبه الجزيرة ومن ضمنها مخلاف جرش ، الذي أصابه أذى الارتداد بقيادة الأسود

العنسي ، وظهر به بعض المرتدين ممن اشتركوا في حرب الردة مع العنسي ، لكن ا لله حفظ دينه ، لقوله جلّ جلاله وهو أصدق القائلين ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .

لقد قام صحابة رسول ا لله (ﷺ) يتقدمهم الخليفة أبو بكر في محاربة المرتدين ، وإجبارهم على العودة للإسلام ، وأصبحت الجزيرة بعد الانتهاء من حرب الردة تدين كلها بدين ا لله ، وأصبح مخلاف جرش من الأعمال التابعة لدار الخلافة في المدينة المنورة ، ثم دمشق ، وبعدها في بغداد ، لكن لم يخل الأمر من ظهور بعض الفتن ، وكان روادها يودون الاستيلاء على الحكم ، سواء من مخلاف جرش أو غيره ، لكن دار الخلافة كانت لهم بالمرصاد .

إن مخلاف جرش منذ أواخر القرن الثالث الهجري ، وبداية القرن الرابع ، لم نعد نجد لها في بطون المصادر المبكرة إلا إشارات بسيطة ، وبخاصة عند ذكر الطريق الذي يربط اليمن مع الحجاز عبر الأجزاء الشرقية من بلاد السراة ، والأغرب من ذلك أنه لم يعد له ذكر بعد القرن السابع الهجري ، ولم يصلنا شيء عنه منذ بداية القرن الثامن ، واندرست مدينة جرش وأصبحت كما يُقال أثراً بعد عين .

وكون مخلاف جرش عاصر الأزمنة الأولى من دولة الإسلام بما فيها من أحداث تاريخية ، وممارسات حضارية ، خاصة الصناعية والتجارية منها بسبب أهمية موقعه ما بين الحجاز واليمن ، لهذا وجب علينا أن نبذل ما في وسعنا في البحث عن معالم هذا المخلاف ، وهذا العمل يقع على كاهل الأثريين والمؤرخين في الدرجة الأولى ، لأن الكشف عن الصور الحضارية في هذه المنطقة مفخرة لأبناء الجزيرة خاصة ، وللمسلمين عامة ، لذا أرجو من إخواننا المختصين والمسؤولين في المؤسسات المختصة بهذا الشأن ، مضاعفة الجهود لنحصل ما يمكن الحصول عليه من الآثار العمرانية لهذه المدينة ومخلافها ، لتحكي لنا قصة حضارتها عبر العصور ... وا لله الموفق ،،،

**الحواشي والتعليقات**

١ - انظر : جمال الدين أبو الفضل ابن منظور . لسان العرب ، تنسيق وتعليق علي شيري ( بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م ) جـ ٤ ، ص ١٩١ - ١٩٢ .

٢ - كان لمكة المكرمة العديد من المخاليف التابعة لها ، سواء في المنطقة الواقعة بين حاضرة مكة والمدينة المنورة ، أو في الأجزاء الواقعة إلى الجنوب من مكة المكرمة والممتدة إلى حواضر اليمن الكبرى ، ولمزيد من التوضيح انظر : أحمد ابن أبي يعقوب اليعقوبي . كتاب البدان ، تحقيق أم . دي غوي ( ليدن : مطبعة بريل ، ١٨٩١م ) ص ٣١٤ - ٣٢٠ ( وهذا الكتاب ضمن الأعلاق النفسية لابن رسته ) ؛ أبو القاسم عبيد ا لله بن خرداذبة . كتاب المسالك والممالك ، تحقيق ام . دي غوي (ليدن: مطبعة بريل ، ١٣٠٦هـ / ١٨٨٩م ) ص ١٣٣ - ١٣٩ .

٣ - انظر : أبو محمد عبدالملك بن هشام . السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ( بيروت : دار القلم ، د. ت ) ص ١٩ ــ ٢٠ ؛ عبدا لله بن عبدالعزيز البكري ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق ، مصطفى السقا ( بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ) ، مج١ ، جـ ١ ، ص ٣٧٦ .

٤ - شهاب الدين ياقوت الحموي . معجم البلدان ( بيروت : دار صادر وبيروت للنشر ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ) جـ ٢ ، ص ١٢٦ .

٥ - البكري ، مج١ ، جـ ١ ، ص ٣٧٦ .

٦ - ياقوت ، جـ ٢ ، ص ١٢٦ .

٧ ـ انظر : أبو محمد علي بن أحمد بن حزم . جمهرة أنساب العرب ، تحقيق : لجنة من العلماء ( بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ) ، ص ٤٣٦ ، ٤٧٨ ؛ الحسين بن علي بن الحسين الوزير المغربي ، الإيناس في علم الأنساب ، ( الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ) ص ١٠٢ ، ١٢٩ .

٨ ـ ياقوت ، جـ ٢ ، ص ١٢٦ .

٩ ـ وهذا يدل على الوفاء ، بالعهد ، واحترامهم له ، وربما أنه لا يملك سوى هذا الثور ، ومع هذا ضحى بقوام عيشه في سبيل احترام وعده والوفاء به ، ولعمري إن هذا العمل من أنبل الصفات .

١٠ ـ ابن منظور ، جـ ٢ ، ص ٢٥٠ .

١١ ـ المصدر نفسه .

١٢ ـ ابن خرداذبة ، ص ١٣٣ ؛ محمد بن محمد عبدا لله الإدريسي . كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ( بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ) جـ ١ ، ص ١٤٤ ـ ١٤٩ . مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م ) جـ ١ ، ص ١٤٦ .

١٣ ـ انظر . أبو الفرج قدامة . نبذ من كتاب الخراج ضمن كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة ، تحقيق ، ام . دي غوي ( ليدن : مطبعة بريل ، ١٣٠٦هـ / ١٩٨٩م ) ص ١٨٨ ـ ١٨٩ .

١٤ ـ لمزيد من التفصيلات عن جرش في بعض الدراسات الحديثة انظر : حمد الجاسر في سراة غامد وزهران ، نصوص ، مشاهدات ، انطباعات ( الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م ) ص ٤٢ ـ ٤٩ ؛

محمد أحمد معبر . جرش من المراكز الحضارية القديمة ( خميس مشيط : دار جرش للنشر والتوزيع ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ) ص ١٣ وما بعدها ، سعيد ابن عياش . " مدينة جرش الأثرية وما يقربها من المواضع " مجلة العرب ، جـ ٤ ، السنة السادسة ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م ) ص ٢٤١ - ٢٤٨ .

١٥ - انظر : الحسن بن أحمد الهمداني . صفة جزيرة العرب ، تحقيق ، محمد بن علي الأكوع الحوالي ( الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ) ص ٣٣٨ - ٣٤٠ .

١٦ - معلومات مستقاة من مشاهدات الباحث .

١٧ - وللمزيد من التفصيل عن أفخاذ وعشائر بلاد قحطان وشهران وعسير ، وأماكن استيطانهم ، انظر كتاب ، هاشم سعيد النعمي . تاريخ عسير في الماضي والحاضر ، ( د.م : مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر ، د. ت ) ، ص ٦ وما بعدها .

١٨ - الهمداني ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

١٩ - وقبائل عسير الأساسية هي: بنو مغيد، وعلكم ، وبنو مالك، وربيعة، ورفيدة ، ولكن في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين توسع مفهوم اسم عسير حتى صار يشمل البلاد الواقعة بين غامد وزهران في الشمال ، وظهران الجنوب في الجهة الجنوبية ، وللمزيد من التوضيحات عن مسمى عسير قديماً وحديثاً ، انظر . علي أحمد عيسى عسيري . عسير من ١٢٤٩هـ / ١٨٣٣م - ١٢٨٩هـ /١٨٧٢م ( أبها : نادي أبها الأدبي ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ) ص ٢٣ وما بعدها ؛ غيثان بن علي جريس . صفحات من تاريخ عسير الجزء الأول. ( جدة : مطابع البلاد للنشر ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ) ص ٧ - ١٢ .

٢٠ ـ انظر . مجلة أطلال ، الصادرة عن إدارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف (الرياض ، عدد (٥) ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ) ص ٢٥ ـ ٢٦ .

٢١ ـ تندحة : عبارة عن مجموعة قرى تغطي مساحة من الوادي الكبير المسمى بالتندحي الذي تنحدر سيوله تجاه الشرق والشمال الشرقي حتى تصب في وادي بيشة ، وتربة . بلاد تندحة من أخصب الترب بفضل ما يمنحها واديها من الطمي ، وفواكهها ولا سيما الزمان من ألذّ الفواكه لاعتدال جوها ، ومياهها متوفرة قل أن تنضب ، ويقطنها من القبائل بعض عشائر قبيلة كود الشهرانية ، وتغطي حوالي نصف بلاد تندحة ، ثم قبيلة آل الزّلال ، وقبيلة آل مستنير ، والمزارقة ، وبني سامة ، وآل عجير ، وآل الذئب ، وكل هذه القبائل شهرانية ما عدا آل مستنير فمن رفيدة قحطان . مشاهدات الباحث في بلاد قحطان وشهران من ( ١٠ ـ ١٣/٥/١٤١٣هـ ) .

٢٢ ـ قدامة ، ص ٢٣٤ .

٢٣ ـ اليعقوبي ، ص ٣١٧ ـ ٣١٨ .

٢٤ ـ أبو علي أحمد بن عمر بن رسته . كتاب الأعلاق النفسية ، تحقيق ، ام . دي غوي ( ليدن : مطبعة بريل ، ١٨٩١م ) ص ٩٦ .

٢٥ ـ ابن خرداذبة ، ص ١٣٣ .

٢٦ ـ الإدريسي ، جـ ١ ، ص ١٤٦ .

٢٧ ـ انظر : البكري ، مج١ ، جـ ١ ، ص ٣٧٦ ، ياقوت ، جـ ٢ ، ص ١٢٦ ، ابن منظور ، جـ ٢ ، ص ٢٥٠ .

٢٨ ـ ابن منظور ، جـ ٢ ، ص ٢٥٠ .

٢٩ - للمزيد من التفصيلات عن صرد بن عبدا لله الأزدي ( رضي ا لله عنه ) انظر : عز الدين علي بن الأثير . أسد الغابة في معرفة الصحابة ( بيروت : دار إحياء التراث العربي ، د. ت ) جـ ٣ ، ص ١٧ .

٣٠ - وللمزيد من التفصيل عن محاربة صرد بن عبدا لله الأزدي لأهل جرش ، ثم هزيمتهم ، انظر : ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤ ؛ محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى ( بيروت : دار صادر ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ) . جـ ١ ، ص ٣٣٧ - ٣٣٨ ، شمس الدين أبو عبدا لله محمد بن القيم . زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين ( بيروت: مؤسسة الرسالة ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ) جـ ٣ ، ص ٦٢٠ - ٦٢١ ؛ محمد بن جرير الطبري . تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ( بيروت : دار سويدان ، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م ) جـ ٣ ، ص ١٣٠ - ١٣١ .

٣١ - ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٣٨ .

٣٢ - محمد حميد ا لله . مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة (بيروت : دار النفائس ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ) ص ٢٨٩ - ٢٩٠ .

٣٣ - ويتضح أن الرسول (ﷺ) حفظ لأهل جرش حماهم بقوله : " فمن رعاه بغير بساط أهله فماله سحت " ، أي فمن رعى حمى أهل جرش ، فلا ضامن على من أهلكه . وقوله عليه السلام : " وأن زهير بن الحماطة ... " والمذكور أن ولد زهير ارتكب في خثعم أمراً أوجب الضمان ، فضمنه زهير لهم ، فأمر الرسول (ﷺ) بإمساك زهير أخذاً بضمانه لجريرة ابنه. انظر، محمد حميد ا لله ، ص ٢٨٩ - ٢٩٠ ، وعن الحمى وأهميته منذ بداية عصر الإسلام ، انظر تفصيلات أكثر . صالح أحمد العلي " الحمى في القرن الأول الهجري " مجلة العرب ، جـ ٧ ( ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م ) ، ص ٣ وما بعدها .

٣٤ ـ انظر ، أحمد بن يحيى البلاذري . فتوح البلدان ، تحقيق رضوان محمد رضوان (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ) ص ٧٠ .

٣٥ ـ وللمزيد من التوضيحات ، انظر : ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤ ؛ ابن سعد ، جـ١ ، ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨ ؛ الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٣٠ ـ ١٣١ ؛ ابن القيم ، جـ ٣ ، ص ٦٢٠ ـ ٦٢١ .

٣٦ ـ الطبري ، جـ ٣ ، ص ٢٢٨ ، ٣١٨ . وإمارة صرد بن عبدا لله ربما كانت مقصورة على مخلاف جرش ، أما أبوسفيان بن حرب فكان عمله فقط جباية الزكاة من مخلاف جرش وما جاوره من المخاليف الأخرى ، كذلك سعيد بن العاص كانت له الولاية العامة على جميع النواحي الممتدة من نجران جنوباً إلى مدينة جرش وبيشة شمالاً .

٣٧ ـ انظر : أحمد بن حنبل . مسند الإمام أحمد بن حنبل ( بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٣٩٨هـ ) جـ ١ ، ص ٢٢٤ .

٣٨ ـ للمزيد من التفصيلات عن شخصية عمرو بن معدي كرب الزبيدي ، انظر . عبدا لله بن مسلم بن قتيبة . الشعر والشعراء ، تحقيق حسن تميم ومحمد عبدالمنعم العريان ( بيروت : دار إحياء العلوم ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ) ص ٢٤٠ ـ ٢٤٢ ، ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٢٨ ، البلاذري ، ص ١٢٦ ـ ١٢٧ ، ٢٧٨ .

٣٩ ـ للمزيد عن ارتداد الأسود العنسي ، وعن المناطق التي سيطر عليها في أثناء ارتداده ، انظر : الطبري ، جـ٣ ، ص ٢٣٠ وما بعدها .

٤٠ ـ وللمزيد من التوضيحات عن حركة المرتدين في شبه الجزيرة العربية عامة ، وفي بلاد تهامة والسراة خاصة ، انظر : الطبري ، جـ٣ ، ص ٢٢٣ وما بعدها ،

عبدالوهــاب النجــار ، الخلفــاء الراشـدون ( بـيروت : دار الفكـر ، د. ت ) ص ٤٦ ـ ٥٦ .

٤١ ـ كان أغلبهم من قبائل الأزد وبجيلة وخثعم ، ولكن بعد هزيمة حميضة ومن ارتـد معه ، ثم تفريق جمعهم ، عاد بعضهم إلى الإسلام ، وفيما يظهر أن حميضة نفسه عاد إلى الإسلام ، حيث نرى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعثه مع سعد بن أبي وقاص إلى العراق لمحاربة الفرس ، انظر: الطبري ، جـ٣ ، ص ٤٨٤ .

٤٢ ـ الطبري ، جـ٣ ، ص ٣٢٠ .

٤٣ ـ لمزيد من التوضيحات عن جرير بن عبدا لله البجلي ، موطنه الأصلي ، ثم مساهماته في الدعوة الإسلامية ، انظر : الطبري، جـ ٣ ، ص ٣٦٥ ، ٣٦٩ ، جمال الدين أبو الفرج . ابن الجوزي . صفة الصفوة ، تحقيق محمود فاخوري ومحمد رواس قلعجي ( حلب : دار الوعي للنشر ، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م ) جـ ١ ، ص ٧٤٠ ـ ٧٤٢ ، ابن الأثير ، جـ ١ ، ص ٢٧٩ ـ ٢٨١ .

٤٤ ـ انظر : الطبري ، جـ٣ ، ص ٣٢٢ ، ٣٢٦ ـ ٣٢٨ .

٤٥ ـ وللمزيد من الاطلاع على دراسات هامة تتعلق بتاريخ البلاد الواقعة إلى جنوب مكة المكرمة والطائف ( تهامة وسراة ) والممتدة إلى حواضر اليمن الكبرى ، وخاصة في العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة ، انظر : محمد بن أحمد العقيلي . تاريخ المخلاف السليماني ( الرياض : منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م ) جـ١ ، ص ٧١ وما بعدها ؛ وللمؤلف نفسه ، التاريخ الأدبي لمنطقة جازان (جازان : نادي جازان الأدبي ، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م ) جـ١ ، ص ٢٥ وما بعدها ؛ أحمد بن عمر الزيلعي . الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان ( المخلاف السليماني )

في العصور الإسلامية الوسيطة ( الرياض : مطابع الفرزدق ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م ) ص ٢٥ وما بعدها ، وللمؤلف نفسه ، " المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حلي ( ق ٣-٩هـ / ٩-١٥م ) " حوليات كلية الآداب ، جامعة الكويت ، الحولية السابعة ( ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ) ص ١١ وما بعدها ؛ وللمؤلف نفسه " الأشراف الغوانم ، أمراء المخلاف السليماني وعلاقتهم ببني رسول اليمن ( ٦٢٨هـ - ١٢٣٠م / ٨٠٣هـ - ١٤٠١م ) " مجلة العصور ، مج٦ ، جـ ٢ ( ١٤١١هـ / ١٩٩١م ) ص ٢٣١ - ٢٦٤ ، غيثان علي جريس . " بلاد بني شهر وبني عمرو خلال العصر الإسلامي الوسيط " مجلة العرب ، جـ٩، ١، س (٢٧) ( الربيعان ، ١٤١٣هـ /١٩٩٢م ) ص ٦٠٧ - ٦٢٣ ؛ وللمؤلف نفسه . " بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني " سوف ينشر في مجلة الدارة ، عدد ( ربيع الآخر والجمادين ) ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ) .

٤٦ - تشير بعض المصادرإلى أن يعلى بن منبه كان والياً على بلاد اليمن أثناءفي خلافة أبي بكر الصديق ، لكنها لم تشر إلى الحدود التي شملتها هذه الولاية ، إلاّ أن من المؤكد وطبقاً لرواية بعض المصادر ، فإنها المنطقة الممتدة جنوبي مكة المكرمة والطائف ، والممتدة إلى حواضر اليمن الكبرى - وبهذا - فمخلاف جرش يأتي ضمن تلك الأجزاء المذكورة ، وربما كانت ليعلى بن منبه الولاية العامة لتلك المناطق المشار إليها ، ومن الجائز أنه كان يستعين ببعض الموظفين والعمال وشيوخ القبائل الخاضعة ضمن إطار نفوذه الجغرافي في المنطقة . (وللمزيد من التفصيل عن الإدارة في الدولة الإسلامية ، وإدارة الجزيرة العربية ونواحيها المختلفة ، انظر : حسام الدين السامرائي . المؤسسات الإدارية في

الدولة العباسية خلال الفترة ( ٢٤٧ - ٣٣٤هـ / ٨٦١ - ٩٤٥م ) ( دمشق : دار الفتح ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧١م ) ص ٢٠ وما بعدها ؛ صالح أحمد العلي . " إدارة خراسان في العهود الإسلامية الأولى " مجلة كلية الآداب ، عدد (١٥) (١٩٧٢م) ص ٣١١ – ٣٤٢ . وللمؤلف نفسه " إدارة الحجاز في العهود الإسلامية الأولى "مجلة الأبحاث، سنة (٢١)مج ١ -٤ (١٩٦٨م) ص٣ - ٥٧،

**Jacob Lassner " Provincial Administration Under the Early Abbasid : The Ruling Family and the Amsir of Iraq Studia Islamic . VOL . 50 (1979) PP. 21 -35 , J . Lassner . " Provincial Administration Under the Early Abbasid : Abu -Jafar al-mansur and the Governore of the Haramayn " Studia Islamica , Vol . 49 (1979) PP. 39 - 54 , S.B. Samadi . " Some Aspect of the theory of the State and Administration Under the Abbasids " Islamic Culture . Vol . XXIX , No. 2 (1955) PP. 120 - 150 , Hugh Kennedy , " Centeral Caliphate " Bulletin of the School of Oriental and African Studies . Vol. XLIV, (1981) PP. 26 - 38 ; Ghithan .A. Jrais , " The Governorship in the Hijaz During The Early Abbasid Period ( 132 - 232 A. H. I 749 - 846 ) Ages (مجلة العصور) Vol . 7, part . I (1992) .**

٤٧ - وبعد عصر الخلفاء الراشدين ، وفي زمن الأمويين والعباسيين ، بعد انتقال مركز الخلافة إلى دمشق وبغداد ، اشتغل الخلفاء باستقطاب القلوب وتأليف النافرين ، ولم يعط خلفاء تلك العصور الجزيرة العربية الأهمية التي كانت عليها في أيام الرسول (ﷺ) وزمن الخلفاء الراشدين ، رغم أنهم أولوا اهتمامهم بالحرمين الشريفين لمكانتهما المقدسة ، بل انصب جل اهتمامهم بمناطق أخرى لها ظروفها المختلفة التي تستدعي ذلك الاهتمام ، كالعراق وفارس ، وبلاد الشام ومصر والمغرب والأندلس وأفريقيا . أما البلاد الممتدة من الحجاز جنوباً إلى بلاد جرش فقد أنيط أمر الاهتمام بها إلى عمال مكة المكرمة ( شكلياً ) وترك أمر إدارتها الداخلية لأهلها شأنها في ذلك شأن كثير من مناطق شبه الجزيرة العربية . انظر ، صالح أحمد العلي " إدارة الحجاز .. " ، ص ١٠ وما بعدها ؛ غيثان علي جريس . " مواقف خلفاء بني العباس الخيرية

تجاه أهل الحجاز ( ١٣٢ - ٢٣٢هـ ) مجلة المنهل ( العدد ، " ٤٩٧ " ) مج ٥٤ ، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) ص ٨٢ - ٨٨ . وللمزيد من تفصيلات أكثر ، انظر ، المراجع الواردة في ملاحظة (٤٦) .

٤٨ - لمزيد من التفصيل عن مدينة حلي بن يعقوب في تهامة ، ومن استوطنها خلال القرون الإسلامية المبكرة ، انظر . الزيلعي " المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حلي .... " ص ١١ وما بعدها ، العقيلي . تاريخ المخلاف ، جـ ١ ، ص ٦٧ وما بعدها ، عاتق بن غيث البلادي . بين مكة واليمن (رحلات ومشاهدات) . ( مكة المكرمة : دار مكة للطباعة والنشر ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ) ص ١٧٦ - ١٧٧ ، ٢٠٠ .

٤٩ - سليمان بن طرف هو الحكمي ، من آل عبد الجد المشهورين بزعامة المخلاف السليماني منذ ظهور الإسلام ، ومنهم عبد الجد الوافد على الرسول (ﷺ) والذي أفرشه رداءه ، وقد سمي المخلاف باسم سليمان بن طرف الحكمي ، ولا زال يحمل المخلاف هذا الاسم إلى هذا الوقت، لمزيد من التفصيل ، انظر : العقيلي . تاريخ المخلاف السليماني ، جـ ١ ، ص ٧١ وما بعدها ، الزيلعي ، الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان ، ص ١٢ وما بعدها .

٥٠ - بلاد عك والأشاعرة في الأجزاء التهامية ، ويذكر أنها كانت من مخاليف مكة ، وللمزيد من التوضيح انظر : الطبري ، جـ٣ ، ص ٣٢٠ - ٣٢١ ، البكري ، مج٢ ، جـ٣ ، ص ٩٦٢ .

٥١ - ولمزيدمن التوضيح عن دولةبني زياد ومدى نفوذها ومواجهتها للفتن والثورات التي قامت في بلاد اليمن ، انظر . عبدالواسع يحيى الواسعي . تاريخ اليمن ، المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ( صنعاء : الدار اليمنية

للنشر والتوزيع ، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م ) ص ١٦٠ وما بعدها ، العقيلي . التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، جـ ١ ، ص ١٧ ـ ٢٠ .

٥٢ ـ المصادر نفسها .

٥٣ ـ انظر ، محمد حميد الله ، ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠ ، انظر : صالح العلي " الحمى .. " ص ٣ وما بعدها .

٥٤ ـ جمال الدين أبو الفتح يوسف بن المجاور . تاريخ المستبصر تحقيق أوسكر لوفغرين ( ليدن : مطبعة بريل ، ١٩٥١م ) جـ١ ، ص ١٣ ، ياقوت ، جـ٢ ، ص ١٢٦ .

٥٥ ـ ياقوت ، جـ٢ ، ص ١٢٦ ، ابن منظور ، جـ٢ ، ص ٢٥٠ . ويلاحظ أن النوق لا زالت تستخدم في عصر السمسم في تهامة بلاد عسير إلى وقتنا الحالي .

٥٦ ـ العثرية : المناطق الزراعية التي تعتمد في سقيها على الأمطار .

٥٧ ـ وللمزيد من التفصيلات عن صادرات بلاد السراة ، بما فيها مخلاف جرش ، انظر : الهمداني ، المصدر السابق ، ص ٢٥٥ وما بعدها ، محمد بن أحمد بن جبير . رحلة ابن جبير ( بيروت : دار الكتاب اللبناني ، د. ت ) ص ١٠٢ ـ ١٠٥ ، غيثان علي جريس " بلاد بني شهر وبني عمرو خلال العصر الإسلامي الوسيط " ، ص ٦٠٧ ـ ٦٢٣ .

٥٨ ـ أحمد بن حنبل ، المسند ، جـ ١ ، ص ٢٢٤ ، محمد حميد الله ، ص ٢٩٠ .

٥٩ ـ انظر ، عبدالملك بن قريب الأصمعي . كتاب النخل والكرم ، نشرة الأب لويس شيخو اليسوعي ( بيروت : المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، ١٩١٤م ) ص ٧٥ .

٦٠ ـ ابن منظور ، جـ٢ ، ص ٢٥٠ ، جواد علي . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ( بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٠ ) جـ٧ ، ص ٧٣ .

٦١ ـ البكري ، مج١ ، جـ١ ، ص ٣٧٦ ، الإدريسي ، جـ١ ، ص ١٤٦ .

٦٢ ـ أحمد بن داود الدينوري . كتاب النبات ، القسم الثاني من القاموس النباتي ، جمع محمد حميد الله ( القاهرة : المعهد العلمي الفرنسي للآثار ، ١٩٧٣م ) ص ١٥٤ ـ ٢٣٩ ، ٢٤٥ ، انظر ، أيضاً ، اللسان لابن منظور ، جـ٢ ، ص ٢٥٠ . وقد يلاحظ المشاهد في بلاد عسير في وقتنا الحالي كثرة إنتاج العنب والفواكه والخضروات المتنوعة في أجزاء عديدة من المنطقة .

٦٣ ـ عماد الدين إسماعيل أبو الفداء . كتاب تقويم البلدان ( باريس : دار الطباعة السلطانية ، ١٨٤٠م ) ص ٩٥ .

٦٤ ـ الإدريسي ، جـ١ ، ص ١٤٦ .

٦٥ ـ محمد حميد الله ، ص ٢٩٠ .

٦٦ ـ أبو الفداء ، ص ٩٥ ، ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ١٣ .

٦٧ ـ للمزيد من التوضيحات عن طريقة دباغة الجلود ، والظروف المساعدة لمهنة الدباغة ، انظر : أحمد بن داود الدينوري . كتاب النبات ، الجزء الثالث ، والنصف الأول من الجزء الخامس ، تحقيق ، بي لوين ( فيستبادن ، د. ن ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م ) ص ١٠٤ ـ ١٢١ ، أحمد فاروق . " دباغة الجلود وتجارتها عند العرب في مستهل الإسلام " مجلة العرب ، جـ ٧ ، ٨ (١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م ) ص ٥٣٨ ـ ٥٥٥ ، أحمد عمر الزيلعي . مكة وعلاقاتها الخارجية ( ٣٠١ ـ ٤٧٨هـ ) ( الرياض : عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الرياض ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ) ص ١٨٩ ـ ١٩١ .

٦٨ - انظر: ياقوت، جـ ٢ ، ص ١٢٦ ، جواد علي ، جـ٧ ، ص ٥٨٧ ، الزيلعي ، مكة وعلاقاتها الخارجية ، ص ١٨٩ - ١٩١ .

٦٩ - ابن منظور ، جـ٤ ، ص ٢٧٧ .

٧٠ - المصدر نفسه ، جـ٩ ، ص ١٢٣ .

٧١ - ابن هشام ، جـ٤ ، ص ١٢١ ، الطبري ، جـ٣ ، ص ٨١ - ٨٢ .

٧٢ - لمزيد من المعرفة عن محطات الطريق التجاري الذي يربط الحجاز باليمن ، ويأتي من شرق بلاد جرش ، انظر . ابن خرداذبة ، ص ١٣٤ - ١٣٦ ، قدامة ، ص ١٨٧ - ١٩٠ ، الإدريسي ، جـ١ ، ص ١٤٤ - ١٤٩ .

٧٣ - الهمداني ، ص ٢٥٥ .

٧٤ - كان العرب ولا زال بعضهم ينظر إلى المهن والحرف الصناعية ( كالحدادة ، والصياغة ، والنجارة وغيرها ) نظرة ازدراء ، ثم إن السواد الأعظم من العاملين فيها كانوا من الموالي والعبيد ، أو من اليهود والنصارى . وللمزيد من التفصيلات عن وضع الحرف عند العرب والمسلمين خلال العصور المختلفة ، انظر: جواد علي ، جـ٧ ، ص ٥٤٣ وما بعدها ، عبدالعزيز إبراهيم العُمري . الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول (ﷺ) ( الدوحة : مركز التراث الشعبي ، ١٩٨٥م ) ص ٤٢ - ٤٦ ، غيثان علي جريس " أهم الحرف والصناعات في الحجاز خلال القرون الإسلامية المبكرة " مجلة المنهل ، العدد (٤٩٢) مج٥٣ ( ١٤١٢هـ / ١٩٩١م ) ، ص ٨٢ - ٩٦ .

٧٥ - البلاذري ، ص ٧٠ .

٧٦ ـ وللمزيد من التفصيلات عن بعض النواحي الاجتماعية في بعض من أجزاء العالم الإسلامي خلال العهود الإسلامية الأولى ، انظر . عبدالله محمد السيف . الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي ( بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م ) .

M.M. Ahsan . Social Life Under The Abbasids (London : Longman , 1979 ) ; G.A . Jrois . The Social Industrial , and Commercial History of the Hejaz Under the Early Abbasids (132 - 232A. H/749 - 847 A.D ), Unpublished ph. D. ihesisi University of Manchester , England , (1989) .

# قضية ورأي

للدكتور : محمود إسماعيل عمار



# توظيف الشخصية التراثية في الشعر المعاصر

د. محمود عمّار

لكل أمة أو جماعة أو جنس : شخصية ظاهرة ، تتبدى في مقاييس الوجه والجمجمة ، ولون البشرة والعيون ، ونوع الشعر وتوزيعه ، وأبعاد الجسم ونشاط الغدد [١] .... ، ولها شخصية معنوية ، ـ أهم من تلك الشخصية ـ تتبدى في خصائص التفكير ، ومناهج الحياة ، ومظاهر السلوك ، ومعالجة الأمور ، ونوعية الطباع ، وأساليب الإبداع .

وتتشكل هذه الشخصية من مجموعة السمات الجماعية في الأمة ، ويسهم في بنائها مجموعة الأفكار ، والتقاليد ، والعقائد ، والآداب المتوارثة التي صاغت وجدانها ، ومرت بها عبر تاريخها الطويل ، أو هي مجموعة المؤهلات الفطرية والمكتسبة التي تناقلتها الأجيال ، جيلاً بعد آخر .

وهذا الموروث الثقافي الذي يشكل شخصية الأمة يعمل في اتجاهين متقاطعين . فهو يميز الأمة من غيرها في عاداتها ، وطريقة تفكيرها ، وأسلوب حياتها ، فيقال الأمة العربية والإسلامية ، والأمة الفارسية ، وكذا البريطانية ، والروسية .. وهكذا . ويجعل ـ من ناحية أخرى ـ حياة الفرد في الجماعة سهلة منسجمة في إطار ما يعرف بمواصفات " الدور العام " التي تنطبق على كل أعضاء الجماعة بصرف النظر عن المراكز المعينة التي يمثلونها [٢] ، فكل فرد ـ تقريباً ـ شبيه بغيره ، مع المحافظة على "خصخصة الأفراد" والاعتراف بالفروق الفردية بين أبناء المجتمع ، فيظهر الاختلاف في نطاق الوحدة والتباين في غضون الوفاق ، والتفاوت في إطار التشابه ، وبذلك تظل الأبواب مشرعة

للإبداع والابتكار ، والمواهب الشخصية التي تضيف إلى تراث الأمة ، وتواصل مسيرة الإنتاج فيها .

ولا نغلو في تقدير الجنس على نحو ما ذهب إليه العقاد ـ رحمه الله ـ في تفسير عبقرية ابن الرومي حين رجعها إلى العبقرية اليونانية (٣) وعلى ما ذهب إليه شوقي ضيف في عوامل نبوغ أحمد شوقي حين ردّها إلى امتزاج العناصر التركية والشركسية واليونانية والعربية والكردية ثم تابع العقاد فمنح العنصر اليوناني الذي جاء لشوقي من جدته لأمه أهمية خاصة (٤) .

ونرفض رفضاً قاطعاً النظرية الغربية التي استغلت خصائص الجنس في التفريق بين الشعوب وامتياز بعضها على بعض لدعم موجة الاستعمار في القرن الماضي . فنحن نتحدّث هنا عن الخصائص التي لا تعطى امتيازاً ، ولكنها تمثل مع غيرها استطراقاً بشرياً لكامل الجنس البشري ، وتحقيق رسالته الربانية في مسيرة الحياة وعمارة الكون .

وهذه الفكرة واضحة في كتابات الجاحظ عن الأجناس البشرية في بعض رسائله (٥) ، وهي حقيقة لا يمكن التغافل عنها أو إهدارها " مما جعل مسألة الجنس أشبه بالأصول الطبيعية " (٦) .

وتحدث كارل جوستاف يونج (ت ١٩٦٠) أحد تلامذة فرويد عن اللاشعور الجمعي على أساس أنه يحتوي على طاقات كافية نشترك فيها جميعاً بحكم تكويننا الإنساني ، وفي داخل اللاشعور الجمعي ، تقبع النماذج البدائية التي تعبر عن أشكال تفكير عالمية ، أو استعداد لإدراك العالم ، وفهمه بطرق معينة ، ورجع كثيراً من مظاهر الإبداع والتفوق إلى هذين العنصرين (٧) .

تقول الأديبة الكاتبة بنت الشاطئ : (( وما ذوقنا اليوم إلا خلاصة لمؤثرات شتى ، خضع لها أجدادنا ، وأضاف إليها كل جيل منهم ما استحدث .... ( وهناك )

عنصر موروث في ذوقنا ، يصله بأقدم ما كان لأسلافنا من خواص ذوقية ، وهذه قضية فرغ العلم من إثباتها بحيث لا أجد ضرورة إلى الإطالة في التماس الأدلة والشواهد عليها )) [٨] .

ويتفق معها الناقد السعودي النابه عبدا لله الغذامي، فيقول: (( أنا ـ كشخص ـ نتاج لماض من السنين قد يبلغ ألفاً وأربعمائة سنة أو يزيد إلى ألف وخمسمائة وخمسين سنة ، وأنا محكوم بهذه السنين أدركت ذلك ، أم لم أدركه ، فإذن سأعود إلى هذه السنين ، وأتلمس من خلالها طريقي )) [٩] .

وأدباؤنا اليوم تتشعب بهم المناهج ، وتختلف الطرق . فمنهم من ينشغل بالقديم لا يتعداه إلى غيره ، فيرى الأدب ما قال السابقون ، ويرى النبوغ في تقليدهم ، والنسج على منوالهم ، ويؤثر لفائف التاريخ ، وأصداء الماضي ، ويعيش معزولاً عن حاضره ، منقطعاً عن مجتمعه ، غائباً عن أحداث عصره ، تؤنسه النماذج التي يجد فيها أنفاس البحتري وابن الرومي والمتنبي ، ويطمح أن يكون هو أو غيره ، صورة مكرورة ، أو نسخة طبق الأصل من هؤلاء العباقرة الأفذاذ . وهو " في وقفته على القديم إنما يتجه إليه قسراً بتأثير مزاجه وشخصيته ، ولا مفرّ من أن يقع ظل نفسه على كلّ ما يقرأ من حديث الزمن الغابر ، وهو فيما يكتب لا يستطيع أن يصم مسمعه عن أصداء العصر التي تلاحقه حيثما اتجه " [١٠] لكن هذه البصمات لا تكفي لتمثل روح العصر ، ومسايرة الحياة . لأن سنة التطور والارتقاء أوسع مدى من ذلك .

ومن الأدباء من يقطع صلته بالماضي ، ويتنكر كل التنكر للقديم ، ويدير ظهره تماماً للتراث ، ويغمض عينه ، ويصم سمعه عن منجزات الأسلاف ، ويدعى أنه قادر على السير إلى الأمام من غير أضواء كاشفة تنير له الطريق ، وأن الإبداع لا يحتاج إلى هذه التربة التراثية التي تحتضنه وتغذيه ، وتكسبه هوية الأمة ، وتربطه بوجدانها .

إن الفنون ـ ومنها الأدب ـ لا تتولد فجأة في ذات الفرد من غير أن تتوافر لها عناصر التلقيح ، وأسباب التكوين ، ولا يمكن أن تكون نبتاً شيطانياً ينمو من غير جذور ، ويقوم على غير جذع ، ويقوى من غير تربة صالحة . وإنما هي مولود شرعي ، يتصل بأعماق الأمة ، ويتخلق بأخلاقها ، ويكتسب ملامح شخصيتها ، ويأخذ لون سحنتها ، ويتكون في نفوس أبنائها .

" إن حركة الشعر الحر ـ كما تقول نازك الملائكة ـ لن ترسخ في تاريخنا ، حتى يدرك الشاعر الحديث أن تراثه القديم ، قد كان هو المنبع الذي ساقه إلى إبداع الجديد "[١١] .

وهذا ما يقرره الغذامي أيضاً ، حيث يقول : " تراثنا .. مليء بأنواع التسامي الجمالي في درجات من الشاعرية متباينة ، وجميعها تشكل موروثاً فنياً يتسرب عبر الأجيال داخل النفوس ، وبمقدار ما يمتلك الفرد من هذا الموروث داخل نفسه تكون قدراته في تمثل هذه الجماليات الشاعرية في إبداعه "[١٢] .

وهنا موقف كشفت عنه بنت الشاطئ جدير بالملاحظة ، فالدول " الطارئة المحدثة هي وحدها التي يحق لها أن تستهين بقيمة التراث ، وتزعم أنه أكفان موتى ، يفسد ريحها مناخ العصر ، مستجيبة في هذا الموقف لما تشعر به من عقدة النقص ، إذ يعوزها ماضٍ في التاريخ يعطيها تراثه ، أما الشعوب العريقة فهيهات أن تعي ذاتها دون إدراك عميق لمقومات أصالتها التي حققت وجودها على مسار تاريخها الطويل ، بل هيهات أن يصح وجودها المعاصر ما لم يكن قائماً على أساس من خصائصها الذاتية المادية والمعنوية ، التي تميز شخصيتها ، وتعطيها طابع الأصالة وسمات العراقة "[١٣] .

والعرب يجمعون على أن وسيلة الشاعر ـ كما هي وسيلة الأديب ـ أمران : الرواية والدراية ، أو الحفظ والطبع ، وفي ذلك يقول القاضي الجرجاني : " إن الشعر

علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء .. إنني أرى حاجة المحدث إلى الرواية أمسّ ، وأجده إلى كثرة الحفظ أفقر .. وقد كانت العرب تروي وتحفظ ، ويعرف بعضها برواية شعر بعض " [١٤] .

وهذا ما قرره ابن خلدون أيضاً حين قال : " ولا بد للشعر من شروط ، أولها الحفظ من جنسه ، ومن كان خالياً من المحفوظ ، فنظمه قاصر رديء ، لا يعطيه الرونق والحلاوة إلا كثرة المحفوظ " [١٥] . فالرواية تصقل موهبة الأديب ، وتصوغ عبقريته ، والحفظ يربطه بتراث الأمة ، ويطلعه على ذخائر أبنائها ، وما أفرزته قرائحهم . والإلمام بالتراث الشعري هو آخر محطة في تكوين الشاعر ، وأهم هذه المحطات التي يمر بها في مراحل الإعداد .

وحين نرجع إلى حياة الأدباء نقع على هذا العنصر المشترك في تكوينهم ، الذي يمكن أن نطلق عليه (التلقي) فلن يولد شاعر من فراغ ، ولن يأتي الشعر بدون مقدمات وأسباب ، ولا بد للشاعر من مراحل إعداد وتخزين ، وصقل وتوجيه ، تحفز موهبته وتفتق مقدرته ، " وقد وجدنا الشاعر من المطبوعين المتقدمين يفضل أصحابه برواية الشعر ، ومعرفة الأخبار والتلمذة لمن فوقه من الشعراء " [١٦] .

وعملية الإعداد عملية شاقة ، وسلم صعب المرتقى ، والتعبير الرائع لا يتجسم في صورة خالدة إلا بفضل التحصيل الطويل والتفكير الشاق ، وإذا اطلعنا على النسخة التي كان " كيتس " يقرأ فيها أعمال " شكسبير " عرفنا كم كان يبذل من الجهد المنظم في هذه القراءة ، فقد ملأها بالخطوط والأقواس والتعليقات ، فلم تكن قراءة سهلة أو عادية ، لأن " كيتس " جعلها وسيلة لإعداده شاعراً مبدعاً [١٧] وكان المتنبي يحفظ ديوان أبي تمام والبحتري ، ويستصحبهما في أسفاره ، وحدّث من رأى خطه وتصحيحه فيهما [١٨] .

وصرّح غير شاعر بما يؤيد هذه الظاهرة التاريخية في تكوين الشعراء ونشأتهم ، في مراحل مختلفة من تكوينهم الفني ، إذ لا مناص للشاعر الفنان من امتثال الثقافات القديمة ، والتقدم بها خطوة جديدة . وقد أطلعنا توفيق الحكيم في زهرة العمر على ما بذل من مشقة في سبيل إعداد نفسه ، وعدّ شاعر معاصر ستين أديباً في قائمة الأدباء الذين تأثر بهم ، وقال أحمد رامي : لقد قرأت كثيراً .. كثيراً جداً ، قرأت حتى كدت أُجَنّ .. كنت أقرأ حتى أصاب بدوار (١٩) . ولم يقل أبو نواس الشعر حتى روى لسبعين امرأة فضلاً عن الرجال ، ويذكر الرواة الطريقة التي كان بها زهير يخرج تلاميذه من أهل بيته وغيرهم ، إذ كان يُحَفِّظهم شعره وشعر غيره حتى تتضح موهبة الشعر فيهم (٢٠) .

ولا يستغني شاعر عن هذه الوسيلة المهمة ، وهذا يفسر لنا سلاسل الرواة في الشعر العربي ، وظهور المدارس الفنية ، واجتماع الشعراء في البيت الواحد ( الأب والأم ، والابن والأخ والأخت والعم والخال ) وهكذا ... وقد نقل الغذامي قول الأخطل عن نفسه وعن غيره من الشعراء " نحن الشعراء أسرق من الصاغة " ثم قال : وهذا أمر لا يخصّ العرب وحدهم ، وإنما هو حسٌّ عالمي ، فالأديب الكبير برايخت يقول عن شكسبير " وشكسبير أيضاً كان سارقاً " ، ولا يخفى ما في كلمة " أيضاً " من تضمين يدخل فيه آخرون من بينهم برايخت نفسه (٢١) . ويقول في موضع آخر : " إن العمل نتاج لمكونات عظمى انبثق من بينها ، ولكي نفهمه لا بد أن نفهم المكونات العظمى التي ساهمت جميعها في تكوينه " (٢٢) .

وهذا التاريخ في إعداد الشاعر يحتاج إلى عمق التحصيل وتنظيم الاكتساب ، ثم الوصول إلى درجة الاتحاد مع التراث ، بحيث ينسى الشاعر تحيز المصادر ، والإحساس بها بشكل مباشر ، ويكون إبداعه وفنّه محصلة نهائية لانصهار معطيات

التراث في ذاته ، والتعبير عنها في شكل جديد مبتكر ، بمعنى أن تنمحي الخبرات السابقة من ذاكرته بعد أن تكون قد تحوّلت جزءاً منه ، غير متميز أو متحيز عنه ، أو كما يقول علماء النفس : أصبحت نحن لا لنا ولا منّا " [٢٣] وقد تنبه ابن خلدون إلى ذلك فقال :

" إن من شرطه نسيان ذلك المحفوظ ، لتمحى رسومه الحرفية الظاهرة ، إذ هي صادرة عن استعمالها بعينها فإذا نسيها ـ وقد تكيفت النفس بها ـ انتعش الأسلوب فيها ، كأنه منوال يؤخذ بالنسج عليه بأمثالها " [٢٤] . وفي هذا المجال أخذ الغذامي قول رولان بارت عن القراءة فجعله عن الكتابة وقال : إنني أكتب لأنني نسيت . فالكتابة الحقة لا تكون إلا عندما يكون الوعي بالآخر مطموساً في الذهن ، وتتم في أثناء غيبوبة الآخر أو نسيانه ، ولو وعى اللاحق بالسابق وتذكره لم يكتب عندئذٍ [٢٥] .

فالشاعر أو الأديب أو الفنان ذو عقلية قادرة على هضم الموروث والمقروء ، كما هو قادر بمعدته على هضم الطعام ، وكما يقوم الجسم بتمثل المواد الغذائية بعد الهضم ، يستطيع أن يتمثل عناصر الفكر والفن والأدب بعد القراءة والحفظ " فالعمل الأدبي يأتي بابتكاراته ، واندفاعاته المنبثقة من أصالة ذاتية ، تولدت أصلاً من فعالية قرائية تحولت بعد المران إلى فعالية كتابية " [٢٦] . ويقول فراي " كل ما هو جديد في الأدب ليس إلا مادة قديمة صيغت مرة أخرى بطريقة تقتضي تصنيفاً جدبداً [٢٧] .

وحين يعجز الأديب عن تمثل العناصر الغذائية ، وهضمها ودمجها في كيانه ، بحيث تبقى مستقلة متحوصلة تشير إلى ذاتها ومكانها ومصدرها ، فإنه يحلق في عالم الأدب بجناح مهيض ما يلبث أن يقع ، وينكشف زيفه ، لأنه شاعر أو أديب مقلّد ، ناقل ، لا تشمله دائرة الإبداع ، ولا يمتد إليه رواق الابتكار والفن الأصيل .

وليست مهمة الفن تكرار الصور المألوفة ، أو بعث أرواح السابقين ، أو زيادة النسخ المكرورة أو طبع آلاف الوحدات المتشابهة ، كما هو الشأن في عالم المادة وفي مجال الصناعة ، بل هدفه ومهمته توليد نماذج جديدة ، وتأليف صور بديعة ، وتفريخ وحدات مبتكرة ، بأرواح جديدة ، ووجوه معاصرة وقسمات شابّة ، تحمل بصمات الآباء ، وتضرب بجذورها في أعماق الزمن ، ووجدان الأمة .

وقد أطلق النقاد على هذا الترابط " النصوص المتداخلة " فلا يوجد نص على الإطلاق يوصف بالابتكار المطلق ، ولا بد من عناصر شعورية أو لا شعورية ترادفت عليه ، واندمجت في تياره حتى أمكن الحصول على هذا النص الجديد الفريد ، يقول ليتش : إن النص ليس ذاتاً مستقلة ، أو مادة موحدة ، ولكنه سلسلة من العلاقات مع نصوص أخرى ، ونظامه اللغوي مع قواعده ومعجمه ، جميعها تسحب إليه كماً من الآثار والمقتطفات من التاريخ ، ولهذا فإنّ النص يشبه في معطاه جيش خلاص ثقافي بمجموعات لا تحصى من الأفكار والمعتقدات والإرجاعات التي لا تتآلف ... وكل نص حتماً نص متداخل " (٢٨) . ونفت جوليا كريستيفا وجود نص خال من مداخلات نصوص أخرى عليه ، وقالت : " إن كل نص هو عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات ، وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى " (٢٩) وهي بمنزلة عناصر غذائية تمده بالطاقة ، وتساعده على التميز ، وقوة الأسد تكمن في مقدار ما افترس من النعم والشاء ، أو هي مجموع ما أكل منها ، وقوة النهر في عدد ما ترفده من الجداول ، وغزارة مائها ، فإذا اختار الأديب النماذج القوية الجيدة ، وهضمها هضماً جيداً ، وتمثلها مادة حياةٍ لأدبه ، وألقت أضواءها الكاشفة على شعره ، ونسيها وظلت تمده بقوة الاندفاع الذاتية ، وواتاه مع ذلك طبع طيِّع ، وقريحة موّارة ، فقد تحققت له عناصر الإبداع .

حتى هذه الكلمات التي يستعملها الأديب ، وقد تبدو محايدة لأنها كما يقول بارت : عقد اجتماعي لا مناص للفرد عن قبوله قبولاً كاملاً حتى يكون مفهوماً من الآخرين ، وليس في مقدور الفرد أن يخلق لغة جديدة (٣٠) ولا يستطيع أحد أن يضع كلمة لم يطمثها نص من قبله (٣١) كما تبدو أيضاً محددة بحكم النظام اللغوي الثابت المتمثل في قواعد النحو والصرف والاشتقاق والدلالات المعجمية ، غير أنه لا يمكن مع كل ذلك أن تنجو اللغة من التأثير المتبادل حسب موقعها في النصوص ، ولا أن تتجرد من عبق التاريخ الذي مرت به في الاستعمالات المختلفة ، " إنها موروث رشيق الحركة ، لها قدرة على التكيف بين المدلولات بحيث تقبل تغيير هويتها حسب السياق . والسياق مجهود إبداعي يصدر عن المبدع نفسه " (٣٢) وفي ذلك يقول باختين : " إن الفنان الناثر مواجه بعالم مكتنز بكلمات الآخرين ، وهو يندفع نحوهم مجبراً على تحسس خصائصهم بآذان تواقة ، وعندما يمتلك الفرد كلمة من الجماعة ، فإن هذه الكلمة لا تستقر عنده على أنها كلمة لغوية محايدة ، ولكنه يستقبلها من صوت الآخر ، وتدخل إلى سياقه قادمة من سياق ( قديم ) وهو سياق تشبّع بتفسيرات الآخرين واستعمالاتهم " (٣٣) . أو كما يقول الغذامي : " إن كل كلمة في النص محملة بإيحاءات اكتسبتها من تاريخ استخدامها في الماضي ، ومن واقع استخدامها في الحاضر " (٣٤) .

ولكن ليس معنى ذلك أن الأديب أو الكاتب أصبح مسلوب الإرادة حيال هذا الإرث الدلالي ، أو في مواجهة هذه الإيحاءات ، وأن استعمال الكلمة يتم بشكل آلي لا يملك حياله القبول والرفض ، وأن عليه أن يصغي إلى هذا السياق ، فيكتب ما يأمره به !! فالذاتية الفردية المبدعة في الأديب تستطيع أن تجلو كلمات اللغة ، وأن تثري الظلال التاريخية فيها ، وأن تطلق اللغة من عقال الجمود ، وأن تبث في الكلمات

أرواحاً جديدة وثّابة ، تتراكض الحيوية في صدرها لتسبح في جو مضمخ بالأحاسيس ، والإيماءات المتعددة ، وأن تحمل دلالات مكثّفة من خلال النصوص التي مرت بها ، ومن خلال تجربة الأديب ، وصدق مشاعره .

وقد استطاع الشعر الحديث أن يصل إلى تراكيب جديدة ، وأن يؤلف بين ألفاظ متباعدة ، وأن يربط بين كلمات لم يكن يخطر على البال من قبل أن يتم الالتحام بينها ، وأن يوظف ذلك في سياقات مبتكرة هزت المشاعر ، ولفتت الأنظار إليه على الرغم من نكران المنكرين ، وهذا يتماشى مع ما دعا إليه عبدالقاهر الجرجاني ـ رحمه الله ـ من الربط بين المتباعدين في التشبيه ، والدعوة إلى أن يكون الشبه المقصود من الشيء مما لا ينزع إليه الخاطر ، ولا يقع في الوهم ( إلا ) بعد تثبت ، وتذكر ، وفكر للنفس في الصور التي تعرفها (٣٥) ويقول : و " كل شبه رجع إلى وصف أو صورة أو هيئة من شأنها أن ترى وتبصر أبداً ، فالتشبيه المردود إليه غريب نادر بديع (٣٦) .

وهذا التوظيف الجديد للمفردات ، ووضعها في سياقات جذابة هو ما ميز شعر بشار وأبي نواس ، ومسلم بن الوليد ، وأبي تمام ، والبحتري ، وغيرهم من الرواد والفحول ، وأعطى شعرهم الصدارة والتفوق . لكن هذه الموجة تعثرت في عصور الجمود والتقليد . وقد حمل محمد مندور على غلبة القوالب الثابتة ، واستعمال التعبيرات المحنطة ، وظهور المحفوظ متميزاً في إنتاج الأدباء والكتاب المعاصرين . وقال : مقياس الجودة في صناعة الكتابة مقياس واحد لا نعرف غيره ، وهو أن تكون الصنعة محكمة إلى حد الخفاء حتى لتلوح طبيعية . وهذا معنى السهل الممتنع (٣٧) .

ومن هذا يتضح أن كل عمل إبداعي يؤثر فيه عاملان :

## - الشكل القديم المتوارث المتاح :

وقد عبر عنه الغذامي بالسياق الأكبر ، وهو لغة الجنس الأدبي التي تكونت من خلال نمو رصيد هذا الجنس الموروث [٣٨] وشرطه كما رأينا عند الجرجاني وابن رشيق ، وابن خلدون ، ورولان بارت ، كثرة الحفظ والرواية والاطلاع ، ثم نسيان هذا المحفوظ مع بقاء أثره الفني " فالكاتب في أصله قارئ ، ظل يمارس القراءة ، وفيها كتب ليقدم نفسه لقراء آتين مثله ، وهو عندما كتب اعتمد على الوعي الجمعي للغة ، ذلك الوعي الذي تدّرب فيه حينما كان يقرأ ، وهو عندما كتب فإنه صاغ نصاً جماعياً من حيث لغته فهي لغة الأمة ، ولغة ذلك الفن الأدبي المعين " [٣٩] .

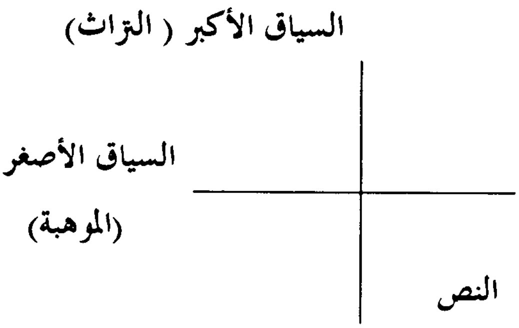
## - الإبداع الفردي التطويري :

ويمكن أن يطلق عليه ما أسماه الغذامي " السياق الأصغر " وهو مجموع النتاج الأدبي لذلك الأديب المعين [٤٠] ، وتدخل فيه القدرات الإبداعية الفردية لدى الأديب ، التي من خلالها يصفي موروثاته ويصنعها صناعة جديدة فيها لمسات استعداده وفنه ، وبذلك يتميز فرد من فرد آخر في بيئته وعصره ، وتتعدد الأنماط والسمات فإذا بقافلة الفن والأدب ، متصلة القطار ، دائمة الجريان .

ويبدو - بوضوح - أن الاستعداد الفطري الذي يتمتع به الفنانون والأدباء والعباقرة تعبير عام لا يضع أيدينا على شيء محدد ، أو هو ضرب من المجهول ، ولكنه ذو أثر وفعالية ، يمارس نشاطه في كل الأفراد ممن يخضعون لظاهرة الإبداع ، ولكن بنسب متفاوتة ، يمنحها الخالق لمن شاء من عباده ، ومهما حاولنا أن نتلمس هذه الخصائص الفنية التي تجعل الفرد مبدعاً ، فإننا نظلّ في حدود منطقة السطح التي لا تتجاوز الدلائل والأمارات ، والشواهد والآثار ، فما " نزال نرى في العبقري جانباً مجهولاً نرجعه إلى فكرة الاستعداد الفطري" [٤١] ، وهو ما وقفت عنده الوسائل العلمية

كليلة دون أن تتقدم خطوة في الكشف عن ماهيتـه ، ومصـادره ومنابعـه ، إذ لم يمكـن حتى الآن إدخال النفس البشرية في معـامل التحليـل المخـبري ، الـذي يفتّتهـا ، ويقـف على مكوناتها الجزئية ، وطبيعة تركيبها ، وما أظن البشرية واصلــة لذلـك في يـوم مـن الأيام (٤٢) .

والنتاج الأدبـي حسـب رأي الغذامـي هـو نقطـة التقـاطع بـين السـياق الأكـبر والسياق الأصغر على نحو ما يوضح الرسم التالي (٤٣) :




ومعنى ذلك أن السياق الأكبر يمثل مصدراً رئيساً للإبداع الفـني ، وهـو بمنزلـة أسـلاك الكهرباء التي تنتشر في أعماق النص وتحركه وتمنحـه عنـاصر القـوة ، والانسـجام مـع ذوق الأمة ، وينبثق هذا النــص عندمـا يلتقـي هـذا السـياق أو يتقـاطع مـع الخصـائص الفردية التي تمثل موهبة المبدع ، وقدرتـه الفنيـة ، وتبقـى الوحـدة التراثيـة القادمـة مـن السياق الأكبر جامدة معزولة حتى تلامسها هذه الموهبة الفردية ، فتعيد بناءها في سياق جديد ، وتوظفها في محيط مبتكر ، وتوجد لها العلاقات الإبداعية التي تكسـبها الطرافـة وتلبسها رداء المعاصرة ، فتمشي على قدميها في معارض العالمية والإنسانية .

يقـول باختين : " كل ظاهـرة أسلوبيـة تنبثـق مـن نص ما ، هي قضية وجود

حضور ، في أسلوب جديد ، تنشأ داخلياً كجدلية تفويضية للنص الآخر ، أو أنها معارضة أسلوبية مخفية للأسلوب الآخر " (٤٤) .

وليست المعاصرة بنبذ القديم ، والتخلي عن التراث ، وقطع الروابط بالماضي ، فإن الأدب الذي ينشأ عندئذٍ يكون أدباً ضحلاً ، بعيداً عن وجدان الأمة ، لأنه بلا جذور تربطه بخصائصها . ولا تكون المعاصرة كذلك بجلب الرموز ، والأساطير ، والمصطلحات التي نشأت وتكونت في ظل ثقافات غريبة ، لا يجد القارئ العربي صداها في نفسه ، ولا يلتقي مع الكاتب على صورة تقريبية لظلالها في النص ، أو لمفهومها في السياق .

ولن تكون المعاصرة أيضاً بالوقوف عند القديم ، والاقتصار عليه ، وإغلاق النوافذ دون التيارات العالمية والإنسانية المفيدة ، وتكرار ما قال السابقون ، والنسج على منوالهم ، واجترار ألفاظهم ومعانيهم ، والحلم بوجود رقم (٢) أو (٣) من شخصية هذا الأديب أو ذاك " ، فتكرار الشعراء القدامى ـ كما تقول بنت الشاطئ ـ لا يعطي قيمة حقيقية ، ومجداً أصيلاً " (٤٥) .

إنّ المزج بين شخصية التراث ووجدان الأمة ، وبين العناصر الذاتية والإبداعية في منطق متفاعل ، وعلاقة جدلية مثمرة ، واتصال مزدوج في خلية حيوية واحدة : كفيل بتكوين قيادات أدبية تكمل إنتاج الآباء، وتواصل مسيرتهم ، وتضيف إلى تراثهم ، وتبنى كما بنوا ، وترتاد آفاقاً جديدة تزيد من رصيد الأمة ، في خطوط موازية للتراث ، صاعدة إلى القمم ، لا تقوم على المحاكاة والتقليد ، بل على الجدة والابتكار واستقلال الشخصية .

وقد تتبعت عناصر الشخصية التراثية في نتاج مجموعة من الشعراء السعوديين المعاصرين تطبيقاً لهذه الخطوط النظرية ، آمل أن تتاح الفرصة مستقبلاً لعرضها . والله من وراء القصد .

**الهوامش :**

(١) سيكلوجية الشخصية ص ٣٠٩ د. صلاح مخيمر ، مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٨م .

(٢) انظر : سيكلوجية الجماعات والقيادة ص ٩٤ د. لويس كامل ، النهضة المصرية ١٩٧٠/٣م .

(٣) كتابه: ابن الرومي ـ حياته من شعره ص٢٧٩ ـ ٢٨١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٦٨/٧م.

(٤) انظر : كتابه : شوقي شاعر العصر الحديث ص ٩ ـ ١٠ دار المعارف سنة ١٩٥٣م ، وكتابه : البحث الأدبي ص ٨٩ .

(٥) انظر على سبيل المثال : رسالتيه القيان ، وفخر السودان على البيضان / رسائل الجاحظ / ت هارون ، الخانجي ١٩٦٤م .

(٦) أصول النقد الأدبي ص ١٣١ . الشايب ، مكتبة النهضة ١٩٧٣/٨م .

(٧) مدخل إلى نظريات الشخصية ٨٣ ـ ٨٥ ، باربرا انجلر ، ترجمة فهد دليم ، نادي الطائف الأدبي ١٤١١هـ وانظر الخطيئة والتكفير ١٣٦ ـ ١٣٨ د. عبدا لله الغذامي ، نادي جدة الأدبي١٤٠٥/١هـ .

(٨) كتابها : قيم جديدة للأدب العربي ص ٢٠ بتصرف دار المعارف بمصر ١٣٨٩هـ .

(٩) كتابه : الموقف من الحداثة ص ٦١ ، دار البلاد جدة ١٤٠٧هـ .

(١٠) بنت الشاطئ ـ كالسابق ص ١٦٢ .

(١١) انظر : كتابها : قضايا الشعر المعاصر ص ٤٩ بغداد ط٢ ١٩٦٥م .

(١٢) الموقف من الحداثة ص ٨٥ وانظر ص ١١ .

(١٣) كتابها ص ١٦٤ .

(١٤) الوساطة ص ١٥ ـ ١٦ ت / أبو الفضل إبراهيم مطبعة الحلبي بدون تاريخ .

(١٥) مقدمته ص ٥٧٤ دار إحياء التراث بيروت بدون تاريخ .

(١٦) العمدة لابن رشيق ١٩٧/١ ت / محيي الدين عبدالحميد دار الجيل / بيروت ١٩٧٢/٤ .

(١٧) الأسس النفسية للإبداع الفني ص ١٨١ د. مصطفى سويف دار المعارف ١٩٧٠/٣ .

(١٨) المتنبي بين ناقديه ص ١٦ د. محمد عبدالرحمن شعيب دار المعارف ١٩٦٩/٢ .

(١٩) الأسس النفسية للإبداع ص ١٦٨ .

(٢٠) انظر : الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٤٩ ، ١٤٣ ت / أحمد شاكر . دار المعارف ١٩٧٧/٣ ، والعصر الإسلامي ص ٨٣ شوقي ضيف ، دار المعارف بدون تاريخ .

(٢١) الخطيئة والتكفير ص ٣١٩ .

(٢٢) الموقف من الحداثة ص ٦٠ .

(٢٣) الأسس النفسية للإبداع ص (ل) .

(٢٤) المقدمة كالسابق .

(٢٥) الخطيئة والتكفير ص ١٤٣ بتصرف .

(٢٦) السابق ص ١١٧ .

(٢٧) السابق ص ٣١٩ .

(٢٨) السابق ص ٣٢١ .

(٢٩) السابق ٣٢٢ .

(٣٠) السابق ١٣٩ بتصرف .

(٣١) الموقف من الحداثة ص ١٠٣ .

(٣٢) الخطيئة والتكفير ص ٣٢٤ .

(٣٣) السابق ص ٣٢٢ بتصرف .

(٣٤) نفسه ص ١٤٣ .

(٣٥) انظر : أسرار البلاغة ٢/٦ت/ خفاجي ، مكتبة القاهرة ١٣٩٦/٢ .

(٣٦) السابق ١٤/٢ .

(٣٧) كتابه : في الأدب والنقد ٢٦ ـ ٢٩ ، دار نهضة مصر ١٩٧٨م .

(٣٨) الموقف ص ٨٩ .

(٣٩) الخطيئة والتكفير ص ١٤٢ .

(٤٠) كالسابق .

(٤١) الأسس النفسية للإبداع ص ٣٢٣ .

(٤٢) نص من رسالتي للدكتوراه " الأبيوردي حياته وشعره ١٩١/١ .

(٤٣) الموقف من الحداثة ص ٩٠ .

(٤٤) الخطيئة والتكفير ص ٣٢٢ .

(٤٥) قيم جديدة للأدب العربي ص ١٨٥ .

# واحة الشعر

***نشر في هذا الباب القصائد الشعرية الفائزة بمسابقة الملتقى الشعري الأول الذي نظمه***

## نادي أبها الأدبي

في الفترة من : ( ٢٦ـ ٢٧/١٠/١٤١٨هـ )



# غيلان الجنوبي

إبراهيم محمد شحبي

(غيلان ) صورة لرجال يعيشون الحياة بسيطة عذبة رغم قسوتها ، يعيشونها بعيداً عن صخب العصر وزيفه ..

له أن يبش وأن يحـــــزرا ... فكل الأماني بَدتْ معَـــــبرا
له أن ينام وأن يسهـــــــرا ... ويمضي إذا شاء نحو السُـــرى
له أن يعيش يعب الهنـــــا ... ويغدو إلى سعده مُزهِـــــرا
كطور السراة علا هِمّـــــةً ... ومِدّ التهائم فالاً جـــــرى
تراه يحل كطيف المحـــــبّ ... وإن هبّ نحو الفلا ـ شنفـــرى
خلياً يؤوب كطبع الهـــوى ... ويأبى التملّق والمظهـــــرا
توالت خطوب على هامـــهِ ... فظل على عهده مسفــــرا
يُشاك مدى الدرب لا ينثـــني ... ويطوي مع العمر ما كـــدّرا
يضم الحوادث في عِطْفـــــه ... ويغضي على الضيم أن يظهـرا
وما كان يوما شكا شكـــوةً ... ليطفي لظاً حلّ مستنفـــــرا
له سطوة السيف إن حدّثـــا ... وعنف الأباة إذا زمجـــــرا
يطل على الكون من بابـــــه ... ويأبى حديث الفضا ، مُنكَـــرا
تسافر في الكون أطيافـــــه ... وتغزو الفيافي سناً نيِّـــــرا
يلملم في الصبح أفراحـــــه ... وفي الليل يروي غدا أحـــورا
ويمشي إلى عمره مشرعـــــا ... بريق السلام بوجه الـــورى

ويسمع في الناس أحزانهـــم فيغدو إلى الحقل قد شمّــــرا
إذا زادت الريح من سفّهـــا يزيد على الأرض عزق الثرى
لتغدو يداه بأشعابهـــــا ضميم اخضرار أتى ممطـــرا
وتندى الغيوم لهذا النـــدى فقد مدّ للطِيب هذا القِـــرى
تفيق السنين السمان الـــتي أحاطت بأحلامه أســـورا
يبادله الطير في شـــدوه ويحكي على لحنه أعصـــرا
ويهفو النسيم إلى همســـه وتعلي له الرجعَ كلُ الـــذرا
له هيبةٌ .. بالجلال اكتســـى وبزَّ الرجال حديث القُـــرى
إذا ما دنوت إلى شخصـــه قرأت الحياة مدى أكـــبرا
له طلعة الريف في زهـــوه ومجد الجدود بدا مخـــبرا
له قامة السّدر عند الضحـــى وفي الليل ليثٌ عدا وانـــبرى
يضم الوهاد إلى رشدهـــا ويعلو بسيل المنى مفكِـــرا
يسير إلى عيشةٍ وحـــده وليس إلى غير جدٍ جـــرى
فيا سيد البيد لسنا هنـــا نزين المدائح والمنـــبرا
فعش سيدا كالذي تبتغـــي وعش ممرعا بالنقا أجـــدرا

# فيصل والبراءة

أحمد بن عبدالله التيهاني

صورةُ الشيخِ تُحدّقْ ..
في عيونِ الجالسين
وهي تزهو بانتصارات الرجولةْ
في زمانِ الإخضرارْ ..
يوم ذلَّ المعتدينْ
عندما كان القرارْ :
أوقفوا نفطَ الحياةْ ..
كان نفط أو عُدِمْ ..
* * * *
صورةُ الشيخِ تحدقْ ..
في عيون الجالسينْ .. " والسواليفُ " دعاءٌ ، وثناءٌ ، وأنينْ ..
هيبةٌ تختال في عُمْقِ الإطارْ ..
وبها " جَدٌّ " نحيلْ
ليس يدري مَنْ يكونْ ؟!
* * * *
صورةُ الشيخ تحدقْ ..
تقذفُ الإصرارَ في وجهِ المُحَالْ ..

وعيونُ الطِّفْلِ حبٌّ وسؤالْ ؟
وأتى فجرُ الكلامْ ...
ذات " سَبْرة " ..
وهو يأبى أن ينامْ ..
رغم أشْباحِ الظلام ..
والحكاياتُ هراءٌ ..
في " امسعالي واموعالي وامهوامْ " ..
ثارَ في الصدر سؤال :
ماما .. هذا من يكونْ ؟
فتجيب الأم : " فيصلْنا " فيقنعْ ..
ويظنُّ الطفلُ أن الشيخَ حكرٌ ..
ليس للناسِ نصيبْ ..
فهو فيصلْنا " الحبيبْ ..
" ذاك " فيصلْنا " .. فيقنعْ . "
* * * *

ذات مرَّة ...
جاءَ كلُّ الناسِ مِنْ أجلِ المَشُورَةْ ..
حول سَرْقات " المَعَادِلْ ..
وضيوفٍ من تهامةْ ..
وقوانين القبيلةْ ..
" خرصِها " والواجباتْ " .. وحديثُ الجِدِّ يسري في الجهات ..

عادَ للصدْرِ سؤالٌ من أحَافِيْرِ البَراءةْ ..
لثفةٌ تنسابُ في خَطْوِ اللسانْ :
بابا .. هل " فيثل " لنا ؟ أو لكلِّ الناسِ كان ؟ ..
عندها ضجَّ المكانْ ..
قهقهاتٌ .. قهقهاتْ ..
والتفاتاتٌ إلى عمقِ البَراءةْ ..
وتواشيحُ الدعاءْ ..
" رحمةُ اللهِ عليه " .. " رحمةُ الله عليه "
بَلْ لكلِّ الناسِ كانْ ..
عندها .. أيقنتُ أن " الجَدَّ" مات .."" رحمةُ اللهِ عليه "رحمةُ اللهِ عليه" .

# رسالة إلى بلد الألف ألف شهيد

## البراق بن أحمد الحازمي

الدمعُ جارٍ والمآقــــي زُوَّدُ ... ومآتمُ الثكلى بَواكٍ عُــــوَّدُ
ومشاعلُ الشهداء أطفأ نورَهـــا ... ليلٌ بهيمٌ سرمدي أرمـــــدُ
والفتنةُ الحمرا تؤجج نارهــــا ... بؤسٌ يزيدُ وصرخةٌ تـــتردُدُ
والظامئون إلى الدماء حرابُهــم ... عطشى لروح الأبرياء ترصـــدُ
ما أتعسَ السيفَ الذي ميعـــادُه ... في صدر أمجادِ الشهادة يُغْمـــدُ
هذي جراحُ الرافدين شواهـــدٌ ... وجراحُ قانا يا جزائرُ تشهـــدُ
أن الحوادثَ أمرُهنَّ مواعـــدٌ ... وجحافلُ الأحداث نحوك تُحشدُ
كلُّ الخطوب إلى الزوال سبيلُها ... إلا جراحك يا جزائرُ تُولَـــدُ
وتهون في مرِّ الزمان خطوبُـــه ... إن لَمْ يعاونْها أخٌ مُترصِّـــدُ
يشقى بإفساد الديار .. فعالُـــه ... فعلُ الجبان مزقته مكائـــــد
قفي يا جزائر واسألي التاريخ عن ... ألف ألفٍ في ترابك وُسِّــــدوا
يستنهضونك هذه راياتهــــم ... خضر ترفرف إنما أين اليـــد
مدي يديك تذكري أمجادهـــم ... عودي لرشدك إن عودك أحمـــد
رُدي إلى ابنٍ للشهيد صوابـــه ... دمع يُكفكف ثم باب يُوصـــد
يا غرة التحرير .. يا راياتـــه ... الصبح آتٍ أنت أنتِ الموعـــد
عذرا جزائر إن قاف رويــــتي ... جرح يئنُ ودمعة تتهدهـــــد
والشعر نبض في القلوب مـداده ... يجري به طرف اللسان وينشـد
فإلى متى أنا يا جزائر هاتـــف ... أبكي إليك وأشتكي وأناشـــد
إني أرى جرح البرية كلهـــا ... يبرى وجرحُ بلادكم يتجـــددُ

# نبض هارب من هشيم القصيدة

عبدالله عبدالعزيز الصالح

تجيئين من شرفات الغياب
صهيلاً بلا ذاكرة !
فأحمل وجهي قافلة من ضياع ؛
وأحثو التراب على هيئتي
المستحمة بالرعب /
والمقت
والرغبة المطفأة !!
أتشتعل الكلمات براري من ظمأ في دمي ،
فتسرقني من طيور الأسى ،
ومن حمحمات البكاء ،
وتدخلني في ضجيج الحقول ؟!

* * *

ومن شرفات المجيء
وفوق صليل الحصى
يذر الندى ما تبقى على النبع من مائجات الرماد
ومن عطشٍ في الذهول !
فأيقظ سجاياك / أيقظ مراياك

أيقظ مراياك
يا شاخصاً في خيوط الرماد
وأشعل بها من فجاءة لونك
ما لا يقال !!
على أي لونٍ ستفضي إلى هدأة في هزيع المواسم ؟
هل الروح برزخها في الجهات ؟
أم النبض تمثل فيه الغواية منذ التشظي
وحتى انهيار الكلام ؟

**صوت (١)**

( وفي وجعي رغبة في البكاء
يفاصلها الرفض أن تستريح
تماطلها هدأة في المســـــاء
وتجثو على قلق لا يبـــــوح
وتنمو بها غابة للرجـــــاء
على غفلة من مداد الجروح )

**صوت (٢)**

( لا وقت للشعر !
لا وقت للنثر !
لا وقت حتى لهذا الهراء المسمى قصيدة !

لا وقت
فليعل الضجيج
وليصدح الشعراء في وادٍ سحيق ،
سيمر صبح من بياض الموت يدنو
لسواد العيش يرفو
جبة الشعر العتيقة
وتضيع في الأسماء أسماء الخرافة والحقيقة !
وتمور في الأفعال أفعال البداية والنهاية !
وأنت تدخل في انزلاق الشعر ،
من سم الخياط
تمــــر
تبحث
عن بقايا الليل في جوف النهار !! )
فأورق بما شئت من تعب أو دم محترق
واستبح من مساحة صوتك فاكهة للأغاني !
فماذا بوسع القصيدة أن تحتوي من فجيعة ؟
وماذا بوسع الفصاحة أن تمنح البوصلة ؟
رشدها ؟
غيها ؟
أم فجاءة هذا التأرجح بين الغناء وبين النشيد ؟

## صوت (٢)

( دمنا سيــــد تحتويه النعـــوت
نابض بالـرؤى ناطق في السكوت
وجهه مثقـــل بنشيج صمـوت )

* * *

لفاتحة في المتاه المجوف ، منذ انطفاء المواسم ،
حتى اخضرار النشيد ،
تمد لنا صوتك المرتعش ،
خارجاً من رذاذ القصيدة وهي تسافر في رحم الصوت
والأغنيات البعيدة ،
فكيف ترجلت القسمات الصغيرة ، موغلة في مدار
التشكل ،
تطوي ظلال المسيرات
عبر النوافذ ،
عبر الصحائف ،
عبر القنوط ؟
وكيف امتطت صهوة الخوف
في غفلة من وجيف التربصّ ..
وفي شهقة من ذميل السكون ؟
أمن عسلٍ في حلوق السواسن ينهض بوح وخوف ؟
يقايضها سدة في الهباء

فتطلق تلويحة في العراءُ ! .

*   *   *

قبيل التأقلم والحنظل المر
تسرج شكل المباهج في الصحو والدفء
أعضاؤك المتعبة !
كي تدجن فينا ابتسامتك الشاحبة ،
كي تحنط فينا السؤال العقيم !!
لم يعد بيننا واخضرار النشيد سوى
مفردات الهباءْ !
لم يعد بيننا وانتحار الصهيل سوى
هفوة من رجاءْ !
لم يعد بيننا وغبار البياض سوى
قطرات الدماء !
يغالبها الوجد في صحوة الأمنيات القصية
لو أسرجت صهوة للتذكّر
في حمأة الوقت قبل التخثر ؛
حيث الفصول الجديدة مُشْرِعَة للتسكع
ثقب انكسار ؛
( يعاند فوضى القصيدة )
كأن مروادة الشك تعبر بعد قليل على الجسر
تدخل حد اليقين !

كأن التكور حتى التدحرج ، خلف سياج
من الوعد ، بعضُ غناء :
أيا مطر الوجد والمستحيل
نعانق فيك اشتهاء الرحيل
نعانق فيك تباريح وجـــد
فترحل حزناً ويبقى العويل
وننزع من شفتيك السؤال
لنغرسه في دم المستحيـــل

# عذراً جلال

**عبدالله محمد الزمزمي**

شيعتُ فيك قبيلتي وشبابي ... وعزفت من وحي الجراح ربابي
غُيِّبت يا زين الشباب . ولم تغب ... أيغيب من سكناه في الأهداب
مرّت بي الأحداث تثقل كاهلي ... لكنّ بُعدَك تاه منه صوابي
أنا ذلك التمثال بعدك ـ سيّدي ... لكنْ تحركني صنوف عذابِ
لّما رأيتك في التراب موسّداً ... قبّلت بعدك وجه كل تراب
عذراً. فمثلك يا "جلال" مقدرٌ ... ضعفي أمام مصائب الأحباب
عذراً. فقاموسي جراح . أدمعٌ ... حزنٌ . وأسئلة بغير جواب
لم أنس تاريخي . ولم أنكر به ... وجهي الحزين . ولا استعرت ثيابي
مرّت بنا الأيام . كنت معلماً ... فيها . وكنت الشهم من طلاّبي
أحلى الحديث يدور فيما بيننا ... يطوي الطريق بجيئةٍ وذهاب
واليوم يلقاني خيالك صامتاً ... في كل منعطفٍ . وكل كتاب
ألقاك في نومي . وفي صحوي . وفي ... نأي المقيم . وعودة الأغراب
يا من عزمت على الرحيل مبكراً ... الحزن من بعد الرحيل مضى بي
ما هان جرحك يا حبيب . وإنني ... أحياه في قلبي . وفي أعصابي
لم تبق في عينيّ بعدك دمعة ... أبداً . ولم تدرك خطاك ركابي
قدري مع الأحباب أن يتفرقوا ... ومع التصبر أن يزيد عذابي
أرثيك ؟ من يرثيك ؟ يا من طبعه ... نبلٌ . وطبع الآخرين مرابي
يا ناظراً صوب الذين تسابقوا ... للمغريات بنظرة المتغابي

يا ساخراً منا . ومن قاماتنـــــــــا حول الضريح . فدارنا لخــــراب
عيناك نافذتان تفتح للعـــــــــلا أفقاً يزيد بطرفك الجـــــــوّاب
أبكيك. لا خوفاً عليك من الـــردى كل الأنام مصيرهـــــم لمــآب
لكنْ لعلمي أنّ مثلك قلــــــــــة ولأنّ فقدك لم يكن بحسابـــــي
ودعتَ . والآمال بعدك ودعـــــتْ وتشردت في مهمهٍ ويبـــــاب
أمشي على قلبي فيأخذني إلــــى قبرٍ إليه صدى الحبيب وشى بـــي
يا ربّ. إن كشفت جراحي داخلـي وتركت للأحزان حبل عتابــــي
فاغفر لزلاتي فعفوك واســـــعٌ واقبل بلطفك يا كريمُ . متابــــي

# أبهـــــا

## علي مفرح الثوابي

أغنيك يا أبها وقد عز جانـــــــبي ... وأهديك لحناً من بديع قصائـــــدي
وأسبح في مغناك يحدو خرائـــــدي ... وفاءٌ أبيٌّ من طريفٍ وتالـــــــد
ولي في ذراك الشمِ وقفةُ شاعــــرٍ ... يصوغ القوافي من كنوز المحامـــد
أهيم غراماً في رباكِ مؤبـــــــداً ... وعشقكِ في عينيَّ سامي المقاصـــد
وأحمل قلباً في هواكِ متيمـــــــاً ... عميقَ الجوى ما بين آتٍ وبائـــد
وأكتبُ شعراً فاح بالنشرِ والشـــذى ... وطاف الربى يُهدي جُمانَ القلائـــد
فأنتِ التي تُهدين لي الحبَ والهـــوى ... شموخاً تسامى رغم باغٍ وحاســـد
وللعشق في أبها وشومٌ شواخــــصٌ ... تدوم على الأيام رغم الشدائــــد
فلله ما هذا الجمالُ فما نــــــرى ... سوى الزهرِ حيّا صادراً بعـــد وارد
وتحفل بالأعراس يزدان جيدُهـــــا ... وتُكسى من الأزهار أبهى الفرائـــد
ترى المزنَ هطالاً على كل ربــــوةٍ ... ويهمي زلالاً بين برقٍ وراعــــد
إذا لامستْ جنحَ السحاب تبخـترت ... وتاهتْ دلالاً كارتعاشةِ ناهــــد
هي المجدُ يعلو في المشارف والـــذرى ... هي الحسن يزهو في رعاية (خالـد )
وفيك الأباةُ الصيدُ حلت وكم نـرى ... من المكرماتِ الغرِ في كل راشـــد
سراةٌ إذا ما اشتد خطب توافـــــدوا ... وكانوا أسوداً من كرامٍ أماجـــد
وما يحمل التأريخ إلا محامــــــداً ... من القوم في ( أبها ) لجدٍ ووالـــد
وهبتُكِ يا ( أبها ) عظيمَ مشاعـــري ... وقلبي ولوةٌ في زحام المشاهـــد
ولحني طروبٌ حيثُما سار خاطــــري ... فأنتِ الهوى حبّرتُ فيكِ قصائـــدي

# عِلْمٌ وَنَهْضَةٌ

فائز أحمد الشهري

جُودِيْ بأعذب ما أنشدت من طــــربِ
وسطّري لوحة الإبداع من ذهـــــــبِ
وحلّقي بخيال الشّعر طامحـــــــــةً
أن تبلغي السُّحب بل أرقى من السُّحبِ
ثمَّ انثريه على هام الـــــــورى دُرراً
من أجمل اللّفظ أو من أبلـــــغ الأدبِ
يُغرِّد البلبل الصَّدَّاحُ منطقـــــــــهُ
ويرقص الزَّهر من أنعامه العُـــــذبِ
ليحمل الخبرَ الوضّاء عن وطـــــــن
جاز البرية من عُجم ومن عـــــــربِ
صدقاً وعدلاً وإيماناً ومكرمـــــــــةً
عزّاً ونبلاً وأمناً غير مُنقلـــــــــبِ
لله درك من أرض قد انتسبـــــــت
للمجد وارتفعت في أعظم النّســـــبِ

* * *

أرضُ الجزيرة يا مهدَ الرِّسالـــــــة يا
أصل العروبة يا ميلادَ خيرِ نـــــــبي

عليك منّي سلام الله ما سطعــــــت
شمسُ الضُّحى وأضاءت سائرَ الحـــدَبِ
عليك منّي سلام الله ما انهمـــــرت
بالغيثِ مُزنٌ وما تسقيه من عشـــــب
منك اعتلى النُّور فوق الأرض قاطبـــةً
وفيك أُنزل خيرُ الآي والكُتُــــــبِ
وفيك قبلةُ من صلُّوا لخالقهـــــــم
وفيك طيبةُ مأوى الآلِ والصَّحـــــبِ
فالدين والعلم والإيمان قد نشــــأت
من جوك الطاهر المعمور بالقُـــــربِ

* * *

واليوم ها أنت يا أرضَ الجزيرة فــــي
أيدي رجالٍ عراب الجدِّ والنَّســـــبِ
في حكم من أخلصوا لله منهجهـــــم
أبناء عبدالعزيز السَّادة النُّجـــــبِ
قادوا وجادوا فسادوا العالمين ولـــم
يصدُّهم عن بلوغ المجد من سبـــــب
وأسَّسوا نهضة التعليم سامقـــــــةً
حتَّى غدا شأنُها ضرباً من العجـــــبِ
وأنشأُوا لصروح العلم أبنيـــــــةً
شمَّاء محكمة الأركان والعتــــــبِ

قامت بعزم رجالٍ أدركوا سلفـــــاً
أنَّ المعالي لا تُرقى بلا تعـــــبِ
كفارس النَّخل يشقى في رعايتــــه
ويهتني بعدها بالتَّمر والرُّطُـــبِ
وكنت يا خادم البيتين رائدهـــا
ورمز عزتها في أحلك الحقـــبِ
وسوف تبقى مع الأيام مفخـــرةً
لكُل جيلٍ أبيّ طامـــحٍ أربِ
وكان من بعدكم قومٌ جهابـــذةٌ
وللأمانة كانوا أفضل العقـــبِ
قادوا الوزارة إخلاصاً وتضحيـــةً
بالعقل والعلم لا بالصيت واللّقـــبِ
قد أيقنوا في ثباتٍ أنَّ أُمَّتهـــم
لن تستقيم بغير العلـــم والأدبِ
وخلفُ كلِّ معالي أُمَّة عظمـــت
أسرار تربيةٍ موثوقة النصـــبِ
فأجزلوا البذل من مالٍ ومن عـــرقٍ
وقرَّبوا كلَّ شيءٍ غير مقـــتربِ
شادوا المدارس في كلِّ البقاع لكـــي
تستقبل النَّشء في ميدانها الرَّحـــبِ

تضمُّ أحضانها من كلِّ معرفـــــــةٍ
وتزدهي بجمالِ الدُّرسِ والكُتُـــــــبِ
لينهل العقل من شتّى معارفهـــــــا
وتنعم الرُّوح بالتّهذيـــــــب والأدبِ
وقامت الجامعات السَّبع شامخـــــــةً
لكلِّ طالب علمٍ صادق الطَّلـــــــبِ
تخرِّج المبدع الزَّاهي بمهنتـــــــه
في كلِّ علمٍ وفنّ محكم الطُّنـــــــبِ
يعتزُّ في خدمة الإسلام محتسبـــــــاً
وفي حمى الوطن المعطاء لم يغـــــــبِ
معلّمٌ فاضلٌ أو ضابطٌ جلـــــــدٌ
مهندسٌ وطبيبٌ محمد النُّقـــــــبِ
وغيرهم في مجالاتٍ مجلّلـــــــةٍ
تبدو مآثرهم في كلِّ منتـــــــدبِ
هل بعد ذلك من عزٍ ومن شـــــــرفٍ
إنّي سألتك يا تاريخُ فلتجـــــــبِ

* * *

هذا هـــو النّزر ممّا نالهُ وطـــــــنٌ
في ثورة العلم يرقى أسمقَ الرُّتـــــــبِ
أعزَّه ا لله بالإسلام فانبجســـــــت
منه الحضارة فوقَ السَّهل والهضـــــــبِ

فداؤه نحن إن يرجو لمأمنـــــــــــــــه
عذبٌ من القول أو نارٌ من اللّهـــــــــبِ
يا موطني يا بلادي أين منك أنـــــــــا
فقد رجوت قريضاً غير منكتـــــــــبِ
عذراً فوصفك ينأى أن يطاولــــــــــه
نظمٌ من الشّعر أو نثرٌ من الخُطـــــــبِ
تكبَّري وارتقي فوق النُّجوم عُـــــــلاً
بنهضةٍ نورها أمضى من الشُّهـــــــبِ
قد آن للمجد أن يجثو برايتـــــــــه
وآن للنُّور أن يبقى بلا حجـــــــــبِ

# أوراق شاعرين

## مطلق شايع عسيري

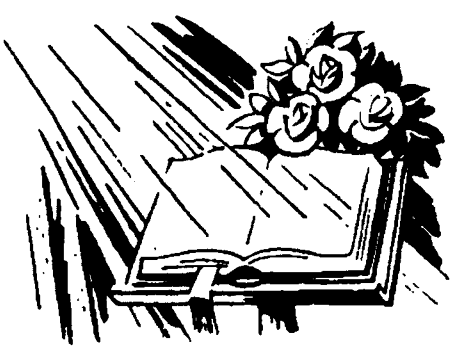
قال لي قد نكأت فينا الجراحـــا ... خفّف الوطء هات قولاً مباحـــا
هات شعراً يهدي القلوب جمـــالاً ... وصفاء يبثّ فيها انشراحـــا
أيّها الشاعر المعنّى بهَـــمّ ... آن للقلب أن يذيب الجراحـــا
آن للفارس الغضوب زمـــان ... فيه يلقى عن كاهليه السلاحـــا
أنت ، من أنت ؟ أنت قلب جريـح ... تاه في عالم يحبّ المزاحـــا
يعشق اللهو يشتريه بأغلـــى ... ثمن يرتضيه كأساً وراحـــا
يعبد الدرهم الرخيص ويشـــري ... بملايينه الخنا والسفاحـــا
يرهف السمع للغثاء ويصغـــي ... لشياطين يحسنون النباحـــا
يحسن العوم في بحور الملاهـــي ... كلّ يوم يمتاح منها امتياحـــا
أنت لو قلت كلّ يوم قصيـــداً ... هل ستحيي يا صاح فينا صلاحـــا
هل ستحيي من الجماد قلوبـــاً ... تنصر الدين تستلذّ الكفاحـــا
فترجل عن صهوة الحزن حتـــى ... تُسْعد القلب غـدوة ورواحـــا
وترفـق بخافـق صـار مـأوى ... للأسى يرتدي الهموم وشاحـــا
واكتب الشعر للجمال فإنّـــا ... قد وهبناك من لدنّا السماحـــا
وأحي في القلب ذكر ليلى وسلمـى ... ورباباً وزينباً وصباحـــا
وصف الجيد من غزال تثنّـــى ... واللّمى واذكر العيون الملاحـــا
وأرحنا من المآسي فإنّـــا ... قد مللنا بكاءنا والنواحـــا

وشكتنـــا منابـــر القـــول لـمّـــــا قد أطلنا بين الجموع الصياحـــــــا

* * *

قلت يا من أثار في القلب شجـــواً لست أرضى فنّا غدا مستباحـــــا
لست ممن يهيـــم فـــي كــــلّ وادٍ ثم يطوي على المآسي الجناحـــــا
أو يناجي بساقط القول هنـــــداً وبألفاظه يبيح القداحـــــــــا
أو يعادي بفكـــره كـــلّ خـــير فعلى الغرب قـــد أراد انفتاحـــا
أو يحيل الكـــلام غمـــزاً ولمـــزاً في نفوس ترجو الهدى والفلاحـــا
أو يداجي بقولـــــه النـــاس لّمـــا جعل الشِّعْر مَغْنماً وامتداحـــــا
أنا نفس تجيش والكون حولـــــي لم أجد فيه من عنائي ارتياحـــــا
أنا قلب يهيم والجرح منـــــــه نازف كلّما رأى الظلم لاحـــــا
إنّ قلبي مأوى لأوجاع قومــــــي صار للظامئين نهراً براحــــــــا
حين يبكي في المسلمين يتيــــــم يملأ القلب أسهماً وجراحــــــا
حين تُسبى من أرض قومي مهـــاة يصنع الخطب من قريضي رماحـــا
وإذا ما رأيت بؤس عجــــــوز فقريضي يحيل ليلي صباحـــــــا
وإذا ما أطـــلّ للشـــــر رأس فاض قلبي بما لديه وباحـــــــا
وإذا ما الخطوب عاثت وجـــارت لا تراني ممن لها واستراحـــــــا
بل أنا كالعليل بين أنـــــــاس قدر الله أن يكونوا صحاحـــــا
في زمان شلّت به كف قومــــــي فغدا البكم في الأعادي فصاحـــا
وغدونا نرجو الذليل ونسعـــــى نحو قوم لا يعرفون الصلاحـــــا
علّ في الشعر ما سيحيي قلوبـــــاً سكن الذلّ تلّها والبطاحــــــا
ذاك شعري جعلته رهن ديـــــني هو نبضي ، إذا أتاني أراحـــــا

# دراسات نقدية



# ملتقى الشعر : معان ومواهب

د . صالح غرم الله زيَّاد

﴿ ملتقى الشعر ﴾ هو العنوان الذي شاء نادي أبها الأدبي أن يوطّر به هذه الفعالية من مناشطه المنبرية ، وأن يسمها بوسمه ، ويعرُفها بما يقتضيه مسماه من طابع احتفالي وتنافسي ، وبذلك يعكس وعياً محدَّداً بالشاعرية ، ورؤية ذات دلالة مباشرة على منطق النزوع الجماعي في تفعيل هذا اللون من الإبداع وفي الانفعال به على هذا النحو الذي لاتقف صفحات الدواوين وحروف الكتابة وصمت القراءة المتلقية حائلاً بين صوت الشاعر وسمع المتلقين ، أو قل بين وجود الشاعر ووجود جمهوره اللذين يتبادلان حس الانفعال والتفاعل ، ويتجادلان في عمق عملية التلقي هذه صيغة الرؤية الشعرية بجانبيها : الفردي متمثلاً في الشاعر ونسيجه اللغوي من جهة ، والجمعي متمثلاً في الجمهور المتلقي وسائده اللغوي من جهة ثانية .

وإذا كانت صيغة الإلقاء والاستماع ، والصوت والصمت المباشرين ، والفرد شاعراً والجماعة متلقيةً ، هي صيغة عريقة في تاريخ تراثنا الشعري ؛ فإن الملتقيات الشعرية في عصرنا تحيلنا إلى ظواهر تاريخية واجتماعية قديمة كالأسواق منذ عكاظ وحتى المربد والكناسة ، وكبلاط الملوك والخلفاء والوزراء والقادة ، ولقاءات القبيلة أو القبائل ... وما إلى ذلك من ظواهر أسهم الشعر في التسبيب لها ، وأسهمت هي في الشعر على مستوى التنافس والإعلان عن الشعر والشاعر وذيوع صيت الأسماء الشعرية ، وعلى

مستوى التشكيل اللفظي والأسلوبي والموضوعي والمرجعي لبنية القصائد وموسيقيتها وأغراضها وخصائص ذاتيتها ...

لكننا أمام صيغة التلقي الجماعي والمباشر هذه مهددون ـ نظريًا ـ بما يشبه المحو لفردية التركيب الشعري ، والقضاء على مصداقيته الفنية . إذ يلوح هنا حرص الشاعر على تقديم ما يرضي جمهوره أو متلقيه الماثل أمامه ، واستدرار عجبه ، والترامي إلى ما يطابق هواه ويساير رؤيته ، وليس إلى ما يجسد استقلاليته كمبدع ويشف عن فرديته ويرضي رؤيته الفنية ويصدِّقها . وبذلك نفقد في الشعر طاقاته كفن يتجاوز ولايقف ، ويتحرك ولايسكن ، ويبدع ولايقلد ، ويضيف ولايكرر ، ويرود ويبده ويفعل ويمتاز على مستويات الرؤية والموقف والتشكيل أكثر من أن يقرر ويساير وينفعل ويزيف تبعاً لما يراد له ، وما يطلبه مستمعوه .

ومن هنا تبدو في عصرنا الحديث بجلاء صلة الشاعر – وظيفيًا – بـ ( المثقف ) و (المفكر ) من منظور الاجتهاد والريادة والالتزام والمغامرة والفعل والحرص على التميُّز والإثراء والإضافة والكشف واستشعار الواقع وحدس المستقبل والوعي بالتاريخ . وهي صلة تكاد أن تناقض المتعة المحضة في الوظيفة الشعرية التي تحملنا على اكتناه الترادف بين الشاعر و ( المغنّي ) على نحو ما تبرز صورة المغني في تراثنا من وجهة سالبة وغير ذات قيمة جدية فاعلة ثقافياً وواقعيًا ...

على أن ما ينبغي أن نتنبه إليه بإزاء ذلكم الغرض النظري الذي يخايل في المواجهة الاحتفالية بين الشاعر وجمهوره انتهاكاً لوظيفية الكتابة والقراءة الشعرية إبداعيًا ، هو ما جسده الشعراء الكبار في مختلف العصور من قدرة على تأكيد فرديتهم ، والترامي بأحلامهم الشعرية في أقل الأحوال إلى صياغة نماذج عليا ،

وتأسيس أنماط على قدر من التميُّز في التعبير والرؤية . فضلاً عن شيء من جسارة الكشف والنقد والمخالفة البنّاءة المحمولة على الصدق والحس الإنساني والواقعي ذي الشفافية والعمق .

المسألة – إذن – تكمن في التميُّز والاقتدار شعريًّا على التجاوز والإبداع . ومن ثَمَّ تبدو في هذا المتلقي وغيره من ملتقيات الشعر وجوه فاعلة إيجابيًّا في حركة الشعر ومناخ التعاطي له ، ومن أبرز هذه الوجوه :

١ - تجسيد مناخ متميز لتلقي القصيدة من فم مبدعها ، فللصوت في نبراته ونغماته وهمسه وجهره وامتداده وقصره واشتداده وارتخائه وسرعته وبطئه ... قيمة شعرية ودلالية ، تضاف إلى عناصر التركيب الشعري الأخرى ، مثلما أن للشكل الكتابي الذي ترتسم به القصيدة أمام عيني قارئها دوراً في تجسيد دلالتها ومعانقة إيقاعها والتدرج في جمع وحدات بنائها . وبعيداً عن جودة الإلقاء أو رداءته ، فإن للعلاقة الشعورية الحميمة والحية بين الشاعر وقصيدته ما يجعل من إلقائه لها وسماعها بصوته طعماً آخر أكثر حيوية وأعمق دلالة وانفعالاً .

٢ - استعادة وتأكيد الوعي بالشعر وفاعليته روحيًّا وثقافياً في عصر تهيمن عليه نمطية الحياة ، وتطبعه آليتها ، لتجف في الإنسان ينابيع الحس المرهف ، وتنطفيء شموس الحلم ، وتنغلق آفاق الخيال ، فيفتقد الإنسان شفافيته للدهشة وحيويته للتعاطي مع أمداء الشعور وفضاءات الأمل والحياة . وهو عصر إن لم يشح فيه الشعر ، فقد شح عليه أبناء العصر ، أو قل أشاحوا عنه بوجوههم لأسباب تعود إلى الشعر ذاته الذي لم يعد فيه شعراً ، أو لأسباب تعود إلى طبيعة العصر والناس .

٣ - ما يتيحه هذا الملتقى وأمثاله ، أو ما ينبغي أن تتيحه ملتقيات الشعر ومهرجاناته ، إجمالاً ، من فرصة للتلاقي بين الشعراء بمختلف اتجاهاتهم الفنية ، ومستوياتهم الإبداعية . وفي هذا التلاقي تُكْتَسَبُ الخبرة بالمنطق التقني ، وتتصل أسباب الإخصاب والإثراء الشعري ، وتتشكل صيغ عديدة للتفاعل بين مختلف التجارب الإبداعية والاتجاهات الشعرية .

٤ - وفي إطار التلاقي الذي تتيحه هذه الملتقيات بين ذوي الهم الشعري ، يبدو وجه إيجابي في المواجهة بين الشعر والنقد . وهنا تثار القضايا الفنية والمنهجية المتصلة بالشعر ، وتُعَدُّ وجهات النظر النقدي ، وتُرْصَد الظواهر والأساليب ... وما إلى ذلك مِمَّا يهتم به النقاد على نحو تعمقه فرصة الحوار والتفاعل بينهم وبين الشعراء من جهة ، وبين مختلف مناهج وتصورات النقاد أنفسهم من جهة أخرى . وبذلك تتجاوز الاحتفالية بهرج الاستماع والتصفيق للشعر إلى ما يتسع بالرؤية الشعرية والنقدية ، ويرفد تناميها ، ويعمق الوعي بها ، ويجدده .

٥ - ومن خلال ملتقى الشعر بهذه الكيفية تسنح فرصة التعرف على مواهب جديدة ، مثلما يتم الكشف عن جوانب من الطاقات الفنية البكر والمتجددة عند الشعراء الكبار ، وهنا يغدو الملتقى وسيلة إعلام وذيوع مكللة بالفرح على تلك الصورة العربيَّة القديمة التي تسم بالفرح ولادة شاعر جديد بقدر يوازي الاحتفال بفرسٍ تُنْتِج . وذلك – إن تحقق – كسب تحصده الحركة الشعرية والثقافية .

هذه الوجوه الخمسة هي أقل ما يُمكن أن يصنعه الملتقى الشعري للإسهام في تفعيل واقعنا الشعري . ورغم ما للتخطيط والتنظيم وحسن الاختيار من دور في نجاح المناشط والفعاليات الثقافية ، فإن النتائج الدلالية التي تسفر عنها تبقى محمولاً مركَّباً في

مؤشراتها وفق الكيفية التي تنبني بها وتتفاعل . أي أنه لايُمكن أن تُتَرْجَم فكرة جاهزة مسبقاً من خلال صيغة للعمل يراد بها أن تُعَبِّر عن تلك الفكرة فقط وأن تدل عليها ، فصيغة العمل وكيفية تحققه ومقدار تفاعل أجزائه وانفعالها هي التي تعيد تشكيل تلك الفكرة وإنتاج دلالتها على قدر قد يغير من جوهر الفكرة الجاهزة . تماماً كما هو حال القصيدة الجيدة التي تلد دلالالتها وتشع بإيحاءاتها وتجلي عن أعماقها المستترة من خلال حدث البناء اللغوي لها اختياراً وتركيباً ، فيما تستحيل إلى نظم تقريري إذا ما اقتصر ناظمها على الترجمة عن فكرتها الجاهزة في ذهنه والتي لايتعين اختصاصها بالشكل الموزون والمقفى دون غيره من أشكال التعبير اللغوي .

أيها الإخوة ...

إن التسمية للأشياء وعيٌ بها ، ورسمٌ لصورتها الذهنية ، وتكييفٌ لطبيعة الرؤية لها والفهم لمدلولها ... وهذا الاستطراد الذي قدمته هو محاولة لاستحضار الوعي بهذا ﴿الملتقى الشعري﴾ ، ومحاولة لرسم دلالته ، كما أراد المنظمون له أن يُسمَّى .

وبين أيدينا ، الآن ، ثماني قصائد لثمانية شعراء . وسأحاول فيما يلي أن أتلمس محاورها الدلالية وبعض سماتها الأسلوبية ، راجياً أن ينمو وعيهم بالشعر ، وتتطور قدراتهم الإبداعية ، لنراهم في مصاف الشعراء الكبار الذين تتنامى بهم حركة واقعنا شعريًّا وثقافيًّا .

**١ ـ ( غيلان الجنوبي ) لإبراهيم محمد شحبي :**

تقوم هذه القصيدة على تجلية نموذج بشري من خلال صور متوالية تشف عن الفطرية والبساطة ، والحرية ، والكفاح ، والمعاناة ، والإنسانية ، والشجاعة ، والكرم ، والهيبة ، والصدق ، والصراحة ، والذكر الحسن ، والارتباط بالأرض ، والتعاطف مع عناصر الحياة ... وهي صور تنطوي على مقابل ضمني لنموذج آخر ينفيه الشاعر من حيث يريد التأكيد على نموذجه والتعاطف معه ، والترامي بواقعيته إلى المثالية . وفيما تجتمع إشارات النموذج الذي تبنيه القصيدة على تحديد ريفيته في ذلك المزاج الرومانسي الذي ورثه الوجدانيون في شعرنا العربي عن الغربيين حين هاموا في شعرهم بالطبيعة والتجأوا إليها وفضلوا الريف على المدينة ، ورأوا في المدينة كل زيف وتملق . فإن شاعرنا يجسد من خلال فاعلية هذا النموذج مع ظروفه القاسية حسًّا عملياً إيجابياً مفارقاً لذلك الطابع المرضي الرومانسي المستسلم للهروب والشكوى واليأس والحزن الكظيم .

ورغم أن الشاعر هنا يبني عدداً من صوره بطريقة تشف عن الصفة ولاتقررها ، وتشهد عليها حسيًّا وشعوريًّا ولاتجردها ؛ فإنها لاتذهب بعيداً وراء ما يريد أن يقرره من صفات نموذجه ، ولاتمعن في الإيحاء والإشعاع ، ومن أمثلة ذلك : ﴿له أن ينام وأن يسهرا .. ويمضي إذا شاء نحو السرى ﴾ ﴿ يشاك مدى الدرب لاينثني ﴾ ﴿ يضم الحوادث في عطفه ﴾ ﴿ له سطوة السيف إن حدثا ﴾ ﴿ يطل على الكون من بابه ﴾ ﴿ يلملم في الصبح أفراحه ﴾ و ﴿ يسمع في الناس أحزانهم ﴾ ... وهكذا فيما عدا قوله : ﴿ له طلعة الريف ﴾ وقوله : ﴿ له قامة السدر عند الضحى ﴾ وهما صورتان تُشِعَّان حقًّا بالدلالة ، وتحيلان المتلقي مِمَّا تبلغانه به إلى ما تبدعانه في

تركيبهما من قيمة أسلوبية شعرية مائزة . وتنسلخ التراكيب بعد هاتين السمتين عن الانزياحات الشعرية العميقة التي يقتحم بها الشاعر تخوماً دلالية أوسع مدى ، لتأتي الصفات فيها مجردة ومقررة كقوله : ﴿ ويأبى التملق والمظهرا ﴾ ﴿ توالت خطوب على هامه .. فظل على عهده مسفراً ﴾ ﴿ ويطوى مع العمر ما كدَّرا ﴾ ﴿ ويغضي على الضيم أن يظهرا ﴾ وله ﴿ عنف الأباة إذا زمجرا ﴾ ﴿ فيغدو إلى الحقل قد شمرا ﴾ ﴿ له هيبة ﴾ و ﴿ مجد الجدود بدا مخبرا ﴾ ﴿ يسير إلى عيشه وحده ... وليس إلى غير جدٍ جرى ﴾ .

وتلوح محاولة الشاعر فتح فضاء قصيدته لإشارة تاريخية وإشارتين نصوصيتين ، ففي البيت الخامس تبدو الإشارة إلى شخصية الشاعر الصعلوك الجاهلي ﴿ الشنفري الأزدي ﴾ الذي يحمل وعينا عنه دلالة الشجاعة والسطو والفتك والتشرد والتعالق مع السباع ؛ ليستثمرها الشاعر هنا في مقابل لدلالة السلام والرقة والتعاطف التي يمحض الشطر الأول من ذات البيت لها . وفي البيت العشرين يضمِّن الشاعر إشارة إلى القصة القرآنية في سورة يوسف عن حلم الملك بـ ﴿ بسبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ﴾ وذلك في قوله : ﴿ تفيق السنين السمان ﴾ . كما يضمِّن في البيت التاسع والعشرين في قوله : ﴿ يا سيد البيد ﴾ إشارة إلى نص للشاعر محمد الثبيتي . لكن هذه الإشارات لم تُهَيَّأ في سياق يذهب بعيداً في استثمار دلالتها ويفضي بالقصيدة إلى طبقات من العمق تستحضر طبقات نصوصية أخرى .

ولعل مشكلة الشاعر إبراهيم شحبي الرئيسة في قصيدته هذه هي ما يبدو من اعتساف واضح لكلمات القوافي وإعرابها ، ولنتذكر أن أمثلة التراكيب التقريرية والنثرية جاءت في أغلبها من الشطر الثاني في أبياته ، أي حين كان يتهيأ لاصطياد قافية نافرة عن منطق البيت .

## ٢- ( فيصل والبراءة ) لأحمد بن عبدالله التيهاني :

تستحضر هذه القصيدة إشارة تاريخية إلى أحد قادة بلادنا الموفقين بعون ا لله ، وهو الملك فيصل ( يرحمه ا لله ) . ومن خلال صيغة سردية وحوارية تتألف القصيدة في لقطات متتابعة وقصيرة تنتظمها تفعيلة الرمل ( فاعلاتن ) ، وتنقسم إلى وحدات بنائية أربع . وبالإضافة إلى الشخصيات المتمثلة في : (الطفل) و ( الأم ) و ( القبيلة / الناس ) و ( الأب ) و ( الصورة الفوتوغرافية المؤطَّرة للملك ) يأتي صوت الراوي / الشاعر واصفاً ومذكّراً .

و ( الصورة ) و ( الطفل ) هما قطب الحدث الذي تُنَظِّم القصيدة حكيه وتصوِّره ، ومن ثَمَّ تأتي العبارة الافتتاحية : ﴿ صورة الشيخ تحدق ﴾ كمتكأ يتكرر في الوحدات الثلاث الأولى ، كما يأتي الطفل في صمته وتساؤله محوراً يتكرر في الوحدات الثلاث الأخيرة .

والصورة ، هنا ، ليست خالية من الدلالة في عيني الطفل ، وإن كانت الدلالة المحمولة على عيون الجالسين أكبر من مستوى إدراكه ، فهي ﴿ تزهو بانتصارات الرجولة ﴾ و ﴿ السواليف دعاء ، وثناء ، وأنين .. ﴾ ومن ثم تغدو علاقة الطفل بالصورة : ﴿ حبٌّ وسُؤال ﴾ . والحب معنى الانفعال الأول الذي يدلف به الطفل إلى عالم المعرفة وتشكيل العلائق الاجتماعية والكونية . كما أن السؤال هو إشارة بحث عن المعرفة ، وتبدو فضوليته لدى الأطفال اكتناهاً للعالم المحيط بهم في حسيته ومعنويته التي لاتستقيم دلالياً لدى الطفل إلاّ من خلال أناه وذاتيته .

وتبني القصيدة سؤال الطفل عن صاحب الصورة في سياقٍ من أرق الطفل وفجائع البرد والأشباح وحكايات الخوف . لتنتهي صيغة الإجابة وإدراك الطفل إلى واقعية التأكيد على الرغبة في امتلاك الصورة أي الاستئثار بعمقها الدلالي الذي شع به الجالسون طويلاً ، وهي رغبة تنكسر بقهقهات الحاضرين في نهاية القصيدة لتصل رحلة المعرفة والسؤال إلى قرارها الأخير وهو إدراك الحقيقة التي يزيدها الشاعر جلاءً بإحالة ضمير الطفل إليه متكلّماً : ﴿ عندها .. أيقنتُ أن الجد مات ﴾ .

وأحسب هنا أن الحد الذي بلغه أحمد التيهاني في بناء هذه القصيدة يسمح لنا أن نتجاوز ما يُمكن أن يفهم سطحياً على أنه طُرْفَة تستحق أن نضحك على براءة الطفل مثلما ضحك الحاضرون عنده ؛ لنرى فيها شكلاً من أشكال الترابط بين الأجيال ، ومعنى يتجاوز ما نفهمه عن اللغة كأصوات منطوقة إلى ما نفهمه عنها كإشارات في كل ما يحيط بنا من الكون تُكيِّف وعْينا وتبني طبقاته الآسرة .

**٣- ( رسالة إلى بلد الألف ألف شهيد ) البراق بن أحمد الحازمي :**

ترتبط هذه القصيدة مرجعيًّا بأحداث الجزائر الراهنة التي تملؤنا بالأسى . ومن ثَمَّ تتخذ صفة شعر المناسبات والأحداث من حيث طغيان الوعي بالواقعة خارج النص على تفتيق المركب الدلالي في بنيته بوصفه حركة لعلاقات لغوية ترتّبُها الرؤية الشعرية بمعزل عن المطابقة للواقع . وحين أنبه هنا إلى مناسبة القصيدة ينبغي أن نلمس جمعية الإحساس بها وحيويته وصدقه التي تفارق بها هذه القصيدة تلك الطوابع التي استهجن من أجلها النقاد شعر المناسبات بوصفه صنعة إعلامية تخلو من الدوافع الشعرية الأمينة ، وترهن الشعر إلى وقائع خاصة ، لايستطيع الشاعر اختراقها إلى ما يتجاوزها تاريخيًّا وإنسانيًّا .

وقد استطاع الشاعر أن يكثف إحساسنا بالحدث ، وأن يضاعف من مشاعر التمزق بأساه ؛ سواءً برصد وقائع الصراع المجنون الذي يبدو ضدًّا لمعاني الاستشهاد ، وأمجاد التحرير ، وتختلج به الدماء والدموع وراء ظمأ للقتل والسفك الذي لا مبرر له ، أو بالإشارة التاريخية والواقعية إلى ألف ألف من الشهداء قبض بأرواحهم شعب الجزائر حريته ، واستعاد أصالته . أو بالانفتاح على الجروح التي لم تندمل في أجزاء أخرى من جسد الأمة في الرافدين وفي قانا .

ولعل التدفق والحرقة التي تتدرج الأبيات في الإشعاع بها من خلال اختيارٍ وتركيبٍ لبناء اللغة خالٍ من الاعتساف والحشو والاستطراد وبعيد عن التحزب وفي تسعة عشر بيتاً فقط هو ما جعل القصيدة تنجح إلى حد كبير في تجسيد الصدق الشعوري وفي بعث ومضاعفة وتجديد اللوعة وحس الفجيعة .

## ٤ ـ ( نبض هارف من هشيم القصيدة ) لعبدالله بن عبدالعزيز الصالح :

العلاقة بين الشاعر والقصيدة هي علاقة ترتيب لصيغ الأشياء تصنعها زاوية الرؤية ونوافذها لتغدو القصيدة وجوداً يستبدله الشاعر برتابة الواقع ونمطيته . وفي هذه القصيدة يبني الشاعر لذاته وللقصيدة وللأشياء المحيطة به علاقات تعمق حس الغرابة ، وتجافي ما استقر من عرف للأشياء ، محاولاً أن يستولد المعنى ، ويشع بالحالة ، ويغمرها في ضباب الحلم الذي لاتتحدد ملامحه ولاتتعين قصديته وروابط معناه بشكل سابق على ما تقوله القصيدة .

وهنا تأتي التراكيب والصور تاركةً فراغاً أو بياضاً من نكرة الدلالة ، التي تحتاج إلى تعاطف المتلقي وفعله في إنتاجها وتعريفها والتفاعل معها . وستبقى سكونية

الذهن التي تطلب الجاهز والمباشر من التعبير في حيرة من أمر المجيء من ﴿ شرفات الغياب﴾ ، ومن ﴿الصهيل بلا ذاكرة ﴾ ومن حمل الشاعر لوجهه ﴿ قافلة من ضياع ﴾ ومن استحمام هيئته بـ ﴿ الرعب ، والمقت ، والرغبة المطفأة ﴾ ... إلخ . وذلك ناتج عن القياس على ما هو خارج عن نص القصيدة ومستقر في الذهن ، وهو أمر لا مفر معه من العجز عن اقتحام ما تثيره من دهشة وما ترسمه من مفارقة وما تؤسسه من إحساس ورؤية في حدود نصيتها التي لاتستعيد الواقع ولاتحاكيه كما أراد أرسطو للشعر .

غير أن هذه القصيدة تفقد انتظام الوزن ، ويبدو النشاز مرةً بعد أخرى بشكل يحبط أذن القاريء والسامع التي لم يُتْرَك الوزن نهائيًّا فتنصرف عن الإحساس به ، ولم يتقن انتظامه فتنفعل به .

**٥ - ( عذراً جلال ) لعبدالله بن محمد الزمزمي :**

إذا كانت الرؤية الشعرية بما تختزنه من رهافة الحس بالحياة هي الأكثر شفافية واستكناها للعلاقات الإنسانية في تجليات واقعها ومثالها ومعاناتها وأحلامها ؛ فإن حدث ( الموت ) هو أحد أهم المحاور التي تدلف منها الشاعرية إلى إعادة صياغة الوعي بالحياة والوجود الإنساني وفلسفة حقائقهما بما يجاوز معاني الأسى ولوعة الفقد وحرقة البكاء على الراحلين .

ومن هنا كان الرثاء في الشعر العربي باباً واسعاً لتفتيق دلالات إنسانية عميقة ومتجددة لاتبلى بنسيان من يبكيهم الراثون ، ولاتنتهي بانتهاء المأتم .

وقصيدة الأستاذ الزمزمي هنا تنتمي إلى هذا الباب الواسع . أعني ( الرثاء ) في خصوصية دلالته الاصطلاحية التي تميزه عن النواح والتأبين والعزاء وتأملات التأسي وأشجان الأسى ، من حيث اختصاصُه بذي القيمة الذي كان يُطْمَع في بقائه لمنفعة عامة ، كما هو حال شيخ قبيلة ، أو قائد أمة ، أو رب أسرة ، أو شاب يتعلق بمستقبله الأمل ... فيما يجري ( النواح ) لغاية الغناء الفردي والجماعي الذي يعبر عن اللوعة لفقد الفقيد . ويختص ( التأبين ) بالأماثل الذين أكملوا رسالاتهم أو كادوا ، ويذهب ( العزاء ) إلى من لاتربطه بالشاعر وشيجة ، وإنّما تربطه به معرفة من يعز عليه فقد الفقيد (١) .

والشاعر يرثي في قصيدته هذه شابًّا في مقتبل العمر من خلال حس فاجع بالفقد يتكيء على إشارات مجسِّمة لصفاته وعلاقة الشاعر به في حياته من جهة ، وعلى وطأة الحس بحضور خياله صامتاً في تحولات الحياة وأشيائها التي ترتد رؤية الشاعر إليها لتصوغ حس الزهد فيها والتهوين من شأنها من جهة أخرى ، تاركة لطرافة بعض الصور إشعاعاً موحياً ومعمِّقاً لتداعي الدلالات ، كما في قوله :

| | |
|---|---|
| عذراً . فقاموسي جراح . أدمع | حزنٌ . وأسئلة بغيـــــر جواب |
| يا ساخـــــراً منا . ومن قاماتنا | حول الضريـــح . فدارنا لخراب |
| عيناك نافذتان تفتــــح للعلا | أفقاً يزيـــــــد بطرفك الجوّاب |
| ودَّعتَ . والآمال بعدك ودعتْ | وتشردت في مهمــــــهٍ ويباب |

**٦- ( أبها ) لعلي مفرح محمد الثوابي :**

الصلة بين المكان والإنسان شعريًّا لاتشابه صلة الظرف بمظروفه من حيث إن الإنسان كائن زماني كما تقتضي دلالته المدنية التي استقرت معرفياً في وصفه بأنه : ﴿اجتماعي بطبعه﴾ . ومن ثَمَّ لاتتساوى الأمكنة في الارتباط بحس الإنسان ، ولاتتعادل في منظور انتمائه الشعوري وعلاقته النفسية . إذ يتعالق مكان النشأة وموطن الانتماء الاجتماعي بأكثر صفاته تحديداً مع زمان الإنسان بوصفه حركة وتحولاً في بنيانه النفسي والجسمي والاجتماعي والعملي ليغدو المكان مركز جذب للحركة حضوراً وغياباً . وعلى هذا يبدو حس الغربة وشعور الحنين كوجه من وجوه التوتر في خيط العلاقة بين زمان الإنسان ومكانه .

وقد حفل شعرنا وأدبنا العربي منذ القديم بصور المكان التي تجسد الحنين إليه ، وتكشف الشعور به ، وتستبدل بالغربة خيالاته الحسية والمعنوية ، والطبيعية والاجتماعية ... التي تعيد صياغة الوعي به ، وتجدد حضوره ، وتصنع جمالياته .

والمكان في هذه القصيدة هو ﴿ أبها ﴾ التي يغني الشاعر علاقته الحميمة والعضوية بها في حس متدفق بالحب واستحضار العناصر التي تشكل علاقاتها تمازجاً روحياً مع رؤية الشاعر وإن كانت التقليدية الشائعة في معجمها قد مسَّت ما يُمكن أن نطمح بشاعرنا إليه من خصوصية الحس وتفرد الصياغة .

**٧- ( علم ونهضة ) لفائز أحمد الشهري :**

الوطن معنى وقيمة ، وحس ووجود ... به تتحقق للمرء الهوية والأصالة التي يرتفع بها جبينه بين بني البشر لامعاً بالفخر وزاهياً بالتحدي . وعلاقة الشعر السعودي

بالوطن تجاوزت كثيراً المناسبات التي تستدعي القصائد بحسبانها فعلاً فنياً تستشعر به الجماعة كينونتها وتستحضر وحدتها وتماسكها إلى ذلك الغناء الفردي الحر الذي لاترتهنه المناسبة ولاتتعلق دفقاته وأهازيجه بوقائع اجتماعية محددة بقدر ما يرتهنه الشاعر ويترامى الشاعر بفرديته من خلاله إلى المعاني الاجتماعية والتاريخية التي تعيد لذاته يقين الإحساس بالوجود والانتظام في سلك فعله وانفعاله .

وقصيدة الأستاذ الشهري هذه هي من هذا الباب الذي يحيل الإحساس بالوطن إلى غناء عذب يتصل فيه الحاضر بالماضي وتحتشد له مقومات التميُّز التي تبيح للفخر والزهو أن يُحلقا بإشارات القصيدة وفق مبررات تسْندها الصفات التاريخية في دلالتها الكونية والإسلامية من مثل : ﴿ مهد الرسالة ﴾ ﴿ أصل العروبة ﴾ ﴿ وفيك قبلةُ من صلوا لخالقهم ﴾ ﴿ وفيك طيبة مأوى الآل والصحب ﴾ . بالإضافة إلى إشارات الفاعلية في الحاضر والتفاعل مع العصر التي يذهب الجزء الأكبر منها إلى الحديث عن نهضة التعليم وهو المنفذ الذي تتفتق عنه دلالات العصرية في عالم اليوم .

وإذا كُنّا نلمح في القصيدة هذا السمت التقليدي الذي يغدو معه بناؤها وإشارات دلالتها تكراراً واجتراراً للجاهز مِمَّا قاله ويقوله الشعراء وغير الشعراء ، فإن لغايتها الغنائية الوطنية وإتقانها موسيقيًّا ما يحيل نثريتها إلى إيقاع كثيف من الحس الجمعي بالوطن الذي يغدو التكرار إحدى لوازم فنيته العذبة . وإن كان بعض شعرائنا الكبار قد دلفوا من خلال هذا الباب إلى صياغة إبداعية مدهشة وغير مكرورة .

**٨- ( أوراق شاعرين ) لمطلق شايع عسيري :**

تنطوي هذه القصيدة على التقابل بين المعاني والموضوعات في منهجين للرؤية الشعرية من خلال صيغة للحوار تقوم على قولين يُسْنَد أولهما إلى ضمير الغائب : ﴿ قال لي ... ﴾ ويمتد مقوله في الجزء الأول من القصيدة المكون من ثمانية عشر بيتاً . ويُسْنَد الثاني إلى ضمير المتكلم ، أي الشاعر نفسه : ﴿ قُلْتُ ... ﴾ ويمتد مقوله في الجزء الثاني من القصيدة المكون من تسعة عشر بيتاً .

ويتضمن القول الأول بسطاً لحس جمالي بالشعر يرهنه للذة الحسية بتلك الصيغة التقليدية التي ورثناها عن شعرنا العربي منذ الجاهليَّة ، والتي تقترن جمالية الشعر فيها من حيث الموضوع بحسية المرأة والمدامة ... وتجعل الشاعر صانعاً للجمال وقريناً للهو وبوقاً لمزاعم ودعاوى لاترتد إلى أبعد من حنجرته ، ولاتجاوز طرف لسانه . وتستند هذه الرؤية لدى القائل بها على اهتزاز ثقته في قدرة الشعر على الإصلاح الاجتماعي والأخلاقي . فهو يوجه خطابه إلى الشاعر مطالباً بالمباح من الشعر الذي يصور الجمال ويبث الصفاء والانشراح ويعيد إلى الواقع الشعري ذاكرة الغزل التي يحملها الشعر العربي من خلال أسماء النساء وصفاتهن الجسدية .

ويغدو القول الثاني ( وهو قول الشاعر ) في معرض المقابل الذي يتضمن الضد من ناحية الموضوع الشعري ، ويؤكد على الوظيفة التأصيلية الاجتماعية والأخلاقية والعقدية ، من خلال صيغتين : تقوم ( أولهما ) على النفي الذي يُخْرِج ذات الشاعر / المتكلم من صفات تنزع في منطقه عن قوس الهجاء والطعن والاتهام والتشكيك في النية ؛ لأنها تترامى بالوظيفة الشعرية إلى مكاسب ذاتية وشخصية أو لاهية عابثة أو معادية مغرضة اجتماعيًّا وثقافيًّا ( وذلك في الأبيات من ٢٠ - ٢٤ ) . فيما تنهض الصيغة الثانية على الإثبات الذي يُدْخِل ذات الشاعر / المتكلم في صفات يطبعها الفخر

والتمدح ؛ لأنها تتصل بواقع الأمة وتتعاطف مع همومها وأوجاعها ، وبذلك تشف عن الجدية في مقابل اللهو ، والاجتماعية في مقابل الشخصية ، والإخلاص والانتماء العقدي في مقابل العداء ، والمروق والتبعية ( وذلك في الأبيات من ٢٥ - ٣٧ ) .

والصيغتان السابقتان معاً تدلان على ادعاء نقاء الذات والرغبة في تزكيتها بطريقة مباشرة تتوسل الهجوم على الآخر والمدح للذات ، وهي صيغة غير محبَّذة في العرف الأخلاقي والاجتماعي ، وفي منطق الشرع الحنيف ، قال عز من قائل : ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ [ النجم ، الآية : ٣٢ ] . ولقد كان من الممكن فنيًّا أن يستبدل الشاعر بهذا البناء الخطابي المباشر بناءً فنيًّا موضوعيًّا يعادل الذات أو الآخر ولايقررهما . بحيث تتلافى القصيدة أسلوبيًّا الإشارة المباشرة إلى الذات ، وتتجاوز دلاليًّا ما يبدو فيها من تلخيص لتلك القضية النقدية الأدبية القديمة الجديدة المعروفة بـ ﴿ قضية الالتزام ﴾ أو القول بالشعر من أجل الشعر ، والشعر من أجل الحياة .

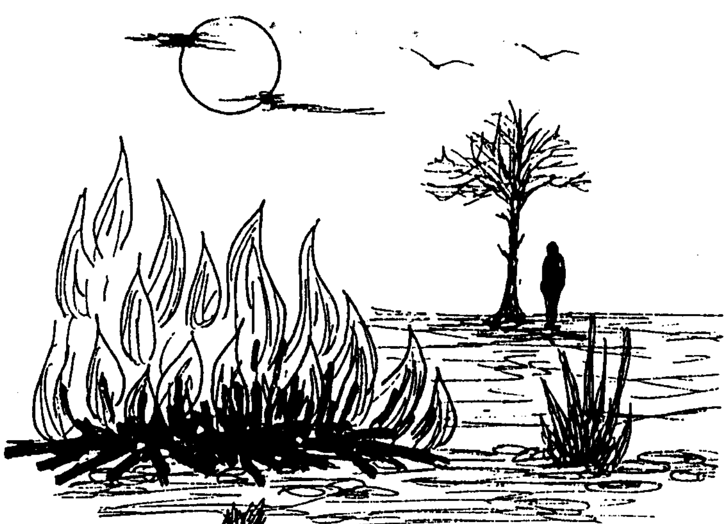
على أننا إذ نغتبط بالموضوع الاجتماعي والأخلاقي وما يعتلج في جوانبه من هموم ، وندعو الشعراء إلى الوعي به وتوظيفه إبداعيًّا - ينبغي ألا يغيب عنا سؤال الشعرية التي يصبح بها الكلام شعراً ، ويصبح المتكلم أو الناظم شاعراً ؟ . فالمعاني مطروحة في الطريق - كما قال الجاحظ - ومن هنا يحمل التوارد على الهم الواحد بين الخطيب والواعظ والصحفي والروائي والمسرحي وكاتب المقالة والشاعر تمايزاً يجعل أحدهم لاينسخ الآخر، بل لاينسخ الشاعرُ الشاعرَ ولايكرره، ومن ثُمَّ لايغني عنه[2] .

(١) انظر تحليلاً وافياً لمعاني الرثاء ومصطلحاته بالنظر إلى المرثي لدى : أحمد إبراهيم ، في كتابه :المدخل إلى شعر العقاد ، ط ١ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٤م : ص ٤٠٨ - ٤١٢ .

(٢) قُدِّمتْ هذه القراءة لقصائد الفائزين بمسابقة الملتقى الشعري الأول الذي نظمه (نادي أبها الأدبي) في الفترة من ٢٦-٢٧/١٠/١٤١٨هـ .

# القصة

- على البلاط البارد
- الحرور الأسمر .. مترجمة
- كي نصل معا



# على البلاط البارد

## أنور أحمد ناظر

يده اليمنى تضغط بقوة على أحد جيوبه مطمئنة على ورقة بيضاء . الطريق المؤدية إلى إحدى المؤسسات تحتويه برحابة أكبر من ذي قبل ، أحلام وردية داعبت مخيلته ( عمارة فاخرة ، هاتف .. حجّاب ... إلخ ) المبنى الضخم ينتصب بشموخ ، الخطى تتسارع ، تأخذ شكل الهرولة ، الدرج يقترب يئن وقع الأقدام الصاعدة سهم الدلالة يشير إلى الطابق السادس . لهاث الأنفاس يصدر نغماً من نوع خاص . الأحلام المخملية تنشر عطرها بوتيدة أشد تنتصب لوحة تعلن عن نفسها " دائرة شؤون العاملين " .

المكان يمزق تذكرة الصمت ، يدخل منتصباً ، يتقدم ، اليد القابضة تنبسط ، تسحب الورقة تقدمها ، الموظف القابع خلف كومة من الأضابير يتلقفها بنزق ، يقرؤها ، يقطب حاجبيه يدفع بها جانباً ، يرمقه بحدة ، يمد يده ، يتلقف ورقة أخرى ، علامات الرضى ترتسم ، يومئ بالإيجاب ، يوقعها ، خيوط الدهشة تفترش المكان ، يتسلق أبراج السؤال :

" ولكن ....... "

يقاطعه

" نحن أعلنا عن طلب مستخدمين وليس رؤساء دوائر "

جدار الحلم يتلوى ، الخيبة غراب غاضب أجنحته سوداء ، يفرشها فوق مدينة مقفرة يستنطق رماد الأمل ، يلملم حطام السفينة ، ينصبها من جديد ، يدفعها إلى بحر التحدي البحر دون شطآن ، ريحه عاتية ، أمواج ، مد ، جزر ، ويعود الحطام .

الذاكرة تتحفز للرجوع إلى الخلف ، يداهمها خيال المعلم " أبو صالح " يدق الأرض بعصاه ، فمه يشبه المغارة ، يصدر حشرجة !

كفى عن السعي وراء الوظائف التي لا تسمن من جوع ، لو طاوعتني واستلمت دفاتري سأعطيك عشرة آلاف ليرة شهرياً ، أصغر ولد عندي يتقاضى أربعة آلاف " .

يصمت قليلاً ، يصلح ربطة عنقه ثم يضيف بسخرية !

- " لا تتعب نفسك بصعود أدراج الشركات والمؤسسات ، أما سئمت عبارتهم المعهودة : ( لا يوجد شاغر )

يتنهد ، يعدل جلسته ، يرفع رأسه متفاخراً ، يشير بسبابته :

- " انظر هذه السيارة ستملك ثمناً لمثلها عما قريب " .

تتسع الفجوة في خاصرة الضمير النازف ، تغرق عيناه بدمعه يهيم في اللاشعور تتنزه على شفتيه عبارات صاخبة :

- " أنت وضيع ، طفيلي ، وسارق ، لن أساعدك على غش الفقراء وقتلهم بلحومك الفاسدة ، يهز رأسه محاولاً إبعاد شبح الماضي ، يستدعي مارد النسيان يتجاذبان أطراف الحديث ، المارد يوغل في شراء العصيان . حزن آس يبتلع المدينة . المساء قادم بحذر الرقاد مارد آخر ، النهار يزحف ببطء ، معبأ برائحة الانكسار ، أنواره باهتة ، الضمير النازف في صحراء اللامبالاة يكتب وصيته الأخيرة . اللحظة تنعي زمان الياسمين ، الشهادة الجامعية المغبرة معلقة على جدار النسيان الأبدي ، تبتسم بسخرية يرمقها ، معدته تنخزه ، تطلب شيئاً ما ، سخرية الشهادة تأخذ شكل قهقهة ، صخب ، المكان لا يُطاق ، يشيح بوجهه إلى الجهة المعاكسة محاولاً صرف اهتمامه إلى موضوع آخر ثمة صحيفة إعلانات :

- ( تعلن شركة كبرى عن طلب موظفين من حملة الشهادة الجامعية لتعينهم بصفة محاسبين )

الخيوط البيضاء ترتسم من جديد ، الشهادة الساخرة تلوذ بالصمت ، يسحب نسخة طبق الأصل . يتأبطها . يستلم الدرج الهابط . المكان يعاني التخمة ، ينوء بحمل جموع المنتظرين ، مكبرات الصوت تعلن :

" المطلوب سبعة فقط " .

المكان يقف فوق صخرة الوجوه ، آخر مكعبات الأحلام تنهار . أبو صالح يقف منتصباً يدق بعصاه الأرض من جديد . يتقدم ، يوزع ابتسامة مبطنة ، يقدم عرضه المعتاد . ابتسامات الرضى تتبعثر على الشفاه . الورقة البيضاء تسقط ، يحتويها بلاط الغرفة البارد .

# الشحرور الأسمر

للكاتب الروسي / تورجينيف

## ترجمة / وفاء عمر هدمه

كنت مستلقياً على سريري وقد فارق النوم جفني ، وأحاطت الهموم بي من كل جانب ... أفكار مرهقه وثقيلة تدور متشابهة في ذهني ، كأنها سحب ضبابية تسبح في يوم ممطر غائم ، وتتهاوى على رؤوس الجبال .

آه ... إنني أحببت وكان حبي حزيناً ، دون أمل . مثل ذلك الحب الذي يعتري الإنسان تحت ثلج مبرد الأعوام المتعاقبة عندما تبتعد عن القلب حرارة القلب فيتوقف ... لأنه ليس شابا لا ولكن لأنه يحاول دون جدوى أن يستعيد عنفوان الشباب .

ظهر شبح النافذة أمام عيني كدائرة بيضاء ... بينما بدت كل الأشياء متناثرة في الغرفة ، تحت غشاء من الضباب ، وكأنها أكثر سكوناً وهدوءاً في نصف الهواء الضبابي . في ذلك السحر الصيفي ألقيت نظرة على ساعتي ، فقد كانت الثالثة إلا ربعاً ... ووراء جدران المنزل كان يسود الشعور بذلك السكون العميق ... وكان الندى يغطي كل شيء ... بحر كامل الندى .

في البستان المغطى بالندى تحت نافذتي مباشرة غنّى ، وصفّر ، وهزج ذلك الشحرور الأسمر ترورورال ، دون توقف ، بصوت عال مليء بالثقة . تغلغلت الألحان المناسبة في غرفتي الهادئة وملأت جميع أرجائها . كما كانت ملء رأسي المثقل بجفاف السهاد والأرق والذي زادت من يقظة الأفكار والهموم .

لقد تشربت خلود تلك الألحان وشعرت بما فيها من طزاجة ولا مبالاة . إنني سمعت من خلال موسيقاها ذلك الصوت اللاواعي الذي لا تحدّه بداية ولن يتوقف أبداً .

إنه غنى ، وهزج باللحن ... هذا الشحرور الأسمر . إنه يعرف أن الشمس لا تتغير وسيلمع ضؤوها في دورتها الطبيعية ... وفي أغاني الشحرور ليس هناك شيء خارج عن المعهود إنه ظل ذلك الشحرور الأسمر نفسه ، الذي عاش قبل ثلاثة آلاف من الأعوام تقريباً ... إنه نفسه من ألقى التحية على الشمس وسيظل يحييها عبر الآلاف القادمة من السنين ـ إلى أن يبعث ا لله الأرض ومن عليها ـ ولكن ما الذي يريده مني ؟ وربما دارت في تلك اللحظة ذرات غير مرئية من شآبيب الأفق حول جسمه الصادح ... وقد اهتزت طرباً لذلك الغناء البديع !

إني أنا الإنسان الفقير المثير للضحك ... المحب ، الوحيد ... أقول لك شكراً أيها الطائر الغريد الصغير ... شكراً لأغانيك الشجية الأخاذة ... التي صدحت فجأة ، ودون توقف تحت نافذتي في تلك الساعة الحزينة .

إنها لن تهدي من روعي ... فإنني لم أبحث عن تهدئة الروع . ولكن عيني فاضتا بالدموع واندفعت تلك الأنغام إلى صدري فرفعت عنه للحظات تلك المعاناة الثابتة المميتة ... أخ أليس ذلك المخلوق ـ أنا ـ أليس هو عنفوان الشباب ؟ تماماً مثل الحانك أنت يا طائر الأسحار .

نعم ... هل يحق لنا أن نحزن أو نُصاب بالإرهاق ... ونفكر عن أنفسنا ، في نفس الوقت الذي محاط فيه من كل الجهات ، بتلك الموجات الباردة ... التي تدفعنا ليس اليوم ، ولكن في الغد ، إلى ذلك المحيط الذي لا ساحل له ؟

سالت الدموع من عيني ! ... أما شحروري الرقيق الأسمر فقد واصل تغريده كما لم يحدث من قبل ... وملأ غناؤه الصادح السعيد ، المتغرد ، أرجاء المكان . أي دموع - على خدودي - أشعلتها في النهاية شمس الصباح الطالعة ؟ ولكنني عند حلول الصباح ابتسمت كعادتي .

---

* ايفان سرجينفتش تورجينيف ( ١٨١٨ - ١٨٨٣ ) أحد الكتاب الروس الكبار في القرن التاسع عشر ، وقد كرّس أدبه لحبّ وطنه وشعبه والتغني بلغته القومية .
وقد صورت روايات تورجينيف حياة شعب روسيا في الفترة من الخمسينيات حتى السبعينيات من القرن التاسع عشر ، وهي نموذج كلاسيكي للغة الروسية الناضجة . ويعتبر تورجنييف أول كاتب روسي اعترف به أدباء أوروبا الغربية ، وكان من الرواد الأوائل في الشهرة العالمية التي حققها الأدب الروسي فيما بعد ...

# كي نصل معاً

## تركي يحيى محمد آل عردان

وهو في غرفة من غرف السجن أو صندوق من صناديقه الموحشة وهواء الخوف والظلمة يكبت أنفاسه ، ويلغي صورته بل يسلب منه وجوده ، وذهنه هارب من قبح الماضي ، ليواجه قهر الحاضر ، وغموض المستقبل ، عبراته تتكاثف كالسحاب في سماء عينيه الحزينة ، ثم لا تلبث أن تنهمر تهتاناً على بساط خده المتهدل ، يكاد الألم ينتزع روحه انتزاعاً ، ولم ينجه من حاله تلك سوى صوت صديقه ، صاحب سجنه ، الذي تهادى في سكون الموقف :

ـ خالد ... خالد

أدار خالد وجهه قصد مصدر الصوت ، وقال لصاحبه :

ـ ناديتني .. ماذا تريد ؟ .

ـ أنت بخير .

ـ وكيف أكون بخير ؟ أأكون بخير وأنا هنا في هذا الظلام المطبق ، حدود أملي تنتهي بأحد أركان سجني الأربعة ، ومساحة عالمي تقف عند تلك القضبان الشائنة ، لا تتعداها ولو لخطوة واحدة .

أأكون بخير ، وكل عضو من أعضاء جسمي المهلهل يكاد يغلق نفوذ أعماقي بصراخه المدوي يعاتبني على الماضي ، ويقتل دواخلي كلما حاولت أن أسوغ له ما فعلت .

أأكون بخير ، وعيناي لم تعرفا سوى الوحشة ، والخوف ، والبكاء منذ دخولي هذا القبر ولم تميزا سوى لون الظلمة الحالكة ، المتشبثة بجميع بواطني . واسمي ذاته ليس له سوى معنى واحد : الخلود في السجن ، وإلى الأبد .

ـ هما شهران فقط وتتخرج فلمَ كل هذا الشؤم ؟

أطلق خالد تنهيدة طويلة قبل أن يقول :

فقط ! شهران فقط ! وكل يوم من أيام سجني سنة كاملة ، كل يوم يمر يموت فيه معنى الحياة ، وكل يوم ينقضي يولد بداخلي ألماً جديداً . أنت تقصد ستين عاماً من العذاب ، ستين عاماً من البؤس قبل انتقالنا من هذا الظلام اللانهائي ، نحن نخرج ولا نخرج ، نخرج من سجن صغير إلى سجن أكبر وأوسع . نعم ، أنا أخاف من هذا السجن ، ولكني أرتعد خوفاً من ذلك السجن الخارجي ، هناك يمطرني الناس بوابل من النظرات الساخطة ، نظرات لا ترحم ، لا تقتنع بتوبتي ، حتى الشمس ، أخاف من ظلم نورها ، وعتب شعاعها .

ـ لأنك غير مؤمن ، لم تعرف معنى الإيمان با لله ، ولم تذق حلاوته ، وضعت الناس نصب عينيك ، وتركت رب الناس ، فكانت هذه حالك ، وهذا معتقدك ..

لو أنك توكلت على ا لله ، وفوضت أمرك إليه ، لتغير منهجك ، كما تغير منهجي .

لقد مكثت في السجن مدتك وأكثر ، ولكني لم أملأ فراغ نفسي بالأوهام ، لم أملأها بخزعبلات الوحدة ، وجنون الوهم ، ملأت صدري بكتاب ا لله ، النور المبين ، ملأته بتوبة نصوح ، استلت كل شرور الأمس ، وخبث الغد ، وملأته بقول الشاعر :

أعلل النفس بالآمال أرقبها ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

يا صاحبي . افتح نافذة جديدة تطل على الغد ، اسلك طريق المستقبل بنور ا لله ، وهدي الكتاب والسنة ، في وطن النور ، وأرض الحرمين ، وبلد الشريعة السمحة ،

وليكن زادك التقوى ، وقصدك التوبة ، ومركبك الأمل ، الأمل المبتسم ، لغد مشرق ، ولمستقبل أفضل ...

وبعد شهرين ، أشرع باب الحياة لخالد ، وصاحبه يخرج خالد تاركاً هموم الماضي وراءه ، حاملاً التوبة بغلاف الأمل ، ويده ممسكة بيد صاحبه ، ليبدأ الحياة الجديدة ، بثوب جديد ، وقلب مفعم بالحب والأمل ، يسيران معاً ويحملان المستقبل المأمول ، والماضي المنسي ، يسيران معاً وهما مصممان أن يصلا معاً .

# استراحة بيادر

## في رياض الأدب

*إعداد الدكتور : إبراهيم الراشد *

# في رياض الأدب

د. إبراهيم راشد

## ١ ـ من دعاء الأعراب :

ذكر الجاحظ في " البيان والتبيين " أن أعرابية دعتْ لرجل فقالت :

" كَبَتَ الله كلَّ عدوٍ لك إلا نفسَك " !

قال : ودعا أعرابي ، فقال : " اللهمّ ، هَبْ لي حقَّك ، وأَرْضِ عَنّي خَلْقَكَ " .

وقال أعرابي : " اللهمّ ، إنك أمرتنا أن نعفوَ عمَّنْ ظَلَمَنا ، وقد ظلَمْنا أنفسَنا فاعفُ عنَّا " .

## ٢ ـ شذرات وعظية :

( من كتاب " الفنون " لأبي الوفاء عليّ بن عقيل البغدادي الحنبلي ٤٣١ ـ ٥١٣هـ )

### أ ـ ما أعظمَ بركة الطاعة :

" لو لم يكن من بركات مجاهدة النفس في حقوق الله ، والانتهاء عن محارم الله ، إلا أنه يعطف عليك فيسخّرها لك ، ويطوّعها لأمرك حتى تنقاد لك ، ويسقط عنك مؤونة النزاع لها والمجاهدة حتى تصير طوع يدك وأمرك ، تعاف المستطابَ عندها إذا كان عند الله خبيثا ، وتؤثر العمل لله وقد كان عندها بالأمس كريها ، وتستخفّه وقد كان

عليهــا ثقيلا ، حتى تصير رِقّــاً لـك بعـد أن كـانت تسـترقّك . وكـذا كـلّ مـن حقّـق العبودية لسيّده استعبَدَ له من كـان يملكـه ، وألان لـه مـا كـان يعجـزه . قـال سـبحانه وتعالى : ﴿ ومَنْ يُوقَ شُحَّ نفسِه فأولئك هم المفلحون ﴾ [ التغابن /١٦] بعد إخبـاره : ﴿ وأُحْضِرت الأنفسُ الشُّحَّ ﴾ . [ النساء /١٢٨] .

فقد أبان عن أن له أقواماً يوفيهم ويقيهم ما أُحْضِرتْه الأنفسُ .

وقال سبحانه : ﴿ وأصلحنا له زوجه ﴾ [ الأنبياء /٩٠ ] ، وهو الذي قال : ﴿ إنّ من أزواجِكم وأولادِكم عدوّاً لكم فاحذروهم ﴾ . فما أعظمَ بركةَ طاعةِ الله على المطيع .

## ب ـ ما أشدّ شؤم المعصية :

" ما أشدّ شؤمَ المعاصي ! بينا يسمع قـول الله لملائكتـه : " اسـجدوا لآدم " حتـى سمـع النداء : " اهبطوا منها جميعا " . بينا يرفل في حلل من السندس والإسـتبرق حتـى طفـق يخصف على عورته من الورق " !

## ٣ـ هل تعرف مُوَيْس بن عمران ؟

يصور الدكتور الحاجري في كتابه ( الجاحظ ـ حياتـه وآثـاره ) حيـاة الجـاحظ في صبـاه ومبدأ أمره ، فيبين أنهـا كـانت موزّعـة بـين مطـالب المجـد الأدبـي الـذي يـراود خيالـه الخصب ، ومطالب العيش في أسواق البصـرة ومـا وراءهـا [ إذ يحكـي المرزبـاني عمّـن شاهد الجاحــظ ـ آنئذٍ ـ يبيــع الخبز والسمك بسَيْحان ــ وهـو نهـر بـالبصرة ] ، فلـم يكن الجاحظ يمضي مع نوازعه العقلية ، ورغباته الأدبية حتى يجد نفسه أمـام ضـرورات الحياة ، وحاجات العيش الملحة ، تلفته إليها وتصرفه نحوها ، فلا يجد بدّاً مـن أن يمضـي إليها متثاقلا متململــا ، يقضـي حق أمـه وإخوته ............. وما زال كذلك مقسَّم

القلب ، مثقل الضمير حتى أتيح له سري من سراة البصـرة ، ونبيـل مـن نبلائهـا أخـذ بيده وأعانه ، وبعث في نفسه روحاً جديدة حين خفّـف عنهـا ذلـك الإحسـاس الدائـب الملحّ المرير بمطالب العيش وضـرورات الحيـاة ، وسـدّده في تلـك السـبيل المحببـة إليـه ، سبيل العلم والأدب ، ووجهه إلى تلك الغاية المرموقة التي كان يهفو إليها ، وذلك المجد العقلي الذي مضى نحوه غير ضائق ولا معوّق . **ذلك هو** : **مويس بن عمران** .

وقد أشار إلى ذلك بعض من ترجم للجاحظ ، فقال :

" إنه كان في حداثته مشتغلاً بالعلم ، وأمه تمونه ، فجاءته يومـاً بطبـقٍ عليـه كراريـس ، فقال : ما هذا ؟ قالت : هذا الذي تجيء به . فخرج مغتمّاً ، وجلس في الجامع ومويـس ابن عمران جالس ، فلمّا رآه مغتمّاً قال : ما شأنك ؟ فحدّثه الحديث فأدخلـه المـنزل ، وقرب إليه الطعام ، وأعطاه خمسين ديناراً ، فدخـل السـوق واشـترى الدقيـق وغـيره ، وحمله الحمّالون إلى داره ؛ فأنكرت الأم ذلك ، وقالت : من أين لك هذا ؟ قـال : مـن الكراريس التي قدَّمْتِها إليّ ! "

ومُوَيْس هذا ذكره الجاحظ في كتابه " الحيوان " ومدحه بقوله :

" .. وكـان هو والكذب لا يأخذان في طريقٍ ، ولم يكن عليه في الصدق مؤونـة لإيثـاره له ، حتى كان يستوي عنده ما يضرّ وما لا يضرّ " .

## ٤ ـ الفرج بعد الشدّة :

رووا عن أبي عمرو بن العلاء أنه خرج هارباً من الحجّـاج إلى مكـة [ وفي روايـة : إلى اليمن ] فسمع أعرابياً ينشد هذه الأبيات :

**ياقليلَ العزاء في الأهـــوال ... وكثيرَ الهموم والأوجـــال**
**صبّرِ النفسَ عند كلِّ ملـمٍّ ... إنّ في الصبر حيلةَ المحتـال**

لا تَضيقنّ بالأمور فقد تُكْـ ـشَفُ غمّاؤها بغير احتيال
ربّما تجزع النفوس من الأمْـ ـرِ له فَرْجَةٌ كحلّ العقال

قال : فقلت : ما وراءك يا أعرابيّ ؟ قال : مات الحجّاج .

قال أبو عمرو : فلم أدرِ بأيّ الأمرين كنت أشدّ فرحا : بموت الحجاج ، أو بقوله " فَرْجَةٌ " ـ بفتح الفاء ـ لأني كنت أطلب شاهداً لاختياري القراءة في سورة البقرة [ الآية / ٢٤٩ ] ﴿ إلاّ مَنِ اغْتَرَفَ غَرْفَةً ﴾ .

## ٥ ـ تَرَوَّوْا شعرَ حُجيَّةَ بن المُضَرّب :

يروى عن أمّ المؤمنين عائشة رضي ا لله تعالى عنها أنها قالت :

" تَرَوَّوْا شعرَ حجيَّةَ بنِ المُضَرّب ؛ فإنه يعينُ على البرِّ " .

وقد تمثلت أمّ المؤمنين بخبر حجيَّة وشعره في محاورة دارت بينها وبين أخيها عبدالرحمن ابن أبي بكر ؛ وذلك أنه لّما قُتِل محمد بن أبي بكر بمصر ـ وقد خلّف ابنه القاسم بن محمد وأختا له ـ يقول القاسم : جاء عمِّي عبدالرحمن فاحتملنا وقدم بنا المدينة ، فبعثت إلينا عائشة فاحتملتنا من منزله ، فما رأيت والدة قطّ ولا والداً أبرّ منها . فلم نزل في حجرها ، حتى إذا كان ذات يوم وقد ترعرعنا ألبستنا ثياباً بيضاء ، ثم أجلست كل واحدٍ منّا على فخذها ، ثم بعثت إلى عمِّي عبدالرحمن فلمّا دخل عليها تكلّمت ، فحمدت ا لله عز وجل وأثنت عليه ، فما رأيت متكلما قبلها ولا بعدها أبلغ منها ، ثم قالت :

يا أخي ، إني لم أزل أراك مُعْرِضاً منذ قبضتُ هذين الصبيّن منك ، ووا لله ما قبضتُهما تطاولاً عليك ، ولكنك كنتَ رجلاً ذا نساءٍ ، وكانا صبيّين لا يكفيان من أنفسهما شيئا؛ فخشيتُ أن ترى نساؤك منهما ما يتقذّرْنه من قبيح أمر الصبيان، فكنتُ ألطفَ

لذلك وأحقّ بولايته ، وقد قويا على أنفسهما وشبّا وعرفا ما يأتيان ، فهما هذان فضُمّهما إليك ، وكُنْ لهما كحجيّة بن المُضرّب ، أحد بني كندة .

ثم قصت عائشة رضي ا لله عنها خبره ، وخلاصته أنه كان له أخ يُقال له : معدان ، فمات وترك صِبية صغاراً في حجر أخيه ، فكان أبرّ الناس بهم وأعطفهم عليهم ، وكان يؤثرهم على صبيانه . فمكث بذلك ما شاء ا لله ، ثم إنه عرض له سفر لم يجد بدّاً من الخروج فيه ؛ فخرج وأوصى بهم امرأته ـ وكانت إحدى بنات عمّه ، وكان يقال لها : زينب ـ فقال : اصنعي ببني أخي ما كنت أصنع بهم . ثم مضى لوجهه ، فغاب أشهراً ثم رجع ، وقد ساءت حال الصبيان وتغيّرت . فقال لامرأته : مالي أرى بني معدان مهازيل وأرى بنيَّ سِمَانا ؟ فقالت : كنت أواسي بينهم ، ولكنهم كانوا يعبثون ويلعبون . فخلا بالصبيان ، فقال : كيف كانت ولاية زينب لكم ؟ قالوا : سيئة ، ما كانت تعطينا من القوت إلا ملْءَ هذا القدح من لبن ـ وأروه قدحا صغيراً . فغضب على امرأته غضباً شديداً وتركها ، حتى إذا أراح عليه راعيا إبلهِ ، قال لهما : اذهبا فأنتما وإبلكما لبني معدان .

فغضبت من ذلك زينب وهجرته ، وضربت بينها وبينه حجاباً ؛ فقال في ذلك :

لِجَجنَا ولجّتْ هذه في التغضّب ... وشدّ الحجابِ بينَنا والتنقُّبِ
تلومُ على مالٍ شفاني مكانُه ... إليكِ فلُومي ما بدالكِ واغضبي
رأيتُ اليتامى لا تسدُّ فُقُورَهُمْ ... هدايا لَهُم في كلّ قَعْبٍ مُشَعَّبِ
فقلتُ لعبدينا : أريحا عليهمُ ... سأجعلُ بيتي مثلَ آخرَ مُعْزِب
عيالي أحقُّ أن ينالوا خصاصةً ... وأن يشربوا رَنْقاً إلى حين مَكسَبِي
أحابي بها من لو قصدتُ لمالِه ... حَرِيبا لآساني لدى كلّ مَرْكَب
أخي والذي إن أَدْعُهُ لملمَّةٍ ... يُجِبْني وإن أغضبْ إلى السيف يغضب

[ القَعْب : القدح من الخشب ، المشعّب : المجبور في مواضع منه . المُعْزِب : الذي عزبت إبلُه عنه وتباعدت . الحريب : المسلوب المال . ]

## ٦ ـ من نوادر القضاة :

أ ـ روى المبرد أن أول من أظهر الجَوْر من القضاة في الحكم بلال بن أبي بردة ، وكان يقول : " إنّ الرجلين ليختصمان إليّ ، فأجد أحدهما أخفّ على قلبي ، فأقضي له " .

ب ـ ذكر ياقوت في " معجم البلدان " ، في رسم " دَجرْجَا " ـ بليدة بالصعيد ، في غربي النيل ـ ، قال : قد خرج منها شاعر متأخر يعرفه المصريون يُقال له : المشرف ، وله شعر جيد ، منه :

قاضٍ إذا انفصل الخَصْمان ردّهما ... إلى الخصام بحكم غير منفصل
يبدي الزهادة في الدنيا وزُخْرُفِها ... جهراً ، ويقبل سرّاً بَعْرة الجمل

جـ ـ ذكر القفطي في ترجمة أبي جعفر الضبي : محمد بن عمران بن زياد ، أنه كان على اختيار القضاة للمعتز ، قال : فاجتمع إليه القضاة والفقهاء ، الخصّاف وغيره ... وكان الضبّي هذا معلّماً ، فنعس ثم رفع رأسه وقال : تهجّوْا لنا ـ على عادته في الكُتّاب قديما .

د ـ ذكر الخطيب البغدادي في " تاريخ بغداد " ـ في ترجمة عافية بن يزيد بن قيس ، أحد القضاة ـ عن الأصمعي ، أنه قال : كنتُ عند الرشيد يوماً ، فَرُفِعَ إليه في قاضٍ كان قد استقضاه يُقال له : عافية ، فكَبُرَ عليه ، فأمر بإحضاره ، فأُحْضِرَ ، وكان في المجلس جمعٌ كثير ، فجعل أمير المؤمنين يخاطبه ويَقِفُه على ما

رُفِع إليه ، وطال المجلس ، ثم إن أمير المؤمنين عَطَسَ ، فشمَّتَه من كان بالحضرة ممّن قَرُب منه ، سواه فإنه لم يُشَمِّتْه ، فقال له الرشيد : ما بالُك لم تُشَمِّتْنِي كما فعل القوم ؟ فقال له عافية : لأنك يا أمير المؤمنين لم تَحْمَدِ الله ؛ فلذلك لم أُشَمِّتْك ؛ هذا النبيّ ﷺ عَطَسَ عنده رجلان ، فشَمَّتَ أحدَهما ولم يُشَمِّت الآخر ، فقال : يا رسول الله ، مالَكَ شَمَّتَّ ذلك ولم تُشَمِّتْنِي ؟ قال : " لأنَّ هذا حَمِد الله فَشَمَّتْنَاه ، وأنت فَلَمْ تَحْمَدْه فلم أُشَمِّتْكَ " فقال له الرشيد : ارجع إلى عملك ؛ أنت لم تُسَامحْ في عَطْسَةٍ ، تُسامِحُ في غيرها ؟! وصرفه مُنْصَرَفاً جميلاً ، وزَبَرَ القوم الذين كانوا رفَعوا عليه .

هـ - وروى الخطيب في ترجمة عافية هذا عن ابن الأعرابي ، قال :

خاصم أبو دلامة رجلاً إلى عافية ، رحمه الله تعالى ، فقال :

لقد خاصَمَتْني غواةُ الرجا ... لِ وخاصمتُهم سنةً وافيهْ
فما أدْحَضَ اللهُ لي حُجَّـةً ... وما خيَّبَ اللهُ لي قافيَـهْ
فمَنْ كنتُ من جورِه خائفاً ... فلستُ أخافُك يا عافيَـهْ

فقال له عافية : لأشكونَّك إلى أمير المؤمنين. قال : لم تشكوني ؟ قال : لأنك هَجَوْتَنِي . قال : والله لئن شكوْتَنِي إليه ليَعْزِلَنَّك . قال : ولِمَ ؟ قال : لأنك لا تعرف الهجاء من المديح .

قال بعضهم معلّقاً على هذا الخبر : رحمه الله تعالى ، ما كان أصفى نيَّته ، وأَسْلَمَ طَوِيَّتَه !

## ٧ـ قطعة يتنازعها المشارقة والأندلسيّون :

أبيات قال عنها ابن خلكان : إنها بديعة في بابها ، وقال ياقوت : " لم أسمع في معناه أحسن منه معنى وجزالة " . وهذه الأبيات ينسبها المشارقة إلى أبي نصر أحمد بن يوسف المنازيّ ( نسبة إلى مَنَازْجِرْد ـ من أرمينية ) ، وكان ـ كما يقول ياقوت ـ فاضلاً أديباً جيد الشعر ، وكان وزيراً لبعض آل مروان ملوك ديار بكر ، ومات في سنة ٤٣٧هـ .
والأندلسيون ينسبونها إلى حمدة ـ ويقال : حمدونة ـ بنت زياد المؤدب ، من وادي آش ، التي قال عنها المقّري : " وهي خنساء المغرب ، وشاعرة الأندلس " .
ونقل عن الرعيني قوله : " .... ولقد رأيت المؤرخين من أهل بلادنا ـ وهي الأندلس ـ أثبتوها لها ( يعني لحمدة ) قبل أن يخرج المنازي من العدم إلى الوجود ، ويتصف بلفظة الموجود " . والأبيات هي :

وقانا لفحةَ الرمضاءِ وادٍ ... سقاهُ مُضاعَفُ الغيثِ العميمِ
حَلَلْنا دَوحَهُ فحنا علينا ... حُنُوَّ المرضِعاتِ على الفطيمِ
وأرشَفَنَا على ظمأٍ زلالاً ... ألذَّ من المُدامَةِ للنديمِ
يَصُدُّ الشمسَ أنّى واجهتْنا ... فيحجُبُها ويأذنُ للنسيمِ
تروع حصاه حاليةَ العذارى ... فتلمَسُ جانبَ العِقْدِ النظيمِ

## ٨ـ من أعاجيب أبي العلاء :

ولأبي نصر المنازي هذا خبر مع أبي العلاء المعري يدلّ على قوة حافظة أبي العلاء ، وفرط ذكائه .
وذلك أنهم رووا أن المنازيّ قدم يوماً على أبي العلاء بالشام ، فوجده جالساً والناس يقرأون ، فأنشده مقطوعاً له ، فقال له وهو لا يعرفه : أنت أشْعَرُ مَنْ بالشام ، ثم مضى

على ذلك برهة من الزمن ، ثم اجتمع بـه في العـراق ، وهـو متصـدِّر في أحـد جوامـع بغداد للإقراء ، فأنشده مقطوعاً آخر ، فلما فرغ من إنشاده قال له : ومَنْ بالعراق .

فعطف جملةً على جملةٍ تخلّل بينهما ـ فيما يُقال ـ عدة سنوات .

## ٩ ـ ومن احتمال أبي العلاء للأذى :

خبر آخر للمنازيّ مع أبي العلاء ، نرى فيه المنازيّ مصدِّقاً ما أشيع ـ افتراءً وبهتاناً ـ من اتهام لأبي العلاء في عقيدته ، ونراه يَجْبَهُ الرجل بذلك ، وأبو العـلاء شـديد الاحتمـال للأذى ، صابرٌ ، ممسكٌ لسانَه عن الردِّ أو التعنيف لمهاجمه :

ذكر ابن خلكان أن المنازيّ اجتمع بأبي العلاء المعريّ بمعـرّة النعمـان ، فشـكا إليـه أبـو العلاء حاله ، وأنه منقطع عن الناس ، وهم يؤذونه ؛ فقال :

ما لهم ولك وقد تركت لهم الدنيا والآخرة !

فقال أبو العلاء : والآخرة أيضا ؟! وجعل يكررها ، ويتألم لذلك ، وأطـرق فلـم يكلمـه إلى أن قام .

## ١٠ ـ ومن بديع شعره :

أقتطف لك أبياتاً من ضاديته الرائعة التي نظمها في بغداد :

مِنكِ الصُّدُودُ ومنّي بالصدودِ رِضَى … من ذا عليَّ بهذا في هواكِ قَضَى

بي مِنكِ ما لو غدا بالشَّمسِ ما طَلَعَتْ … من الكآبةِ أو بالبَرقِ ما وَمَضَا

إذا الفتى ذمَّ عيشاً في شَبِيبَتِهِ … فما يقولُ إذا عَصرُ الشباب مَضَى

وقد تَعوَّضتُ مِنْ كلٍّ بِمُشْبِهِهِ … فما وَجَدْتُ لأيَّام الصِّبَا عِوَضَا

وقد غَرِضتُ من الدنيا فهَل زَمَني … مُعْطٍ حياتي لِغِرٍّ بَعْدُ ما غَرِضَا

جَرَّبْتُ دَهري وأهليه فما تركَتْ … لِيَ التجارِبُ في وُدِّ امرئٍ غَرَضَا

**١١ ـ ومن رائع مروياته :**

أبيات ذكرها في " الفصول والغايات " لدَرَّاج بن زُرْعَةَ الكلابيّ ، قال عنه :

كان حبسه الحجاج فمات في الحبس أو قُتِل ، وهو القائل :

إذا أمُّ سرياح غدَتْ في ظعائنٍ … جوالسَ نجداً فاضت العينُ تدمعُ
فأبلغْ بني عمروٍ إذا ما لقيتَهم … بآية كرّاتي إذا الخيلُ تُقدَعُ
فما القيدُ أبكاني ولا السجنُ شفّني … ولا أنني من رهبة الموت أجزَعُ
ولكنّ أقواماً ورائي أخافهُم … إذا متُّ أن يُعطوا الذي كُنتُ أمنعُ

**١٢ ـ بين سيبويه والأصمعي :**

روى ياقوت في " معجم الأدباء " عن أبي حاتم السجستاني أنه دخل على الأصمعي في مرضه الذي مات فيه ، فسأله في أمور ، ثم قال له : في نفسي شيء أريد أن أسألك عنه ، قال : سل . يقول أبو حاتم : فقلت : حدثني بما جرى بينك وبين سيبويه من المناظرة ، فقال :

" والله لولا أني لا أرجو الحياة من مرضي هذا ما حدثتك . إنه عُرِضَ عليّ شيءٌ من الأبيات التي وضعها سيبويه في كتابه ، ففسّرتها على خلاف ما فسّره . فبلغ ذلك سيبويه ، فبلغني أنه قال : لا ناظَرْتهُ إلاّ في المسجد الجامع . فصليتُ يوماً في الجامع ثم خرجتُ فتلقاني في المسجد ، فقال لي : اجلس يا أبا سعيد ، ما الذي أنكرتَ من بيت كذا ومن بيت كذا ؟ ولِمَ فسّرتَ على خلاف ما يجب ؟

فقلت له : ما فسّرتُ إلا على ما يجبُ ، والذي فَسَّرْتَهُ أنتَ ووضعتَه خطأ ، تسألني وأجيب . ورفعتُ صوتي ، فسمع العامة فصاحتي ونظروا إلى لكنته ، فقالوا : غلب الأصمعيُّ سيبويه . فسرّني ذلك . فقال لي :

إذا علمتَ أنتَ يا أصمعيُّ ما نزل بك منّي لم ألتفت إلى قول هؤلاء .
ونفض يده في وجهي ومضى . ثم قال الأصمعي :
يا بني ، فوا لله لقد نزل بي منه شيء وددت أني لم أتكلّم في شيءٍ من العلم !

**١٣ ـ غبـــاوة :**

ذكرتُ مراراً أمثلة من حسن التمثل بالشعر ، وهذا مثال فريد في سوء التمثل بالشعر . روى الحميدي في " جذوة المقتبس " أن أبا القاسم بن أبي بكر الزبيدي كتب كتابا إلى الوزير أبي عمر أحمد بن سعيد بن حزم يرغب فيه إليه أن يحسن العناية به في بعض الأمور وكتب في آخر الكتاب :

ومن نكد الدنيا على الحرّ أن يرى ... عدوّاً له ما من صداقته بدٌّ

فحوّل الوزير الكتاب ووقّع على ظهره ولم يزد :

ومن نكد الدنيا على الحرّ أن يرى ... صديقاً له ما من عداوته بدٌّ

**١٤ ـ الحكمة ضالّة المؤمن :**

وجدت في دعاءٍ لأعرابي ـ رواه الأصمعي ـ قوله :
" اللهم ، لا تُعْيِني في طلب ما لم تقدِّرْه لي ، وما قدَّرْتَه لي فيسِّرْه لي " .
فذكّرني بحكيم روماني اسمه " أبكتاتوس " ، قالوا : كان عبداً لصاحب الشرطة في روما على عهد الامبراطور نيرون في أواخر القرن الأول للمسيح ، وقد هاجر في آخر عمره إلى بلاد اليونان ، ومات فيها .
وكان أساس حكمته أن يميز الإنسان بين ما هو في مقدوره فيحتاط له ، وبين ما هو فوق مقدوره فيصبر عليه ويرضى به .

ومن أقواله : لا يكن حذرك إلا فيما هو في قدرتك ، وكن مطمئن البال فيما سواه .

قلت : وعلى أساس من حكمته - فيما يبدو - كان هذا الدعاء لأحد الغربيين :

" هبني - اللهم - الصبر والجلد لأرضى بما ليس منه بُدّ ،

وهبني - اللهم - الشجاعة والقوة لأغير ما تقوى على تغييره يد ،

وهبني - اللهم - السداد والحكمة لأميز بين هذا وذاك " .

## ١٥ - من لطيف المعاني الشعرية :

### أ - في الاعتذار عن كفّ البصر :

- جاء في " البيان والتبيين " : أنشد ابن الأعرابي :

إذا قيل : أعمى ، قلت : إنّ ، وربما ... أكون ، وإنّي من فتىً لبصيرُ
إذا أبصر القلبُ المروءةَ والتقى ... فإن عمى العينين ليس يضير
وإن العمى أجرٌ وذُخرٌ وعصمةٌ ... وإني إلى هذي الثلاث فقير

- وينسب إلى البارودي - وكفّ بصره في آخر عمره - :

إذا وسعَ الكونَ فكرُ امرىءٍ ... فلا بأس بالطَّرْفِ أن يُحْسَرا
على الشمسِ أن تهدي المبصرين ... وليس على الشمسِ أن تُبْصِرا

### ب - في مدح امرىءٍ وذمّ أخيه :

جاء في " الزاهر " لابن الأنباري : أنشدنا أبو العباس عن ابن الأعرابي :

داودُ محمودٌ وأنتَ مذمَّمٌ ... عجباً لذاك وأنتما من عُودِ
ولَرُبَّ عودٍ قد يُشَقُّ لمسجدٍ ... نصفاً وسائرُه لحشٍّ يهودِ

**١٦ ـ من تجارب الشعر الحديث :**

للشاعر عبداللطيف عبدالحليم :

يا دوحتي العذراءَ ، مالي سوى ظِلّكِ فيناناً ، وعطرٍ نفح
ورشفةٍ من نهركِ المشتهى وغبطةِ الطائرِ إمّا صدح
وغفوةِ الصّفصافِ إن قبّلت أطرافَه ماءَ الهوى أو سبح
لكنّما ـ يا دوحتي ـ عالمي يحرقُ فيه الحزنُ لونَ الفرح

**١٧ ـ قبل الختام :**

قال محمد بن وهيب الحميري ، شاعر مطبوع مكثر ، من شعراء الدولة العباسية :

أبى ليَ إغضاءُ الجفون على القذى يقيني ألاّ عُسرَ إلاّ سيُفرَجُ
ألا ربّما ضاق الفضاءُ بأهله وأمكنَ من بين الأسنّةِ مخرجُ

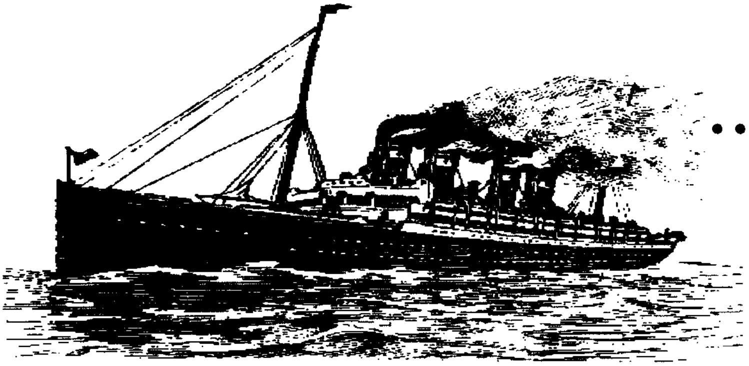
**١٨ ـ عود على بدء :**

قال الأصمعي : رأيت أعرابياً متعلقاً بأستار الكعبة ، رافعاً يديه إلى السماء ، وهو يقول : " ربِّ ، أتراك معذّبنا وتوحيدُك في قلوبنا ؟ وما إخالك تفعل ! ولئن فعلتَ لَتَجْمَعُنَا مع قوم طالما أبغضناهم لك " .

قال : ودعا أعرابي فقال :

" اللهم ، إنك آنَسُ المُؤْنِسِين لأوليائك ، وأحضرُهم للمتوكلين عليك ، وأنت شاهِدُهم والمطّلع على ضمائرهم . سِرِّي لك مكشوف ، وأنا إليك ملهوف ، إذا أوحشتني الغربةُ آنَسَنِي ذكرُك ، وإذا أكبّتْ عليّ الغمومُ لجأتُ إلى الاستجارة بك ، علْماً بأن أزمَّةَ الأمور كلّها بيدك ، ومصدرها عن قضائك ، فأقْلِلْنِي ( أقلّه : حمله ) إليك مغفوراً لي ، معصوماً بطاعتك بقيّة عمري ، يا أرحمَ الراحمين " .

# استطلاعات



## فرسان .. والتاريخ

اعداد : عبدالرحمن حامد القرني

# قلب اللؤلؤ وأصداف الشعر

# في جزيرة فرسان

# العُرس والصيف والرقص للحريد

# والأهازيج لطيور الغراب

فرسان لها جسارة البحر ..

ووداعة القصيدة ..

## * السيف والدلع أشهر رقصاتها *

***

استطلاع : عبدالرحمن حامد القرني

متى تعطني ياجاني النخـــل حصتي
فشوقي الى القصّـــام في النفس يستعـــــر
وشوقي الى صوت القمـاري يهزني
ويضفني على الصبح الضحوك رؤى السَّحَـر
مناي لك الايـــــام يحلو مدارها
وتحلو ليالي العمر في طّيـــــب السَّمـــــر
ويحلو مقيل الظهـر في كل منــزل
وفي كل عام موســـم الحــــب يزدهـر

***

يستوطن الانسان الأرض .. فيخلـف فيهـا آثـاره الـتي تعـاند الزمـن .. والاندثـار .. ويخلف فيها عاداته .. وتقاليده .. واعرافـه الـتي تنظـم مـن خلالهـا .. مجمـوع علاقاتـه وارتباطاته الانسانية والأجتماعية .

ولكن هذه التقاليد لم ترتهن ابداً لتنظيم علاقات النـاس .. اليوميـة بـل امتـدت لكي تكون احتفالاً .. واحتفاء بكل الاشياء والظواهر .. التي تعبّر عن حياة الانسان .. وتتقاطع معه .

و ( فرسان ) المحـاصرة بالمـاء مـن جميـع الجهـات .. لم تقـع في مـأزق الغربـة .. واحتمالاتها .. ولم يرض اهلها ان يبقوا ذاكرة رواية لتاريخ المـاء المـالح فقـط .. ولكـن عاشـوا حيـاتهم كمـا يعيـش اي انسـان .. وخلفـوا اثـــارهم المعماريـة .. وتقـاليدهم الأحتفالية ..

ومن هذه التقاليد .. التي عبرت مدار الحياة في فرسان احتفالهم باستقبال طيور الغرب التي تأتي موسمياً من شرق وغرب اوروبا ..

وحول الطقوس التي تقام احتفالاً بهذا القادم التقينا .. بأحد أبناء فرسان **العم يحي بن صالح .. الذي تحدث قائلاً :**

من العادات المشتركة بين جزيرتي (فرسان ) و ( السقيد ) أحتفاء اهلها بقدوم الطيور المهاجرة في شهري ابريل ومايو من كل عام .. ففي هذه الفترة يستقبلون اعداداً كبيرة من الطيور التي تفد من اماكن بعيدة وخاصة من دول اوروبا الشرقية والغربية ..

ويستطرد العم يحي قائلاً :

وفي هذا الموسم الذي تفد علينا فيه طيور الغرب .. يعود اهالي فرسان الغائبون عنها .. ليشاركوا اسرهم واهاليهم .. أفراحهم .. والعابهم المتميزة .. والخاصة بهذه الفترة الموسمية من كل عام .. فينشدون الاشعار ويقدمون الرقصات الصاخبة عند صيد اول طائر من ( الجراجيح ) أو ( الاكحل ) .. ومن اغانيهم الشعبية المشهورة في هذه المناسبة :

اكحـــل قال يعقوبي
شلـوبي .. وحطوبي
في الســطح تهندبي
ما أســوي بروحي
اكحل جيت لك عاني
قد تــركت خلاني
وأنـتما تهــنيني
ما اسوي بــروحي

وبعد هذه الاحتفالية البهية ... بالأناشيد احتفاءً بقدوم طيور الغرب .. واصل العم يحي حديثه معنا وقال :

عادات وتقاليد جزيرة فرسان .. هناك في فرسان وخاصة على سواحلها مناسبات عديدة لازالت موجودة حتى يومنا هذا .. فهناك مثلاً موسم ( الحريد ) .. والحريد نوع من الاسماك يحتفل الفرسانيون بقدومه السنوي ..

وعن هذه المناسبة يقول :

إن أسماك الحريد مهاجرة .. وقدومها يتزامن مع قدوم الطيور فكلها تأتي في شهري ابريل ومايو من كل عام .. وهذا السمك لايظهر في كل السواحل المحيطة بجزيرة فرسان .. ولكنه عادة ما يظهر في الشواطيء ذات المياة الضحلة الهادئه .. ويخرج في مكان يدعى ساحل ( القبر ) ومن الغريب جداً ان هذا السمك لايظهر الا فترة واحدة كل عام ... تمتد هذه الفترة من ثلاثة ايام الى سبعة تبدأ من صباح اليوم الخامس عشر او السادس عشر من الشهر القمري وتمتد حتى العشرين او الثاني والعشرين منه .

فاذا ظهر في جمادي الآخرة مثلاً .. فان ظهوره في هذا الشهر يستمر ثلاثة ايام .. أما في السنة الرابعة فسوف يظهر في شهر رجب ويظهر في الصباح ومن النادر جداً .. خروجه الى الشاطيء بعد الظهر ..

وعن الطريقة التي يحتفل بها اهل الجزيرة بهذه المناسبة يستطرد قائلاً :

وتبدأ الاستعدادات لاستقبال ( سمك الحريد ) .. وكان بعض الشبان قبل ظهور السيارات يعتنون بتربية الجمال .. التي يمتطونها في الذهاب الى منطقة الحريد .. والغالبية من الشبان يركزون عنايتهم على تربية الحمير ويقومون بتغذيتها تغذية جيدة .. ويضعون لها العصائب المزركشة لوضعها على رؤوسها كما تعلق في اعناقها أجراس

صغيرة تبعث انغاماً موسيقية اثناء الركض لان ساحة العودة تتحول الى سباق بينهم ليزف الاول البشرى الى اهل البلد بظهور سمك الحريد .. ويرفع يديه حاملاً سمكتين كبرهان على صحة قوله .. ومن المظاهر المألوفة في موسم الحريد اقامة الاحتفالات الشعبية في بيوت العرائس من النساء اللاتي تم زوجهن في نفس العام .

وعلى اعتبار ان هذا الموسم الاول من عمر الزواج ويقوم شعراء الجزيرة الشعبيون بنظم شعر تتغنى به النساء في بيوت العرائس :

ومن هذه الاشعار :

قال المغنى الحريد وقت جاني
يازين هات لي المعاني
حسبت له ذا الشهر وقالوا الثاني
وحي الغيد قد شجاني
بالله عليك ياحريد لاتنساني
يكفي الذي اعاني

***

من هذه الجزيرة الموسومة بالنخل والساحل وصوت الدان .. انبعثت اصوات عديدة صاغت المواويل والاغنيات وأسرجت ليالي القرى وسواحل الجزر بعناقيد الكلام من خلال المواسم المتعددة التي أوجدتها طبيعة الحياة وظروف المكان .. إذ لم يكن بوسع الانسان إلا ان يغني وينشد ويرقص ويحاكي البحر والنخل والنورس ، فمن خلال الكلمة تنفس الانسان في فرسان فالشعر هو نبض الانسان الفرساني وصوته في البحر يخرج ويكدح ويغني .. برغم ذلك التعب .. يشدو للريح للنخل ـ للساحل :

ياعـــــذب ما هــــذا بكفــــك
قل لي أختـــضب مـــــن شي كفيتُه
وعاد نقشه في السواعد من شى كفيتها
لما البكا
ياطرف عيني غشيتها
مـــــن شي كفيته
واجفانها تنثر هدبها من شيء كفيتها

هذه الصور وهذه المفردات ذات التراكيب العجيب لشاعر أميٍّ يدعى ( عمر عيسى ـ رحمه الله ) تجسدها صور أخرى مع البحر وطيف احلامه من خلال مفرادات ذات مصطلحات بحرية هي دلالات رمزية لها ابعادها حيث يوظف الشاعر بعض المسميات البحريه في المقطوعة الاتية والتي تعكس ارتباط الشاعر بالبحر ومدى تأثره به حتى في لحظات البوح والمناجاة .

شفت (جلبه) (عرى) على ( الحسمه ) وعودّ ( فسك)
ينظـــم له الحســـك من الفـــضة النقية العجيب
يابـــو الثـــلاث المسك حاشا على الفسل مايلمسك
شيمنى مكعســـك عســى الله روحي الشقية تطيب

فمن رحم المعاناة ولد شعرنا الشعبي .. ومنها انطلق الشاعر في فضاء لغته مجسداً أروع القصائد وأنبل العطاء .

والظرف الجغرافي الذي يسور فرسان ساهم في خلق شعر شعبي مميز وعادات وتقاليد منفردة .. ومن الاشعار التي تنفرد بها فرسان ايقاعاً وانشاداً ( الدانة ) وهي من الألوان البحرية التي تحتوي على عشرات المطالع .. وكان الشعراء السابقون يقومون

بتوليف المطالع سواء في الدانة أو الزيفة .. إلا ان الواقع في مرحلتنا الراهنة وظروف الحياة ومتطلبات المدينة الحديثة والتقاليد ويظل عامل احياء التراث مسؤولية وطنية تقع على عاتق المثقفين والمؤسسات التعليمية والاجتماعية والاندية .. ومن الشعراء الذين حاولوا صياغة بعض الألأوان الشعبية وتطوير قوالبها الغنية الشاعر الراحل ( ابكر عقيلي ) والذي شكل البحر لغته وهاجسه ومعظم قصائده كانت تحمل رائحة البحر وبياض السواحل واصوات النوارس وهذا ماعبر عنه في ديوانه صور على الساحل والذي صدر كذلك الشاعر ( عبدا لله محمد الفرساني ) والذي تدثرت قصائده بشراشف ليالى القرى حيث الغربه عن المكان وديار النخل وليالي الدان هي ما مثلته تجربته الشعرية وهناك اصوات أخرى قادمة .. مدني حينشي وعمر عقيلي وآخرون ..

بصمة البحار للشاعر ابكر عقيلي ( رحمه ا لله ) :

| | |
|---|---|
| حبيناك ومن أجلك تغنينا | وعشنا داخلك نبحث عن المحار |
| أسأل عن مراكبنا وماضينا | تلقى فوق موجك بصمة البحار |
| من فوت المدى عمقك ينادينا | غدار يابحر في قسوتك غدار |
| نعشق ساحلك رغم الذي فينا | وكم ليلة على شانك فرقنا الدار |
| ارتحنا كثير منك وعانينا | ونتناسى عذابك ساعة الإبحار |
| وإن عدنا من الفرحة على المينا | نتلاقى لقا عمره أبد ماصار |

هذه هي بصمات العقيلي وهذه هي ألونه .. التي تعبر عن صدق معاناته من خلال تجربته ومعايشة واقع الحياة والموت في اعماق البحار حيث البحث عن المكنون والصراع مع اسماك القرش من مكابدات الشاعر اليومية في مرحلة شبابة ومن

هذا الواقع شكل الشاعر مع البحر علاقة حميمة قرأناها في معظم قصائده وبرحيل الشاعر عن عالمنا الحياتي فقدنا ديوان شعرنا الشعبي وتراث رقصاتنا الشعبية .. وكثير هم الشعراء الذين سجلوا هذه الملامح الحياتية في ابداعاتهم الشعرية .

إن جيت باغـــوص
لقيت في البحر فانوس
هذي عطيـــة من ا لله
وإن جيـــت بـــادي
لقيت ابـــوخذ نادي
جعـــــده ســـوادي
نازل من المشرجيـــة
هـــذي عطية من ا لله

هذا هو البحر بملاحه التأثيرية على وجدان الانسان الفرساني .. رسم منه عالمه وحـدود لغته واسراج لياليه بقناديل الكلام واخترق سكونه بالطبل والموالد .. شكل منه تفاصيل حياته .. واقتحم من خلاله مسالك أخرى .. سافر وغاب وعاد برزافد ثقافية نمى من خلالها محيط ثقافته الشعبية .. ولم تزل الذاكرة الخضراء التي تختزن الحب والذكريات البيضاء شاهدة على تلك المآثر الماضوية والتحولات في واقعنا الذي تجاهلنا فيه إخضرار هذه الذاكرة والتي ستستحل في يوم ما .. الى يباس ..

وفرسان مكتنزة بالواسم المختلفة ولكل موسم طقوسه وانثيالاتـه واشتعالاته ومن الملامح الاجتماعية التي طمسها زخم الحياة المعاصرة ( الليـالي العتامى ) تلك الليالي الماضوية التي كانت تشهد تجمع النساء في منزل إحدى الصديقات وفي ساحة القبل المفروش بالبطاح المتلالىء من ضوء القمر الساقط على اقمار المكان تتـــنزه الأنامل

الصغيرة بين الخيط والإبرة يرسمن سفينة وشراعاً وأخريات ينقلن عبارات مكتوبه على ورق أبيض ( الصبر جميل ـ القلب يعشق كل جميل ـ الحب عذاب ) بنقلنها لعدم اجادتهن للكتابه والقراءة ويضعن الطاقيات الجميلة والتي يتباهى بلبسها الشباب وأخريات يضعن الزنابيل المزركشة والقفاف الجميلة والمكاحل .. كل هذه الملامح اطفأتها اضوء المدينة .. ولكن الشاعر ابراهيم مفتاح اضاء لنا ليلها من خلال هذا النص الذي يعبر عن تداعيات الشاعر لمرحلة ارتبطت بواقع الذكريات المسكونة في أعماقه ..

شوقتني ياليل شوق العتامى .. اللي على الفانوس كانوا يعيدون
واتعبتني يابو حلايا وشامه .. وابو عيون في بحرها يغرق النون
من فرحتي ماشى عليّه ملامه .. لو بحت باللي بيننا صار مكنون
شوقي إليك شوق الشجر للغمامه .. ساعة مطر تنثر على القلب ضنون
تجي بوادي الروح نبتة خزامي .. وتشعل ثواني الوقت آهات وشجون
عشقت فيك الخوف عقب إبتسامه .. كان إحتمالي للفرح فيك مجنون

ومن الليل المقيم في النفوس بهدوئه وسكونه إلى الصباح البهي في سماء القرى والجزر التي تغرس في فضاء سماء اتها نوارس البحار وطيور الوادي حيث تدب الحركة في كل منزل وشارع وزقاق ..

وعلى مشارف القرية حيث الآبار التي تعج بزحمة الباحثين عن الماء .. أحواض حجرية منحوتة بجوار الآبار ملأ بالمياه وقطعان الاغنام تتوارد وأخريات يأتين من مكان قريب يحملن القرب ويبعن الحليب والبيض .. هتافات وصياح السقائين وثغاء الشياه تدعو الناس الى التفاؤل .. الحركة دائبة والاطفال مشغولون (بالتحنيب ) لطيور أبو ( زنقعة ) ولحمل أبو حيل ..

الأمهات يكنسن الشوارع .. وما جاورهن من بيوت الله .. وانتشار الدخان من كل منزل ظاهرة صباحية اعتاد عليها كل بيت في جزيرة فرسان .. الزيارات الصباحية بين الجيران وأكل البلح والتمر وشرب القهوة واجب يومي ..

الإنتظار وتأمل عودة الغائب الحبيب هو الحلم الذي تترقبه نساء ذلك الزمن الغض .. والوحدة والفراق وتحمل المسؤولية في غياب سيد الدار دفعتها الى المناجاة والتعبير عنها في لحظات القيلولة بمنظومة ابداعية تسكب فيها أشواقها وتصبها في كؤوس الانتظار بصوت عذب يتعثر من خلاله غيم وحدتها وبركات الظمأ الخامد في غرفتها حيث تقول إحداهن .. وتناجي زوجها الغائب الذي يعد مع العائدين :

يومي على ( المشرف ) ومطالعالك .. حتى طلوع اللوالين والقلق بان

كل ( السواعي ) روحن وانت مالك .. كنك ( مطاوع شور ) بحري وربان

وأخريات حينما يفوح عطر البحر في الضحى .. تندلع التأوهات من الصدور وتتفجر بأنغام شجية تسكر سامعيها حينما يهزهن الشوق للأب أو الزوج أو الأخ عبر هذه النسمات المنبعثة من البحر برائحتها المميزة والتي حرضتها على التذكر والمناجاة بمواويل التدريه :

| | |
|---|---|
| والى بيادوه | والي بسيدي |
| فين بك اليوم | في الحر والحوم |
| في ظلة الدوم | والي بيادوه |
| درهت ما أقول | بصافي اللّول |
| بسيف سلول | والي بيادوه |
| واعتي ركاية | من هو معايه |

يحمـــي حمـــــاية | والي بيــــــــادوه
ربـــــان بلا ذوق | مايدخلـــه شـــــوق
للعـــقد والطـوق | والي بيــــــــادوه
قلبي مسمســـم | يامن شـــــــلاه دم
درهت باثنــــين | النون والعـــــين
قمر ونجمـــــين | والي بيــــــــادوه
درهت باثنــــين | رموش وجفـــــين
واحد مـــــرايـــه | وواحد كحـــل عــين

وأمام هذه اللغة التي تعبر عـن صـدق الاحسـاس المتقـد في النفـوس يتسـاءل اهالي فرسان ..

أين هم من ليالي شعبان وأمسيات ونهارات الشـدّة .. أيـن هـم مـن كـؤوس المراشة .. وأين هم من تلك الفعاليات التي كانت تعبر عن ارتباط الإنسان .. الإنسـان بالمكـان ـ الانسـان بالزمـان انـا شـد فتيـاتهم وفتيـانهم الى احيـاء تلــك الأماسـي والاستعانه بذوي الخـبرات ومحاولـة اسـتنطاق المـاضي مـن خـلال الاشـعار والمـوروث الشعبي بعيداً عن مساحيق العصر وبهرجة الحاضر والتقليد الزائف وامام هذا النسـيان أو التناسي يصرخ الشاعر ابكر عقيلي ويثير الذكريات ..

فيقول :

هليت ياشهر الهنا والتسالـــــي | وأرى الصبايا كلهـــم يلعبون لك
غنوا على شأنك وسهروا الليالـي | من قبل ماياجي رجب يحسبون لك
ويحضروا لك الطيب من كل غالي | من كل حارة فايته يعتنــــون لك
يرشوشون الطيب فوق الـــدلال | وقبل ياجي موعدك يعكـــرون لك
جارة مع جارة تنـادي تعالـــــي | فرحون ياشهـــــــر لاعاد حلك

ثم يفجر الشاعر ابراهيم مفتاح معاناته في تساؤل حزين رداً على بكر عقيلي عما افضت اليه الرحلة ومؤثراتها على محيط الذاكرة التي حبلت بالكثير من المشاهد في زمن الخوف والجنون في زمن المستحدثات العصرية والشهادات العلمية ..

فيقول :

| | |
|---|---|
| ماللبنات يا ابكر عن اللعب يقنون | ويعايبون اللـــــي تجي للملاعـب |
| لاعاد به مغنى ولاهم يصــــــفون | ولانرى عـــــكراتهم والعصايـب |
| راحو الذي من اجل شعبان يغنون | ويجي لهـــم من سفرته كل غايـب |
| ولاسرى بدره مع اللـعب يسرون | من مطلعه حتـــــى يميل للمغايـب |
| شعبان كانوا له الصبايا ينوبـــون | واليوم ذي تضحك وهذي تعايـب |
| عيب يابنات عاداتكـم لو تردون | ترجع لياليـــــنا بها الأنس طايب |
| فين الخضاب واقـدامكم يوم تحنون | وروايح اللطـــياب وسط المطايب |
| وفين سحر العين والكحل في النون | وإلا الزمام اللي على الأنف ذايب |

## آثار .. وشعر .. ورقص في فرسان

أما فنون فرسان فمتعددة الصنوف والانواع منها السيف أو السيفي والعرضـة وهما رقصتـان بـدون أناشيد ، وفي حـين هنـاك رقصـات يصاحبهـا الغنـاء مـع دق الطبول ( الزير أ, الزلفة أو الصفحة ) مثـل : الدلـع ، والزامـل ، والدانـة .. فأهـالي جزيرة فرسان لهم ألعاب ورقصات شعبية رائعة يؤدونها أفراداً أو جماعة ، وربما يرجـع هـذا التراث الشعبي إلى طبيعـة الجزيـرة البحريـة ، ولما للبحر من جمال خلاب ومشاعر

حساسة .. فمعظم أهالي فرسان يتغنون بالشعر الشعبي في المناسبات .. خاصة الأعياد والزواج والختان ..

ومن هذه الألوان نذكر على سبيل المثال مايلي :

**السيف :**

السيف رقصة معروفة في جنوب المملكة وعلى مستوى منطقة جيزان ، وهي رقصة بدون نشيد يغني فيها ، اذ انها رقصة خالصة تؤدي على ايقاعات الزير والزلفة ، حيث ينزل الساحة رجلان يواجه كل منهما الآخر ، وقد حمل في يده سيفاً ، ومن هنا جاءت التسمية ، ويجوز ان يحمل كلاهما عصا من الخيزران .

وتقام هذه الرقصة في بداية كل المناسبات كالزواج والختان والأعياد ، وهي (دقة) لتجميع الناس ، حيث يدرك اهل القرية ان المناسبة قد أوشكت على البدء فيخرجون من بيوتهم ملبين دعوة صاحبها ومشاركته الفرح والسرور .

**الزيفة :**

وهذه من ضمن الرقصات التي يؤديها سكان جزيرة فرسان ، وتمتاز بالإيقاع الهادىء ، وتؤدى جماعة ، وتتكون من صفين من الرجال ، وأيضاً من مقطعين من الغناء ، حيث يتوسط الصفين ( الدقاقون ) الذين يدقون الطبول ، ومن ثم ينشد الأبيات أولاً في الصف الأول ، وثانياً في الصف الثاني ، وبعد ذلك تدق الطبول وتقام عملية الرقص .

ومن الأبيات الغنائية التي تنشد في هذه الرقصة نذكر منها على سبيل المثال :

(١) أنا لارميت الصيد ولأخطي ولو غيري عليه قد رمى
رماية على الكتفين ويقرها الكبدة علـــــى الماء إلي
(٢) ترى صانعك يالبن إذا ركب الدلة على قدمـــــاء
ويبكي لها الولهان إذا شافت القيمة على ماء غلـــي

**الدلع :**

وتأتي هذه الرقصة بعد السيف ، وفيها يقف الشاعر الذي جاء بين أهل القريـة الذين يقفون صفاً واحـداً فيلفتهـم بـالدلع ، وهـو أمنيـات بالسـلام لصـاحب المناسـبة ومدح له ولأبناء القرية ، وهذا نموذج للشاعر عمر عيسى حسن :

سلام يادار بني بالجود ساسها
العز والناموس قدرها وقاسها
واعلى لها السقوف وحـــط
للتيمة مسالك في رجـــالها

وهذه أبيات شعرية تقال في البدع والرد وهي بمثابة التحية والرد عليها بالشعر الشعبي :

بدع :

سلام لايحسب ويتغالط محاسبـــــــــــــة
رأس القلم قد زارع وأتعب يد كاتبه مـــن
كثر ماحسب للابه قد زاع ساقي في ظلابها

الرد :

مرحبي ترحيب من لستي بلا حســـــاب
عد ماهل المطر وجاد به السحاب وسال
سايلبة للابه ياكم تمنينا التي بهــــــــا

والدلع رقصة حماسية ، وكان القدماء يعدونها نشيداً جريئاً أيام تناحر القبائل قبل أن يوحد الملك المؤسس عبدالعزيز طيب الله ثراه المملكة ، ولم أجد لتسمية الرقصة بـ (الدلع) سبباً إلا أن الاسم مأخوذ من (الاندلاع) أو (الاندفاع) في اتجاه معين وأرجو أن أكون مصيباً .

**الزامل :**

وهي رقصة شعبية تؤدي جماعة وتمتاز بالإيقاع الهادىء ، وتتكون من صفين من الأشخاص ، وأيضاً من مقطعين من الأبيات الشعبية يقول الشاعر المقطع الأول للصف الأول ، وكذلك المقطع الثاني للصف الثاني ..

وتؤدي هذه الرقصة في المناسبات كالأعياد والزواج والختان أيضاً يؤديها الناس الذين يعملون في الغوص في البحر ، وهي بمثابة ترفيه وتسلية من عناء التعب الذي يلاقينه ( الغواصه ) ..

ويعرف هذا اللون في مناطق عسير والحجاز كزهران وغامد ، وينقسم في جزيرة فرسان الى قسمين :

**الأول : بحري** **والثاني : بري**

وإن كان القسمان يتشابهان في الأداء فهما يختلفان بعض الشيء في المضمون .

ففي البحر يسخرون (الزامل) في مدح السواعي وأهلها وصفاتها ، حيث كانت مهنة الغوص منتشرة آنذاك ، وكان من الطبيعي أن يحدث تنافس شريف بين أصحاب السواعي للحصول على لقب الفوز ، وهو مايسمى في لغة البحارة (الكوفية) وكان التجار يقفون صفين حول الساعية وفي الوسط الزير والزلفة ، ويلقي الشاعر الوقوف كلمات شعرية يمدح فيها الساعية التي يوجد فيها ويهجو المنافسة ويكثر من عيوبها ، وهنا يمدح الشاعر ساعيته التي اختار لها اسم النصر :

بو نصور كالسبع في سود الليالي    بايت الرعيان ياخذ الكبش المربى

مايفرق بت عن رعيانه ياخذ المروط والسبله    ويترك باقي اللحم

والقسم الآخر : من (الزامل) : البري ، فيقام في مناسبات الزواج والختان والأفراح ، ومثلما يشير اسمه فهو يكون في البر ، و (الزامل) منه السلام على أصحاب المناسبة والحاضرين ومدح أصحاب الشيم ، ويقام بواسطة صفين من الرجال يصاحبها الزير والزلفة حيث يقف الشاعر في الوسط ويعطي لكل صف (شلة) قصيرة أي أغنية ، وبعد انتهاء المناسبة يكثر الشاعر مع رفاقه الخير لصاحب الدعوة كأن يقول : كثر ا لله خيركم بالابه المعروف .

**الدانة :**

أما رقصة (الدانة) فهي الرقصة الشعبية الأثيرة لدي أبناء فرسان ، وهي لاتوجد إلا عندهم ، فليست بقية أرجاء المملكة لذا يطلق عليها (الفرساني) وفيها يقف الراقصون صفاً واحداً ويلقن الشاعر الواقفين ثلاثة أبيات من قصيدته التي تتكون من سته أبيات ، وبعد أن تنتهي المجموعة من حفظ أبياتها يردد الشاعر الأبيات الثلاثة الأخرى ..

و(الدانة) رقصة ليلية تقام في أمسيات الصيف حيث الليالي المقمرة ، وتقام في المناسبات وفي غير المناسبات معاً .

## عادات .. وأساطير

هناك جبال يسمونها ( المغوي ) يعتقدون أن من ذهب إليها فإن مصيره المحتوم هو الضياع وعدم العودة إلى فرسان فحسب بل إلى الحياة .

وهم يروون لك قصصاً ، وحكاياتِ الغريبة فالتائه في هذه الجبال كلما صعد أكمة رأى فرسان ثم ينزل منها ليقع مرة أخرى فريسة للضياع ، ثم يجهد نفسه خلال بحثه ومحاولاته حتى يموت عطشاً وتعباً .

وقد سموها بالمغوي لاعتقادهم أيضاً أن هناك نجماً يلوح أمام السائر لغوايته فتضل منه الطريق .. فهو يوهمه أنه قريب من جزيرة مأهولة ، أو قرية فيسير خلفه من مكان إلى آخر حتى يصبح عاجزاً عن معرفة المكان الذي هو فيه ، وعندها لايعرف الشرق من الغرب .. وهذا النجم يظهر في الأفق ليلاً كبصيص النور .

وهناك من القصص التي تروى أن شاباً يدعى (محمد أحمد عقيلي) ظل تائهاً مدة أربعة أيام ، وكان قد ذهب ليحتطب، واستمر البحث عنه ولولا أن الشاب كان يحمل معه بعضاً من الطعام، وقليلاً من الماء تحكم في استعمالها لكان الآن في العالم الآخر .

وهناك امرأة عجوز تدعى ( فاطمة بنت عبدا لله بن علي ) تاهت في الطريق وكانت ذاهبة من قرية القصار إلى فرسان ، واستمرت مدة أسبوع كامل ، ولولا إرادة ا لله شاءت أن يكون هذا الحادث في موسم الأمطار ، وشاءت العناية أيضاً أن يكون معها كمية من التمر ، لولا هذه العوامل لذهبت حياتها .

وفتاة تدعى ( حليمــة أحمـد عبـدا لله ) تـاهت بـين الجبـال وقـد كـانت برفقـة والديها اللذين أضناهما البحث مع العديد من الناس ولكن دون جدوى ، ومن المعتقـد أنها ماتت ، ولكثرة التعاريج والزوايا بين الجبال لم يعثر عليها .

وهذا النجم في أيام الخريف يجعل الإنسان يتوهم أنـه بـالقرب مـن القريـة الـتي يريدها فيظل ماشياً طول ليله دون الوصول إلى نتيجة ، وقد وقع الكثير من المواطنين في شرك هذه الأنوار المتحركة حتى ظن معظمهم أن تلك الأنوار ماهي إلا شياطين تحـاول إضلال الناس ، وهذا هو أغلب الظن عند الفرسانيين .

ولأن هذه الأنوار المتحركة لاتظهـر إلا في فصـل معـين مـن السـنة ، فإنـه مـن المعتقد عند الباحثين أنها نوع من الحشرات الطائرة تحمـل في أجسـامها كميـات وفـيرة من مادة ( الفوسفور ) وعلى أية حـال فهـذا موضـوع علمـي جديـر بالاهتمـام .. أمـا الأساطير فأعتقد أن كل أمة لها أساطيرها ، وعاداتها وخرافاتها .

**إن غصت في أعماقهـا كـان اللـؤلـؤ والصـدف والمحـار ، وإن هبطت قلبها وجدت الشعراء في الشرايين والأوردة ، إنهـا فرسـان الجزيرة التي تنام في حضن البحر وتصحـو علـى شـدوه ، والـتي تجيد ترويضه إن كشّر لها عن أيابه فهاج أو صخب ..**

**ومثلمـا تشـتهر فرسـان بثرواتهـا البحريـة تزهـو بأبنائهـا الشعراء فمنهم القدمـاء مثـل : العبـيري ، والسـلامي ، والمولـد ، وبلغيث .**

## الهوامش :

(١) ياقوت الحموي في كتابه ( معجم البلدان ) .
(٢) الجوهري ، محمد ، الأنثروبولوجيا ، الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ
(٣) كتاب ( عالم البحار ـ الجزر ، الأسماك ، الطيور ) تأليف العقيد صالح بن محمد ابن مشيلح الحربي ـ إصدار نادي جدة الأدبي ـ الطبعة الأولى .
(٤) محمد العقيلي ( المخلاف السليماني في التاريخ ) .
(٥) محمد العقيلي ( المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ـ مقاطعة جازان ) .
(٦) مجلة الفيصل .
(٧) جزيرة فرسان (دراسة تاريخية ) للطلاب عادل وأحمد وصالح ورمزي لنيل درجة البكالوريوس في التربية والآداب بقسم التاريخ بأبها .
(٨) ماجد عبدا لله العلواني ( جزيرة فرسان في القرن الرابع عشر الهجري ) .
(٩) جريدة البلاد عدد (٢٠٥٥) الصادر في ١٣٨٥/٧/١٢هـ

# سنابل

بـادر ملـف إبداعـي
ثقافي .. ونحـن نستقبل
ابداعـاتكم الشـعرية
والقصصيـة والثقافيـة
لنشرها بهـذا البـاب ..
فهي منكم واليكم

# إبـــاء

**بدر بن عمر المطيري**

هيَ الأيامُ يا صاحـــي
تُلَبِّد صَحْوَ أفراحـــي
تحطِّم كأسَ عافيـــتي
وتَنْثرُ في يدي رَاحـــي
تمرُّ ظلالُهَا وَهْمَـــاً
بحسٍ جدٍ لّمــــاح
ويَعْبر رَكْبها وقـــداً
بِجسمٍ غير مُرْتـــاح
وَعُمْري كلُّما انطلقـــا
رَمتْهُ بدرب أتراحـــي
فما تَنْفَكّ تفجؤنـــي
بهمٍ غيرمُنْـــــزاح
وما تَنْفَكُّ تخنقـــني
بأغْلاَل الأسى الماحـــي
هِيَ الأيّام ثائِـــرةٌ
على إطْفَاءِ مصْباحـــي
على أني وفي روحـــي
إباءٌ شامخٌ صَاحـــي

سأشدو رُغْم أحزانـــــي
كطير الرَّوضِ مِمْــــرَاح
وأهْدي الكَوْن قافيــــةً
تحطِّمُ كلَّ سَفّـــــاحِ
فتَنْمُو زهرةُ العَـــدْل
بعطْرٍ جدٌّ فــــوَّاح
ويغدُو عاشِقُ الظُلْـــم
ذليلاً نَهْبَ أتْـــرَاح
وربِّي .. وهْوَ ملتجئـــي
سيُشعِلُ نجمَ إصبْاحـــي
يقينٌ غير ذي عــــوَجِ
وحبٌّ غيرُ مُلْتَـــاح !

# رسالة إلى جيلي

سعيد محمد حمره

إنني من دبّ فيه اليأس يوماً
صدقوني يا رفاقي كنتُ بوما!
أيُّ يومٍ نحو باب البؤس أومى ؟
إنّ قومي وحّدوني والنجوما

في طريق العز وحدي      قد رأتني أنجما
بين همس الأمس سيري      كان ليثا ضرغما
واسمحي لي يا بلادي      إن أنادى أبكما
هل يجيد الحرف نطقاً      مَنْ يغنّي أشرما ؟
يا طريق القدس جمر      في ضميري أضرما
كيف صرنا في انثناء      والمعادي أمّما ؟
من بقايا الأمس نور      صار قلبي مظلما
صار غيري يا حجايا      صار دونا أحلما
حين يعفو عن قصوري      كان ذلاً علقما
كيف تخبو في ضياءٍ      كيف تقصي المسلما
أين نور المؤمنين      أين نهج أحكما ؟
اتركوني في خنوعي      في وئام أسلما!!
كيف دبّ اليأس فينا      قد تبعنا الدرهما
قد نغني المجد لحناً      حين آتي محرما

أو شهيداً فوق غيـــم    في عروج للسمــــــا
قد يعود المجدُ فينــــا    يا رفاقي ربمـــــــا
واسمعوني يا رفاقــــي    لست غرا تمتمــــــا
يا بلادي ما دهــــاكِ    صرت رسماً رُسُمــــا
والأعادي من بنينــــا    لن يذيب الصخرمــــا
يا بلادي قد وهبــــت    لن أكون الأكرمــــا
من يريد الهدم فيـــك    قد يساوى مجرمــــا
قد حفظنا مسجديْنـــا    كان ديني المغنمــــا
فاتركوا درباً شقيـــاً    قد حضرت المأتمــــا
يا بنينا والأعــــادي    كان دربي أعظمــــا
أيُّ سقط من عدانــــا    في وحول بينمــــا
منتن الأطراف غــــثٌ    من يباري الأنجمــــا
في ازدراء الدون تبقــى    من يكون الأعلمــــا ؟
يا بلادي من كتـاب ا لله    نهج محكمــــــــا
حين كان الدّين دربــي    فالمعادي أسلمـــــا
يا بلادي الأمَّ ابـــــن    حين جاء سَلّمـــــا
أم منادِ بانفجــــــار    والشظايا والدمــــا
ساعدوني يا رفاقـــــي    سوف نحمي ذا الحمــى
من يريد العزَّ نهجـــاً    نحو قومي يَمّمـــــا
سوف نجني المجدَ حقــاً    يا رفاقي إنّمــــــا:
أحسنوا في ا لله ظنّـــاً    كانّ وردي نُوّمــــا

وثقوا في النفس علمـــاً في بلاد الانتمـــــــا
واجتهاد المرء كــــافٍ قد رقينا السلّمــــــا
في بلادي الأمـــن روض قد سمعـــت الأبكمـــا
ثمّ جاء الفذ ليـــــثٌ يا بلادي قادمـــــــا
من كتاب ا لله نهجــــاً كان غيثاً قد همـــى
ورث الأمجاد عـــزاً من قديم أقدمـــــــا
خادم البيتين فينـــــا سوف يبقى الحاكمـــا
رافعاً في العز رأســـاً ليس يهوي من سمـــا
في كتاب الفخر نقـــش اسم فهدٍ وسُمـــــا
يا وليَّ العهد صنتـــم عهد فهد ضيغمـــــا
في بلادي لانضـــــام يا نظاماً نظمــــــا
إنّ عـــزّى فـــي بـلادي وأسألوها الأنجمـــــا
إن شعري في يميـــــني سوف يبقى خاتمـــــا

# مثل وردة

حسن عمر أبو راسين

جرأة مفجوعة
ألف كلمة ..
في يراعي ، في مدادي غارقة
كلما حاولت أن أنثرها
كالأحاسيس .. على جفن الورق
تتهاوى في ضلوعي باكية

* * *

في يراعي ، في حروفي
ألف جُرأة
غير أن القلب خائف
ربّما أنكأ بعضي بنصالي

* * *

ألف وردة
حصدتها أنّتي
فتهاوت في جبين الغانية
وأدتها في الجدايل
ما بقى إلا شذاها
في جلابيب الليالي الماجنة

سترانا ذات يومٍ مثل وردة
قد كبُرنا ، قد ذبلنا
نتوارى في الثرى
ما تركنا غير دمعة
في العيون الحائرة

# قراءة في كتاب



# عيون الأخبار

تأليف : أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري
المتوفى سنة ٢٧٦هـ

إعداد : صلاح عبدالحميد الأزهري

## الطبعة التي بين أيدينا :

**١ - بيانات النشر :**

من منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب ، وهي نسخة مصورة بالأوفست عام ١٩٧٣م عن طبعة دار الكتب المصرية الصادرة بالقاهرة الأعوام الهجرية ١٣٤٣ - ١٣٤٦ - ١٣٤٨ ـ ١٣٤٩ الموافقة للأعوام الميلادية ١٩٢٥ ـ ١٩٢٨ - ١٩٣٠ .

**أقسام الكتاب :**

قسّم المؤلف مؤلّفه أصلاً إلى عشرة كتب بدءاً بكتاب السلطان وانتهاء بكتاب النساء .

ولكن الطبعة التي بين أيدينا قسمت عيون الأخبار إلى مجلدين من القطع المتوسط :

أولاً : المجلد الأول : يحتوي على جزئين : الأول والثاني .

## أ ـ الجزء الأول :

ويقع في [ ٣٤٤ ] ثلاثمائة وأربع وأربعين صفحة يسبقها صفحة العنوان ، فصفحة خالية ، ثم فهرس الجزء الأول في [ ٥ ] خمس صفحات ، فصفحة خالية ، ثم مقدمة الكتاب لمؤلفه ابن قتيبة في [١٢] اثنتي عشرة صفحة فيكون مجموع الصفحات [ ٢٠ ] صفحة مرقمة من [ أ ـ ر ] طبقاً للأبجدية [1] ويحتوي الجزء الأول على ثلاثة كتب هي :

١ ـ كتاب السلطان . ٢ ـ كتاب الحرب . ٣ ـ كتاب السؤدد .

وقد نشر هذا الجزء عام ١٣٤٣هـ الموافق ١٩٢٥م في مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة .

## ب ـ الجزء الثاني :

استهل بصفحة العنوان ، فصفحة خالية ثم فهرس الجزء في [٦] ست صفحات ورقمت كلها من [ أ ـ ح] يلي ذلك [٣٧٦] ثلاثمائة وست وسبعون صفحة تحتوي على ثلاثة كتب هي :

١ ـ كتاب الطبائع . ٢ ـ كتاب العلم والبيان .

٣ ـ كتاب الزهد والمواعظ .

ثانياً : المجلد الثاني : يحتوي على جزأين : الثالث والرابع .

## أ ـ الجزء الثالث :

ويبدأ بصفحة العنوان ، فصفحة خالية ثم فهرس الجزء ورقمت كلها من [ أ ـ د] ويحتوي على ثلاثة كتب تقع في [٣٠١] ثلاثمائة صفحة وصفحة واحدة وهي :

١ ـ كتاب الإخوان . ٢ ـ كتاب الحوائج . ٣ ـ كتاب الطعام .

## ب ـ الجزء الرابع :

١ ـ ويبدأ أيضاً بصفحة العنوان ، فصفحة خالية ، ثم فهرس الجزء الرابع صفحة واحدة ولم ترقم الصفحتان بالحروف ولكنها اعتبرت [٤] أربع صفحات بالأرقام .

يلي ذلك كلمة عن وصف الكتاب وترجمة للمؤلف وتبدأ من الصفحة الخامسة إلى الصفحة الأربعين وقد ذيلت بشكر موجه إلى مدير دار الكتب المصرية الأستاذ محمد أسعد برادة بك مقدم باسم أحمد زكي العدوي رئيس القسم الأدبي في دار الكتب المصرية ذلك الحين .

٢ ـ يلي ذلك ست صفحات مصورة من المخطوط الأصلي لعيون الأخبار المحفوظة بمكتبة الأستانة ومكتبة بطرسبرج .

٣ ـ كتاب النساء ، وهو الكتاب العاشر من عيون الأخبار والذي يعتبر الكتاب الأخير أيضاً ويقع في [١٤٧] مائة وسبع وأربعين صفحة .

٤ ـ فهرس عيون الأخبار من الجزء الأول حتى الجزء الرابع ويحتوي على :

أ ـ فهرس رجال السنة .

ب ـ فهرس أسماء الشعراء .

جـ ـ فهرس الأعلام .

د ـ فهرس الأمم والقبائل والأرهاط والعشائر ونحوها .

هـ ـ فهرس الأماكن .

و ـ فهرس الكتب .

ز ـ فهرس الأمثال .

ح ـ فهرس أيام العرب .

ط ـ فهرس القوافي .

ي ـ فهرس أنصاف الأبيات .

ك ـ فهرس إصلاح الأخطاء .

ل ـ استدراكات .

**من هو ابن قتيبة الدينوري (٢) ؟**

هو : أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري .

مولده : أبوه من مدينة مرو ، أما هو فاختلف في مولده : الكوفة أم بغداد ؟ والثابت أنه نشأ ببغداد وتثقف على أهلها ، وأخذ العلم عن رجالها .

سمي بالدينوري لأنه أقام بدينور مدة ولايته للقضاء فيها ، كما لقب بالمرزوي .

شيوخه : كانت بغداد مهد العلم ومنتدى الأدب ومدينة الحضارى فأكب على الدرس والتحصيل ، ومن العلماء الذين أخذ عليهم :

١ ـ إسحق بن راهويه : وهو أبو يعقوب إسحق بن أبي الحسن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المرزوي المعروف بابن راهوية (١٦٦ ـ ٢٣٧هـ) على وجه التقريب .

٢ ـ الزيادي : إبراهيم بن سفيان بن سليمان أبو إسحاق الزيادي ، ينتهي نسبه إلى زياد بن أبيه ، كان نحوياً ولغوياً تلميذاً لسيبويه والأصمعي .

٣ ـ السجستاني : سهل بن محمد بن عثمان بن القاسم أبو حاتم السجستاني ، من البصرة عالم في القرآن واللغة والشعر ، توفي حوالي ٢٥٠هـ .

٤ ـ الرياشي : العباس بن الفرج أبو الفضل الرياشي النحوي اللغوي ، قتله الزنج بالبصرة عام ٢٥٧هـ .

**شيوخ آخرون :**

عبدالرحمن بن أخي الأصمعي - حرملة بن يحيى - أبو الخطاب زياد بن يحيى الحساني ...

**تلاميذه :**

ومن تلاميذه ابنه القاضي أبو جعفر أحمد بن قتيبة ، وحفيده أبو أحمد عبدالواحد بن أحمد بن عبدالله بن مسلم وآخرون . وكانت لابن قتيبة صلة بأبي الحسن عبدالله بن يحيى بن خاقان وزير الدولة العباسية وصنّف له كتاب [ أدب الكاتب ] وذكره في خطبته وأثنى عليه .

**عقيدته :**

يكفينا هنا رأي ابن تيمية بأنه كان من أهل السنة وذكره في كتابه [ تفسير سورة الإخلاص ] وقال عنه : [ وهو أحد أعلام الأئمة والعلماء الفضلاء ، وأجودهم تصنيفاً وأحسنهم ترصيفاً ، له زهاء ثلاثمائة مصنف وكان يميل إلى مذهب أحمد وإسحاق ، وكان معاصراً لإبراهيم الحربي ومحمد بن نصر المروزي وكان أهل المغرب يعظمونه ويقولون : من استجاز الوقيعة في ابن قتيبة يتهم بالزندقة ويقولون : كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه لا خير فيه ] (٣) .

**علمه :**

كاد له حساده واتهموه ، ولكن النقاد أنصفوه واتفق العلماء على أن مصنفاته كلها مفيدة وعظيمة القدر جليلة النفع ، وله مصنفات كثيرة جداً ، ذكر النووي في تهذيب الأسماء واللغات أنها تزيد عن الستين في أنواع العلوم .

**ومن مؤلفاته :**

غريب القرآن ـ مشكل القرآن ـ معاني القرآن ـ كتاب القراءات ـ إعراب القراءات ـ الرد على القائل بخلق القرآن ـ آداب القراءة ـ غريب الحديث ـ مشكل الحديث ـ تأويل مختلف الحديث ـ إصلاح غلط أبي عبيدة في غريب الحديث ـ المسائل والأجوبة ـ دلائل النبوة ـ جامع الفقه ـ كتاب التفقيه ـ كتاب الأشربة ـ الرد على المشبه ـ أدب الكاتب ـ عيون الشعر ـ كتاب المراتب والمناقب من عيون الشعر ـ معاني الشعر الكبير ـ كتاب المعاني ـ ديوان الكتاب ـ تقويم اللسان ـ خلق الإنسان ـ كتاب الخيل ـ كتاب الأنواء ـ جامع النحو الكبير ـ جامع النحو الصغير ـ الميسر والقداح ـ التسوية بين العرب والعجم ـ المعارف ـ عيون الأخبار ـ طبقات الشعراء .

**نبذة عن محتويات كتاب عيون الأخبار :**

أ ـ الهدف من تأليفه :

يعرفنا ابن قتيبة بالهدف الأساسي من تأليف عيون الأخبار بعد الديباجة فيقول [٤] :

[ وهذه عيون الأخبار نظمتها لمغفل التأدب تبصرة ولأهل العلم تذكرة ، ولسائس الناس ومسوسهم مؤدباً ، وللملوك مستراحاً من كد الجد والتعب وصنفتها أبواباً وقرنت الباب بمشكلة والخبر بمثله والكلمة بأختها ليسهل على المتعلم علمها وعلى الدارس حفظها وعلى الناشد طلبها ، وهي لقاح عقول العلماء ونتاج أفكار الحكماء وزبدة المخض وحلبة الأدب وأثمار طول النظر والمتخير من كلام البلغاء وفطن الشعراء وسير الملوك وآثار السلف ... ]

ثم يزيد ابن قتيبة في توضيح الهدف من كتابه فيقول :

[ جمعت لك منها ما جمعت في هذا الكتاب لتأخذ نفسك بأحسنها وتقومها بثقافها وتخلصها من مساوئ الأخلاق كما تخلص الفضة البيضاء من خبثها وتروضها على الأخذ بما فيها من سنة حسنة وسيرة قويمة وأدب كريم وخلق عظيم وتصل بها كلامك إذا حاورت وبلاغتك إذا كتبت وتستنتج بها حاجتك إذا سألت وتتلطف في القول إذا شفعت ... ] (٥) .

**موسوعية الكتاب :**

كما أن عالمنا ابن قتيبة لم يفته التنويه على أن كتابه ليس كتاباً محدوداً أو أنه قاصر على علم معين ، أو موجه إلى فئة محدودة دون فئة أخرى فقال :

[ ولم أر صواباً أن يكون كتابي هذا وقفاً على طالب الدنيا دون طالب الآخرة ولا على خواص الناس دون عوامهم ولا على ملوكهم دون سوقتهم ، فوفيت كل فريق منهم قسمه ووفرت عليه سهمه ] (٥) .

ثم أجمل شمولية كتابه في قوله (٦) :

[ إنما مثل هذا الكتاب مثل المائدة تختلف فيها مذاقات الطعوم لاختلاف شهوات الآكلين ] (٧) .

**الدفاع عن الكتاب :**

ويخشى ابن قتيبة من مهاجمة النقاد والحاقدين لكتابه فسبقهم بالدفاع عنه وعما جاء فيه قبل أن يعرضه على الناس فقال :

[ وإذا مر بك حديث فيه إفصاح بذكر عورة أو فرج أو وصف فاحشة فلا يحملنك الخشوع أو التخاشع على أن تصعر خدك وتعرض بوجهك ، فإن أسماء الأعضاء لا تؤثم وإنما المأثم في شتم الأعراض وقول الزور والكذب وأكل لحوم الناس بالغيب ... ] (٨) .

وفي مكان آخر يعود ابن قتيبة للدفاع عن كتابه فيقول :

[ فإن هذا الكتاب وإن لم يكن في القرآن والسنة وشرائع الدين وعلم الحلال والحرام ، دال على معاني الأمور مرشد لكريم الأخلاق ، زاجر عن الدناءة ، ناه عن القبيح باعث على صواب التدبير وحسن التقدير ورفق السياسة وعمارة الأرض ... ] (٩) .

كما خشي ابن قتيبة لسان النحويين وعلماء اللغة فعجّل أيضاً بالدفاع عما جاء في كتابه من اللحن في اللغة فقال :

[ وكذلك اللحن إذا مرّ بك في حديث من النوادر فلا يذهبنّ عليك أنّا تعمدناه وأردنا منك أن تتعمده لأن الإعراب ربما سلب بعض الحديث حسنه وشاطر النادرة حلاوتها ... ] (١٠) .

ولأنه كتاب موسوعي جامع فإن ابن قتيبة خشي أيضاً أن يُلام على ما حشد فيه من أخبار ونوادر وأحكام ، فقال :

[ ... العلم ضالة المؤمن من حيث أخذه نفعه ... ولن يزري بالحق أن تسمعه من المشركين ولا بالنصيحة أن تستنبط من الكاشحين ولا نضير الحسناء أطمارها ولا ننات الأصداف أصدافها ولا الذهب الإبريز مخرجه من كبا ، ومن ترك أخذ الحسن من موضعه أضاع الفرصة والفرص تمر مر السحاب ... ] [١١] .

**عرض الكتاب :**

قسم ابن قتيبة مؤلفه عيون الأخبار إلى عشرة كتب هي :

١ ـ كتاب السلطان .
٢ ـ كتاب الحرب .
٣ ـ كتاب السؤدد .
٤ ـ كتاب الطبائع والأخلاق المذمومة .
٥ ـ كتاب العلم والبيان .
٦ ـ كتاب الزهد .
٧ ـ كتاب الإخوان .
٨ ـ كتاب الحوائج .
٩ ـ كتاب الطعام .
١٠ ـ كتاب النساء .

تلك هي عشرة كتب في مؤلف واحد تضعنا أمام عمل موسوعي شامل أو دائرة معارف مصغرة كما هي طبيعة التأليف في ذاك الوقت . وإذا كانت الصبغة الغالبة على التأليف في القرن الثالث الهجري هي الصبغة الدينية واللغوية والأدبية فإن " عيون الأخبار " قد صبغ بعدة صبغات مختلفة متنوعة كمايلي :

١ ـ تناول ابن قتيبة في كتاب السلطان أحوال السلطنة وآدابها ومعاملاتها ومشورتها ومهام السلطان ومعاونيه من قضاة وحجّاب وكتّاب وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

٢ ـ ثم جعل كتاب الحرب هو الأقرب إلى كتاب السلطان من ذكر آداب الحرب ومكايدها وأسلحتها وعددها وشجعانها وحيلها وشعرها ونوادرها .

٣ ـ أما كتاب السؤدد فيحوي ما يتعلق بالهمّة السامية وطلب المعالي والخِطار بالنفس والأماني والتواضع والكبر والعجب والحياء والعقل والحلم والغضب والعز والهيبة والذل والمروءة واللباس والطيب والمجالسة والمحادثة والبناء والمزاح وترك التصنع ...

٤ ـ وفي كتاب الطبائع والأخلاق قرب من كتاب السؤدد وفيه مساوئ الأخلاق من حسد وغيبة وسعاية وكذب والقحة وسوء خلق وسوء جوار وسباب وبخل وحمق ونوادر الحمقى وطبائع الحيوان من الناس والجن والأنعام والسباع والطير والحشرات وصغار الحيوان والنبات وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

٥ ـ كتاب العلم ، وتكلم فيه عن أخبار العلم والعلماء والمتعلمين والكتب والحفظ والقرآن والأثر والكلام في الدين ووصايا المؤدبين والبيان والبلاغة والتلطف في الجواب والكلام وحسن التعريض والخطب والمقامات وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

٦ ـ كتاب الزهد ، وضمه إلى كتاب العلم في جزء واحد وفيه صفات الزهاد وكلامهم في الزهد والدعاء والبكاء والمناجاة وذكر الدنيا والتهجد والموت والكبر والشيب والصبر واليقين والشكر والاجتهاد والقناعة والرضا ومقامات الزهاد عند الملوك ومواعظهم وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

٧ ـ كتاب الإخوان : وفيه الحث على اتخاذ الإخوان وأخباره والأخبار عن المودة والمحبة وما يجب للصديق على صديقه ومخالقة الناس وحسن محاورتهم والتلاقي والزيارة والمعانقة والوداع والتهادي والعيادة والتعازي والتهاني وشرار

الإخوان والقرابات والولد وعتب الإخوان ... وما جاءَ في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

٨ - كتاب الحوائج وهو مقارب لكتاب الإخوان فجعله جزءاً واحداً وفيه الأخبار عند استنجاح الحوائج بالكتمان والصبر والجد والهدية والرشوة ولطيف الكلام ، ومن يعتمد في الحاجة ومن يستسعي لها والإجابة والرد عنها والمواعيد وتنجزها وأحوال المسئولين في الطلاقة والعبوس والعادة من المعروف تُقْطَعْ ، والشكر والثناء والتلطف فيهما واصطناع المعروف والحرص والإلحاح والقناعة والاستضعاف وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

٩ - كتاب الطعام : وفيه الأخبار عن الأطعمة الطيبة والحلواء والسويق واللبن والتمر والخبائث منها التي يأكلها فقراء الأعراب ونازلة الفقر وأدب الأكل وذكر الجوع والصوم والأكلة والمنهومين والدعاء إلى المآدب والضيافة وأخبار البخلاء بالطعام وسياسة الأبدان بما يصلحها من الغذاء والحمية وشرب الدواء ومضار الأطعمة ومنافعها ومصالحها ونتف من طب العرب والعجم وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

١٠ - كتاب النساء : وهو مقارب لكتاب الطعام والعرب تدعو الأكل والنكاح الأطيبين فتقول [ ذهب منه الأطيبان ] وفيه الأخبار عن اختلاف النساء في أخلاقهن وخلقهن وما يختار منهن للنكاح وما يكره واختلاف الرجال في ذلك والحسن والجمال والقبح والدمامة والسواد والعاهات والعجز والمشايخ والمهور وخطب النكاح ووصايا الأدباء عند الهدا ، وسياسة النساء ومعاشرتهن والدخول بهن والجماع والولادات ومساويهن ، خلاف أخبار عشاق العرب

[ فإني رأيت كتاب الشعراء أولى بها فلم أُودع هذا الكتاب منها إلاّ شيئاً يسيراً] ...وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

**قيمة الكتاب :**

الأعرف بقيمة الكتاب واضعه فقد قال ابن قتيبة :

[ هذه أبواب الكتب جمعتها في صدر أولها لأعفيك من كد الطلب وتعب التصفح وطول النظر عند حدوث الحاجة إلى بعض ما أودعتها ولتقصد فيما تريد حين تريد إلى موضعه فتستخرجه بعينه أو ما ينوب عنه ويكفيك منه فإن هذه الأخبار والأشعار وإن كانت عيوناً مختارة أكثر من أن يُحاط بها أو يوقف من ورائها أو تنتهي حتى يُنتهى عنها .

وقد خففت وإن كنت أكثرت واختصرت وإن كنت أطلت وتوقيت في هذه النوادر والمضاحك ما يتوقاه من رضى من الغنيمة بالسلامة ومن بُعد الشقة بالإياب....] (١٢) .

وإننا أمام هذا العمل الموسوعي لا يسعنا إلاّ أن نترحم على مصنفه ابن قتيبة وأمثاله الذين أثروا المكتبة العربية بعيون المراجع والمصادر التي حفظت للعربية ذخائرها وكنوزها ينهل منه الدارسون والباحثون والمتعطشون إلى آداب العربية الفصيحة ، ولا شك أن كتاب عيون الأخبار كان مرجعاً وما زال لجميع طلاب الأدب واللغة بل وعلماء الاجتماع والتغذية والنبات لأنه بحق عمل موسوعي فيه بغية المبتغى ومتعة المطالع بلا سأم ولا ملل لأنه مناسب لجميع الأعمار والألباب والرغبات فكان بحق منهجاً يقتدى به في عصور المؤلفات الموسوعية .

رحم الله ابن قتيبة وجزاه عن أمته وعنا خير الجزاء .

**الهوامش**

١ - الأبجدية المقصودة هنا هي أبجدية الحروف العربية والعبرية وهي ثمانية وعشرون حرفاً وسميت بالأبجدية لأنها تبدأ بالحروف [ أبجد] ثم هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ وترقم بهذه الحروف مقدمات المراجع وفهارسها .

٢ - انظر ترجمة المؤلف ص ١٢ وما بعدها من عيون الأخبار ، المجلد الثاني ، طبعة الهيئة العامة للكتاب المصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٩هـ /١٩٣٠م .

٣ - انظر ص ١٦ ، ١٧ نفس المرجع السابق .

٤ - انظر عيون الأخبار المجلد الأول الصفحات [ ي - ك ] .

٥ - نفس المرجع السابق صفحة [ك] .

٦ - نفس المرجع صفحة [ك] .

٧ - نفس المرجع صفحة [ل] .

٨ - نفس المرجع السابق ونفس الصفحة .

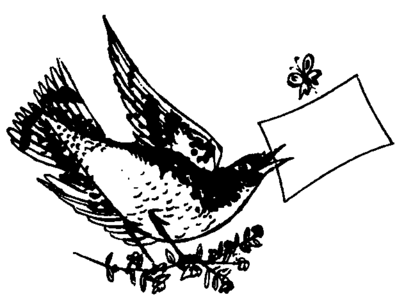
٩ - نفس المرجع صفحة [ي] .

١٠ - نفس المرجع السابق صفحة [م] .

١١ - نفس المرجع صفحة [س] .

١٢ - نفس المرجع صفحة [ق] .

# ما قبل الوداع



# ماقبل الوداع .. !!

## مطبوعاتنا بين مد وجزر

عبدالرحمن حامد القرني

في هذا العالم نعيش فيه .. عالم الصراع بالكلمة ، والمعركة بالفكر ، والغزو بالعقائد .. في هذا العالم لم يعد يصلح أن نخرج كلاماً مكرراً ، أو كلاماً جامداً خالياً من الحياة ، أو أن نعيش على هامش التاريخ ، أو نكون عاجزين ، أو أن نفتقد الرؤية السليمة والقدرة التحليلية ، أو أن نرتفع إلى مستوى الإبداع ..؟!!

دعونا نتصارح بعيدين عن الإدعاء أو إلقاء التهم ـ فكثير من مطبوعاتنا الصحفية ومجلاتنا ـ تنتظر حتى يأتيها رزقها رغداً من كل مكان .. بينما تسعى البعض منها إلى أماكن الأحداث الطازجة وإلى ساحات الرأي العام الذي يتماوج تحت دفء الشمس ..؟!!

والفرق بين الأمرين شاسع وعظيم .. أما الأولى فتدعي الوقار والعظمة وتنتظر حتى يطرق الكاتب أبوابها بمقالاته وآرائه فعيونها دائماً على صندوق بريدها .. وبالتالي فرأيها يتحدد تبعاً لأمزجة كتابها وتكتفي بأن تضع على صدر صفحتها الأولى بأن المقالات المنشورة تُعبّر عن رأي أصحابها ..؟؟؟

والأخرى فتضع خطتها وتكوِّن هيكل الرا] الذي تود أن تطرحه ثم تخرج إلى الكاتب والمسؤول والقارىء تبحث عن أفكاره وآرائه وهمومه في محاولة منها لطرح هذا كله على مائدة النقاش والحوار وإيجاد (التفاعل ) الحي ..

حينذاك تتحول المطبوعة إلى (بانوراما) متكاملة كما يحلو للأدباء المحدثين أن يعبّروا .. فهلاّ خرجت مطبوعاتنا الصحفية ( الكلاسيكية ) من قواقع التحجب خلف ستار المدفعية الثقيلة لكي تواجه الرياح والأمطار ووهج الشمس ورمضاء الصحراء .. لكي تتفاعل مع القارىء والمجتمع والأمة والعالم كله ..؟؟

وكيف بنا نحن اليوم بعصر يتحدانا بالفكرة والكلمة والرؤية .. هل نستجيب لتحدياته أم نعلن افلاسنا الفكري ، ونتعامل مع الكلمة تعاملاً دونيا جامداً .. !! .

إن الكلمة وقود الحضارة وفعل الحركة ومبدأ .. والكلمة مسئولية .. يا أصحاب الأقلام .. ويا حداة قافلة الكلمة .. ؟؟

## أخيراً :

إذا كان الورق قد أصبح رخيص الثمن .. فإن الكلمة لا يجوز أن تصبح رخيصة كذلك .. ولتكن مطبوعاتنا الإعلامية في عالمنا الإسلامي له أهداف محددة مستقاة من مبادىء أمتنا من عقيدتها ومن تراثها ومن تاريخها ومن أصالتها وسلامتكم ..؟!! .